من المسؤول عن انتكاس التعايش بيننا وبين الآخر؟

الوعي الإسلامي

موقع المجلة على شبكة الإنترنت www.alwaei.com

تأسست عام 1385 هـ-1965 م
العدد 487 - السنة (43)
ربيع الأول 1427 هـ
ابريل 2006 م

أفريقيا ومشكلة المعونات المعدلة وراثيا.. الانتصار لمن؟

الداعية الإسلامي أحمد الدبوس: العمل الخيري يحتاج دائماً إلى الدعم والمساندة

كيف نتجنب عصبية الطفل؟

ترقبوا

الإصدار الخامس لمجلة الوعي الإسلامي

النقـــد الذاتي

رؤية إسلامية نقدية لواقع الصحوه الإسلامية ومنطلقات هذا النقد وضوابطه ودوره في إثراء الفكر الإسلامي الوسطي

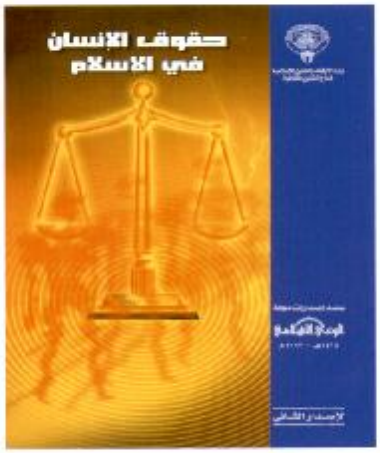

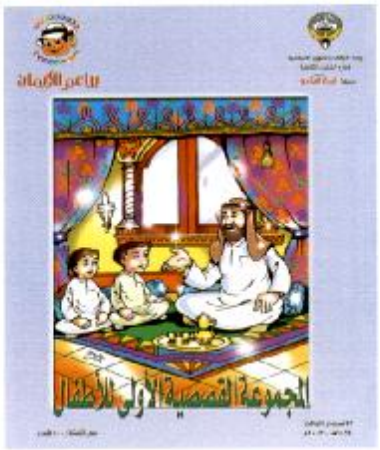

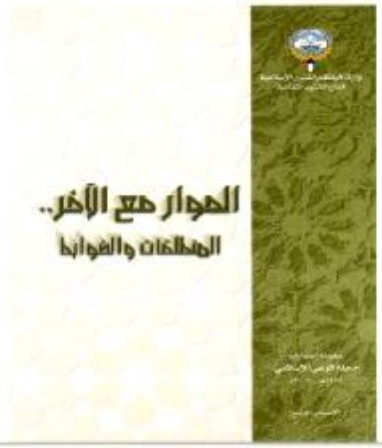

الرجال هم الخيار الأمثل

رئيس التحرير :
انور حمد الحمد

يبحث العالم الإسلامي اليوم بكل قواه وفعالياته عن طوق النجاة في ظلمة هذا الزمان و يعمل قادته وعلماؤه بجهد جهيد -كل من موقعه وحسب طاقته- لإيقاف مسلسل التراجع والاخفاقات والتنازلات التي أفقدت الأمة قوتها ومكانتها اللائقة بخير أمة أخرجت للناس، ويجتهد المفكرون الأشراف في دراسة وتحليل الظواهر السلبية ورسم الاستراتيجيات والحلول للمشاكل التي تعاني منها الأمة، وتعقد المؤتمرات واللقاءات لبحث سبل النجاح والتفوق والطريق الأمثل لمواجهة هجمات المرجفين والحاقدين على الإسلام والمسلمين في الغرب والشرق.

ونحن هنا من منبر مجلة الوعي الاسلامي ومن منطلق الإسهام في هذا الجهد المبارك بإذن الله نقول لاخواننا وبأعلى صوت وبكل صراحة ووضوح إن أزمتنا أزمة «رجال» .. ولكن أي رجال؟!

• رجال صادقون أوفياء لهذا الدين أو كما قال عز وجل في محكم تنزيله ﴿رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظروما بدلوا تبديلا﴾(الأحزاب -الآية ٢٣).

• رجال علماء في الدين فقهاء في شئون الدنيا أصحاء الأبدان لتحمل أعباء الدعوة إلى الله انطلاقا من قوله عز وجل: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾(البقرة الآية ٢٤٧).

• رجال أقوياء الشخصية والتأثير أهلا لتحمل الأمانة والشدائد والمحن، لا يخافون في الله لومة لائم امتثالا لقوله عز وجل ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(القصص - الآية ٢٦).

وكما قال أحد العلماء المصلحين حين سئل لماذا لا يؤلف الكتب؟ فأجاب إنما أؤلف الرجال؟

و نوجه خطابنا هنا إلى جميع المسؤولين في الوطن الإسلامي وندعوهم إلى البحث الجاد والحثيث عن مثل هؤلاء الرجال: الرجال الصادقين العلماء الأقوياء الأوفياء وإسناد المهام القيادية إليهم لإدارة دفة الأمور في هذه الحياة الشائكة، والانتباه إلى حديث المصطفى ﷺ(ستأتي على الناس سنوات خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة؟ قال السفيه يتكلم في أمور العامة) ،الحديث أخرجه الامام احمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة وأورده الألباني في سلسلة الأحديث الصحيحة».

إن مصيرنا مرهون باتخاذ إجراءات جريئة وخطوات جبارة لعل من أهمها إفساح المجال للكفاءات الشابة والعمل على تشجيعها ومؤازرتها حتى يحققوا للأمة ماتطمح إليه أو كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي يرحمه الله:

فادعوا لها أهل الأمانة واجعلوا
لأولي البصائر منهم التفضيلا
فلرب قول في الرجال سمعتم
ثم انقضى فكأنه ما قيلا
كرم وصفح في الشباب وطالما
كرم الشباب شمائلا وميولا
فكلوا إلى الله النجاح وثابروا
فالله خير كافلا ووكيلا

والحمد لله رب العالمين

الإفتتاحية

الوعي الإسلامي
إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد 487
العام الثالث والأربعون
ربيع الأول 1427 هـ
ابريل 2006 م

رئيس التحرير
أنور حمد الحمد
إدارة التحرير
تمام أحمد الصباغ
التحرير
أحمد توفيق هلال
د.محمد الأمين المختار
محمد حمد الرشيد
عبادة السيد نوح
الإخراج والتنفيذ
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 .
الكويت - هاتف:
٢٤٦٧١٣٢ - ٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

كلمة العدد

تجيء هذا العام ذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وسط أجواء عاصفة لم تنته ذيولها حتى الآن بسبب تلك الهجمات الظالمة التي شنها بعض الغربيين ضد الإسلام ونبيه.. صحيح أن تلك الهجمات لم ولن تخدش تلك الصخرة الشماء التي تهاوى على جنباتها عبر العصور التاريخية كثير من الحاقدين والجاهلين إلا أنها أبرزت حاجة الأمة مرة أخرى إلى ضرورة وجود خطاب إسلامي واضح المعالم لكل جوانب الحياة بحيث يكون متكاملاً ومتوازناً ومتناسباً مع العقلية الغربية يقدم لها الصورة المشرقة عن الإسلام ونبيه وأهله ويضع أمامها مبادئه السمحة في التعايش مع الآخر مهما كان انتماؤه وعرقه ودينه وهذا ما أكدنا عليه في قضايا هذا العدد من خلال عدد من الموضوعات من أبرزها: عندما يشكل الإعلام الغربي صوراً نمطية عن الإسلام ونبيه، مع البشير النذير في القرآن الحكيم، التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية، من المسؤول عن انتكاس التعايش بيننا وبين الآخر؟، نحو فقه ترشيد الغضب الإسلامي، حتى لا يكون الحوار الحضاري يداً معلقة في الهواء.. والأمل لايزال معقوداً على كتابنا وقرائنا لاشراء هذه الجوانب وصولاً إلى فكر اسلامي قادر على مواكبة قضايا العصر جميعاً.

التحرير

لابد من خطاب إسلامي واضح المعالم موجه للغرب

التوزيع :
وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان - الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) تفال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٣٧٧٠٨٨ / ٣٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (٠٠٩٦٣ ١١) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٠ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء - رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨١٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٩٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن احمد وزنقة سان سالس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٠٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة - رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ١٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ ديناراً كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها)
• دول العالم : لأفراد ٢٠ ديناراً كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (الرجاء عدم ارسال مبالغ نقدية)

الأسعار
• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • امريكا ودول العالم : ٣ دولارات او مايعادلها.

موضوع الغلاف

المعونات الغذائية المعدلة وراثياً والتي تقدمها اميركا لافريقيا، جعلت الافريقي الجائع حيران، هل يقبل تلك المعونات أم يرفضها على أساس انها قد تفتك به مثل الجوع؟ ويزداد الأمر خطورة إذا علمنا أن المحاصيل التي خضعت لعمليات الهندسة الوراثية لم تجر عليها عمليات الاختبار اللازمة التي تضمن سلامتها من المخاطر. فهل تستخدم الولايات المتحدة الأميركية افريقيا كمعمل اختبار بشري ومزبلة لمخلفاتها؟

في هذا العدد

٣- الافتتاحية / الرجال هم الخيار الأمثل — انور الحمد
٤- كلمة العدد/ لابد من خطاب إسلامي واضح لعالم موجه للغرب — التحرير
٦- بريد القراء — التحرير
٨- أنشطة الوزارة — التحرير
١٠- حوار: الداعية الشيخ أحمد الدبوس: العمل الخيري يحتاج دائما إلى الدعم — حمد الرشيد
١٤- مؤتمرات: الأوقاف عقدت مؤتمر «نحن والآخر» — التحرير
١٦- قضايا افريقية: افريقيا ومشكلة المعونات المعدلة وراثياً — د. الخضر عبدالباقي
١٩- مسلمون منسيون: المسلمون في الصين آمال وطموحات — عبادة السيد نوح
٢٢- إعلام: عندما يشكل الإعلام الغربي صوراً نمطية عن الإسلام وتنبيه — د. حسن عزوزي
٢٩- شعر: بشرى البشريات — د. علي أحمد أحمد طلب
٣٠- اقتصاد: الاقتصاد الإسلامي وأساليب مكافحة الإغراق — فريد القرني
٣٤- فكر: التعايش مع الآخر.. حقيقة تاريخية وضرورة واقعية — الشيخ محمد الحسن الددو
٣٨- فكر: من المسؤول عن انتكاس التعايش بيننا وبين الآخر — نوال السباعي
٤٠- قضايا: الأمة الإسلامية وأخطار القطرية عليها — غازي التوبة
٤٢- رؤية: هل يمكن أن ينصف الاتحاد الأوروبي العرب والمسلمين؟ — د. محيي الدين عبدالحليم
٤٤- فكر: نحو فقه نرشيد الغضب الإسلامي — د. محمد اقبال عراوي
٤٨- قضايا: حتى لا يكون الحوار الحضاري بدا معلقة في الهواء — د. حسن الخضر
٥٠: دعوة: الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع — د. أحمد جبرون
٥٦: دراسات قرآنية: أخوة المؤمنين وأخوة المنافقين كما تصورها سورة الحشر — د. عطية قباض
٦٠: قراءة في كتاب: الكارثة .. كتاب العبر والنذر — علي محمد محاسنة
٦٢: قصة العدد: كذلك يحيي الله الموتى! — معين عبدالعليم صافي
٦٤: طب: خلايا الدم الحمراء — د. عبد الرحمن النمر
٦٨: البيت المسلم: هل طفلك مبدع؟ — أحمد أبو الدهب محمود
٧١: البيت المسلم: شكراً صديقتي الوفية — د. عبدالنعم عبدالله حسن
٧٢: البيت المسلم: الخرس الزوجي — د. خالد سعد النجار
٧٤: البيت المسلم: كيف نتجنب عصبية الطفل؟ — د. محمد عيسوي الفيومي
٧٦: البيت المسلم: أطفالنا والتربية النفسية — حسام فتحي أبو جبارة
٧٩: البيت المسلم: علامات الطريق (قصة) — إيمان عبده فاضل
٨٠: البيت المسلم: هذا ما أوصلتهم إليه تشريعاتهم الإباحية! — أحمد حمادة
٨٣: الوعي دون كوم — وائل عبدالرحمن
٨٤: درهم وقاية — د. معتز ياسين
٨٦: الوعي الاقتصادي — معن خليل
٨٨: النقد المرجعي عند الأستاذ سالم البهنساوي — د. محمد اقبال عروي
٩٠: في الساحة الأدبية — محمد هاني عزيزة
٩٢: قطوف إسلامية — أحمد عبد الجبار
٩٤: نافذة على العالم — التحرير
٩٦: الفتاوى — إدارة الإفتاء
٩٨: مسك الختام: معالم وضوابط التواصل مع الآخر — د. عبدالله بن بية

10
العمل الخيري يحتاج دائماً إلى الدعم والمساندة

مسيرة العمل الخيري في الكويت انطلقت من أيام الأجداد الذين زرعوا أبناءهم على حب هذا العمل فأقبلوا عليه دونما انقطاع حتى في أشد اللحظات حرجا «أيام الاحتلال الغاشم» وامتاز القائمون على هذا العمل بالكفاءة والاتزان والطموح والعطاء الذاتي دون مقابل، ذلك ما أعطى العمل الخيري الكويتي تلك السمعة الطيبة والانتشار العالمي وبفضله حفظ الله هذا البلد وأعانه من نصيب العابثين.

34
التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية

مرت حقب طويلة على الجنس البشري على هذا الكوكب الأرضي تراوحت العلاقة فيها بين بني الإنسان بين التفاهم والتعاون والخلاف والشقاق كانت نتيجة الأولى ايجابية على الجميع والثانية سلبية بكل المقاييس لذا من المصلحة أن يعمل المخلصون الآن وبأسرع ما يمكن للوصول إلى قواسم مشتركة ونقاط تلاقي تمنع الصدام والصراع بين الحضارات والأمم.

30
الاقتصاد الإسلامي وأساليب مكافحة الإغراق

وضع الإسلام الكثير من التدابير وصاغ العديد من السياسات الاقتصادية التي تضمن الاستقرار الاقتصادي في أبها صوره، فمنع الاحتكار لما فيه من اهدار لحرية التجارة ودعا إلى ضرورة عرض السلعة في سوقها ونهى عن بيع الحاضر للبادي وعن الغش والتدليس كل ذلك لحماية السوق من الاغراق و الدفاع عن مصالح المستهلكين.

الوعي الإسلامي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 2467132 / 2470156
FAX : (+965) 2473709

Editor-in-Chief
Anwar AL.Hamad

Editing Director
Tammam A. Al-Sabbagh

Editor
Ahmad T. Helal

Dr.Mohamed Al-amin

Mohamed Hamad Al-Rashid

Obada Al-sayed Nouh

AL-ASSRIYA PRINTING PRESS

اقرأ في العدد الآتي

- وزير الأوقاف السابق السيد يوسف هاشم الرفاعي: أدعو وزارات الأوقاف إلى تشكيل فيئات وفقية متخصصة

حوار أجراه حمد الرشيد

- الإنترنت صرعة ثقافية أم ثقافة حتمية؟

ربى محمد ديب الدرع

- السنن الإلهية بين فقه الوحي وفقه الواقع

د. سعاد وحائم

- التراث الافريقي العربي بين الإندثار ومحاولات الإنقاذ

د. الخضر عبد الباقي محمد

- المجتمع المدني بين الدولة والمجتمع

د. أحمد عيساوي

الملتقى

فداك نفسي يا رسول الله

أكتب هذه الكلمات لا من أجل الاعتداء على أي رسول من الرسل عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم، ولكنها كلمات أدافع بها عن النبي محمد ﷺ وأرد بها على كل من سولت له نفسه المساس بشخص رسول الله ﷺ، وذلك من منطلق قوله ﷺ «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» صحيح البخاري

• وكذلك من منطلق قوله ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.

• وفي الحقيقة أننا لا نملك حق تغيير هذا المنكر باليد لأن هذا موكول الى الحكام والزعماء هم أصحاب الكلمة في هذا الشأن ونحن من خلفهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ سورة النساء الآية ٥٩ .

• وفي ذات الوقت لسنا ضعفاء الإيمان كي نكتفي بتغيير هذا المنكر بقلوبنا فقط ولأني أنتمي إلى مهنة الدفاع عن الحق مهنة المحاماة فإننا ندافع عن النبي ﷺ باللسان وبالكلمة وعلى استعداد تام أن ندافع عنه ﷺ بأرواحنا ونقدمها فداءً له ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾(سورة الأحزاب-٦) وقوله تعالى:﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾(سورة التوبة -٤٠).

• المحامي رضا أبو الفيظ - مصر

تلك هي دعوتنا وهذا هو ديننا

لاشك أن الإسلام في ظاهره وباطنه في نصوصه ودعوته يعد دعوة عامة للحياة الكريمة المستقره ومن خلال دستورنا الأعظم ومنهاجنا القويم قرآناً وسنة لانجد أمراً أو دعوةً أو توجيهاً إلا ويوجه الإنسان إلى ما يقر حياته ويبعث على الاستقرار وطمأنينة النفس.

فالمولى سبحانه يوجه النداء إلى رسوله ﷺ قائلاً: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل (١٢٥). ويوجه نداءه أيضاً إلى موسى وهارون عليهما السلام قائلاً: ﴿اذهبا إلى فرعون أنه طغى. فقولا له قولا ليناً﴾(طه-٤٣-٤٤).

وفي حالة الدفاع عن النفس ورد الاعتداء يدعوا سبحانه إلى عدم الاعتداء إلا بحق وعدل.

قال سبحانه: ﴿فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾(النحل-٢٦) بل أن المولى سبحانه حين شرع العقوبات والحدود بنيت أساساً على استقرار الحياة وظهرت سماحة الإسلام في أجل صورها في تشريع الحدود والقصاص «فمن عفي له من أخية شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة»(البقرة-١٧٨).

ناهيك عن النصوص النبوية الشريفة التي تدعوا إلى الرفق واللين ونبذ العنف والتطرف يقول ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه» متفق عليه. ويقول أيضاً «الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم. بل إن الإسلام ليرتقي إلى درجة أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً ونرى في الوقت ذاته رجلاً أو امرأة دخل الجنة لأنه رحم كلباً حين سقاه بل إن الإسلام يدعوا إلى الرفق حتى في وقت الذبح فمن أراد أن يذبح حيواناً فلا ينهج نهج القسوة والعنف قال ﷺ «أن الله كتب الإحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم.

وهذا قليل قليل من كثير فهلا رفع المتكبرون والمتعالون على دعوة الإسلام. سهامهم ألا فليقراوا كتابنا وليفتشوا في تاريخنا المليء بالمحبة والمودة وحينها سيعلمون أن الإسلام رحمة للعالمين وأننا نقول تلك هي دعوتنا وهذا هو ديننا.

حسن عبدالعال محمود - مصر

تنويه

نشرت المجلة في عددها رقم ٤٨٤ في باب ملتقى القراء نبذة عن مصطلح الليبرالية رداً على استفسار قارئ ونود أن نؤكد أن هذه النبذة هي جزء من مقال مطول بعث به إلينا السيد طارق أبوالعينين من جمهورية مصر العربية تحت عنوان: «الليبرالية وفلسفة الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي» ولم تشر المجلة لإسمه في الرد المذكور لذا اقتضى التنوية ومعذرة لهذا الخطأ غير المقصود علماً بأن المجلة في حال نشرها المقال فإنه سينشر كاملاً.

القراء يسألون عالم الرؤى والأحلام

إلى ابنتنا العزيزة/ سلوى عبدالباقي عبدالله عمر- جمهورية مصر العربية - المحلة الكبرى .... وفقها الله

لقد اشتملت رسالتك على مجموعة أسئلة، اجملها في الآتي:

- ما هو عالم الأحلام.
- ذكرت أنك ترين في المنام أحلاماً وبعد ذلك تتحقق في اليقظة.
- فما دلالات ذلك.

وجواباً على ذلك أقول:

- لقد عرف بعض العلماء عالم الأحلام بأنه نشاط ذهني في أثناء النوم في شكل صورة بصرية عادة.

- وقال بعضهم: هو عبارة عن طريقة لإفراز المخلفات الضارة الناتجة عن نشاط الإنسان في اليقظة، وهو ما يسمونه بـ «النوم العشوائي».

- وقد ذكر النوم والأحلام في اثنتين وعشرين سورة من القرآن الكريم، ومجموع الآيات التي تحدثت عن النوم والأحلام وتفسيرها بلغت خمساً وخمسين آية كريمة.

- كما ورد الحديث عن النوم والأحلام وتفسيرها في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة.

- والنائم الذي يرى الأحلام لايدرك ما يراه بحواسه الطبيعية، كما هو الحال في الحياة العادية، وإنما يدركها بقوانين مغايرة لقوانين الحياة العادية فالمنام والرؤى والأحلام نشاط روحي تخترق حجب الزمان والمكان.

- والذي يرصد حركة التاريخ وعلم الاجتماع يجد أن كثيراً من أحداثه الهامة كانت بسبب رؤى وأحلام.

ثانياً: إن ما ذكرتيه من تحقيق المنامات، فهذا من الرؤيا الصالحة إن شاء الله، وقد ثبت أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤى الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح..) رواه البخاري في كتاب التعبير.

- والرؤيا الصادقة من المبشرات، لأنها من الله تعالى، قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾(يونس -٦٠) وهي: الرؤيا الصالحة قال رسول الله ﷺ: (لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) رواه مسلم.

- وقد حدثنا القرآن الكريم عن كيفية تحقيق رؤيا النبي ﷺ عندما رأى أنه دخل مكة هو وأصحابه محلقين، ثم تحققت هذه الرؤيا، فأنزل الله قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون...﴾(الآية...)

- كما حدثنا القرآن الكريم عن رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام عندما كان صغيراً ورأى في المنام ﴿أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾(سورة يوسف-٤) وكيف تتحقق هذه الرؤيا عندما وصل أبواه وإخوته إلى مصر، ودخلوا عليه وهو في مرتبة الملك وسجدوا له، وكان ذلك مباحاً في شريعتهم.

- كما حدثنا القرآن الكريم عن رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ «الصافات ١٠٢-١٠٥».

ثالثاً: أما بالنسبة لدلالات ذلك: فإن الرؤيا الصالحة حالة شريفة، ومنزلة رفيعة، وقد ذكر العلماء أنه يستحسن لمن رأى مناماً ألا يقصه على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل، لأنها تقع بإرادة الله على ما أولت عليه.

- وإذا رأى الإنسان في منامه أمراً مزعجاً فليتعوذ بالله من شرها، وليتفل عن يساره ثلاث مرات، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره.

زهير محمود حموي - باحث شرعي في قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية.

تنبيه

يرجى من الإخوة الكتاب الراغبين في نشر مقالاتهم في المجلة، إرسال بياناتهم الشخصية كاملة وعناوينهم وأرقام هواتفهم النقالة مع صورة رقمية حديثة وذلك لتسهيل التواصل معهم، وإرسال مكافآتهم.

وسنكون مضطرين إلى رفض نشر أي مقال لا يستوفي هذه الشروط ابتداء من العدد القادم إن شاء الله.

سلمان آخر!!

هذا التطاول على الإسلام يدل لأول وهلة على استهانة الأعداء بنا ذلك لأن العدو لو أيقن أن فينا حزما وأنفة لما أقدم على الإهانة أو فكر فيها.

فلقد استأسد العدو لما علم أن غاية ردنا هو ... نستنكر... ندين.... وإذا بلغت بنا الشدة في الرد حتى ترهب العدو ترانا وقد انتفضت منا الأوداج وعلت الأصوات قائلين: ندين (بشدة) هذه الأفعال.

إن الأعداء في غاية الحرص على الحياة فلقد وصفهم الله سبحانه قائلا (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) البقرة ٩٦ (أي على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء وعاقبتهم عند الله الخاسرة لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر).

فالكافر غايته الخلود في الدنيا (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) البقرة ٩٦ .

فهو حريص على الحياة، وجاءت (حياة) نكرة دلالة على حرص الكافر على الحياة بأي شكل كانت حياة ذل ومهانة أو غيره المهم عنده أنه حي فلقد شهد القرآن أنهم يكرهون الموت (ولا يتمنونه أبداً) الجمعة ٧ .

فلماذا لا نستغل نقطة الضعف هذه (كراهية الموت) عندهم فلو أيقن العدو أن شبح الموت ينتظره ما حدثته نفسه بالمساس بالإسلام - فلم ولن يفكر يوماً في الإقدام على ذلك.

وفاء لجابر الخير الأوقاف أقامت معرض القرآن الكريم الأول

د. المعتوق: المصحف الذي أمر أميرنا الراحل بطباعته مازال يوزع على آلاف المسلمين

تحت شعار «جابر الخير خادم القرآن الكريم» وتحت رعاية سمو رئيس الوزراء الشيخ ناصر المحمد أقامت الوزارة في الفترة ما بين ١٨ - ٢٢ مارس الماضي معرض القرآن الكريم الأول... وزير الأوقاف د.عبدالله المعتوق قال: إن هذا المعرض ماهو إلا حلقة من حلقات الوفاء لسمو أميرنا الراحل خصوصا وان كتاب الله تعالى قد لقي دعما كبيرا من سمو الأمير الراحل طيب الله ثراه وكانت رعاية وعناية خاصة والدليل على ذلك إنشاء إدارة خاصة لشؤون القرآن الكريم بالوزارة في عهده الميمون يدرس فيها الآلاف من الطلبة والطالبات ويتنافسون فيها على حفظ كتاب الله تعالى كما رعى يرحمه الله طيلة عشر سنوات متتالية مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده التي تشرف عليها الأمانة العامة للأوقاف حيث تزايد عدد المشاركين بها عاما تلو الآخر التفوا حول كتاب الله حفظا وتجويدا مما نتج عنه ثلة من شباب الكويت الذين يشاركون في المسابقات الدولية للقرآن ويرفعون علم بلادهم بحصولهم على مراكز متقدمة في هذا الجانب وكل ذلك بفضل تدريبهم في تلك المسابقة الكبرى التي حملت اسم سموه يرحمه الله.

طباعة المصحف

وأضاف وزير الأوقاف ووزير العدل د. عبدالله المعتوق قائلا: ولا تزال طباعة المصحف الشريف الذي أمر به سموه ووزع على الآلاف من الجهات والهيئات داخل وخارج الكويت مأثرة من مآثره الجليلة التي نسأل الله تعالى أن تكون في ميزان حسناته وأعماله يوم الحساب وأن يتقبله الله جل جلاله مع الصالحين وماهذا العمل الذي تقوم به إدارة شؤون القرآن الكريم إلا جزء بسيط لهذا الرجل الكبير بأعماله الخيرية التي كانت سببا في التعرف على دولة الكويت الصغيرة بعدد سكانها ومساحتها والكبيرة بأعمالها المتميزة.

الأوقاف أعلنت عن بدء تدشين استراتيجية الأمة الوسط

أعلن وكيل وزارة الأوقاف د. عادل الفلاح يوم ٢٠٠٦/٣/١١م عن بدء تدشين استراتيجية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للسنوات الخمس المقبلة ٢٠٠٦-٢٠١١م، وسيتم تدشينها برعاية سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، والاستراتيجية تحمل شعار «الأمة الوسط» وتشمل كافة مجالات العمل وتم اقرارها بعد إشراك مسؤولي وموظفي وزارة الأوقاف وعددا من المسؤولين في وزارات الدولة الأخرى وعدداً كبير من شرائح المجتمع بكل فئاته.

الجدير ذكره أن وزراء الأوقاف في دول العالم الإسلامي طالبوا في اجتماعهم الذي عقدوه في الكويت في الشهور الماضية بتعميم استراتيجية وزارة الأوقاف الكويتية لاعتمادها في جميع دول العالم الإسلامي لما تحويه من أفكار ودراسات تم وضعها بعناية كبيرة.

فريد عمادي: مشروعات وزارة الأوقاف تشكل تحركاً كاملاً لرؤية مستقبلية

قال الوكيل المساعد لقطاع التخطيط والتطوير في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فريد عمادي أن «برامج وأنشطة ومشروعات الوزارة يتم إنجازها وفق مجموعة من مجالات العمل تشكل تحركا متكاملا تجاه الرؤية المستقبلية للوزارة.

وقال عمادي: إن «المجال الأول هو علوم القرآن والسنة وشؤون الفكر والثقافة ويعني بالقضايا الفكرية والتثقيف الشرعي المرتبط بواقع المجتمع والتعامل معها وفق برامج متنوعة ومتكاملة منبعها علوم القرآن الكريم (حفظا وتطبيقا) والسيرة النبوية المطهرة (علما واقتداء).

ولفت إلى أن «أهم ما يشمله هذا المجال هو العمل على تعزيز الفكر المعتدل والمنهجية الوسطية المستمدة من تعاليم القرآن والحديث النبوي» مشيراً إلى أن «هذا هو السر في ربط البعدين معاً: علوم القرآن والسنة وشؤون الفكر والثقافة».

وأوضح عمادي أن «المجال الثاني وهو المسجد يعني بتنفيذ البرامج والأنشطة الخاصة بتمكين الوزارة من جعل المسجد مركز إشعاع تشارك فيه أطراف متخصصة في عمليات التوجيه وتنفذ برامجه بمشاركة الأطراف المعنية بتنمية المجتمع إضافة إلى تعزيز الجهود الحالية في الاهتمام بالبنية الأساسية للمسجد من مبان وخدمات وصيانة ونحوها».

وقال عمادي الذي يرأس فريق دعم الخطة الاستراتيجية أن المجال الثالث يختص بالإفتاء والبحوث الشرعية ويهتم بترسيخ مفهوم المرجعية الفقهية على المستويين الحكومي والشعبي من خلال

مركز ملتقى السراج المنير «الفيحاء بنين» أقام الملتقى التأبيني لسمو الأمير الراحل

نظام ملتقى السراج المنير مركز الفيحاء - بنين- ملتقى تأبينياً في رثاء صاحب السمو أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح - طيب الله ثراه - بعنوان (جابر العطاء) وتم من خلال الملتقى عرض سيرة الأمير وصفاته وما كان يتمتع به من طيب خلق، وإيمان كبير، وقناعة لا مثيل لها، وقد انتهز أساتذة وطلبة ملتقى السراج المنير الفيحاء اليوم التأبيني لإلقاء قصائد شعرية تضمنت خصال الأمير الراحل وحبه لعمل الخير ومساعدة الشعوب العربية والإسلامية وغيرها مما رفع سمعة الكويت ومكانتها في العالم أجمع.

الأوقاف عقدت مؤتمر الوسطية في أذربيجان

بمشاركة العديد من الجهات العالمية في مقدمها وفد من الاتحاد الأوروبي ووفد اليونسكو والمدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بجانب وزير التعليم الأذري ووزارتي الخارجية والداخلية وإدارة مسلمي القوقاز واللجنة الحكومية لشؤون الأديان ووزارة الأمن القومي في أذربيجان واتحاد المنظمات الشبابية».

عقدت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت وبالتعاون مع وزارة التعليم الأذرية في العاصمة الأذرية «باكو» في الفترة ما بين ١-٢ مارس الماضي تحت رعاية رئيس الجمهورية مؤتمر وسطية الأمة وأثرها في تربية الشباب وتهدف الوزارة من وراء عقد مثل هذه المؤتمرات جملة من الأهداف في مقدمها جعل الكويت مركز إشعاع حضاري لمنهج الوسطية بناء على توجيهات وزير الأوقاف وتماشيا مع التوجيهات العامة لصاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمدالجابر الصباح ومنها تعزيز العلاقات بين الكويت ودول العالم وإبراز دور الوسطية في حياة الأمة.

أحداث التفاعل بين الجهور والأراء الفقهية الصادرة عن الوزارة فضلا عن التأكيد على ما سارت عليه الوزارة من تبني فقه الاعتدال في معالجة قضايا المجتمع. وأوضح عمادي أن المجال الثالث يركز أيضا على الاهتمام بدور الموسوعات الفقهية والمخطوطات الإسلامية والبحوث الشرعية في توضيح رأي الدين في القضايا العامة والخاصة.

وقال إن «المجال الرابع وهو الإعلام معنى بتوصيل رسالة الوزارة لجميع أفراد ومؤسسات المجتمع تحقيقا لأعلى درجات التعريف بهذه الرسالة من جهة وتأكيدا لمبدأ الشراكة في تحمل أعبائها التوجيهية من جهة أخرى» وزاد: «يركز هذا المجال على توسيع نطاق الإعلام القيمي الهادف واستثمار الأدوات الإعلامية المتاحة لنشر قيم الاعتدال والوسطية وترسيخ مفاهيم تنموية مرتبطة بتعاليم الدين الحنيف والشريعة السمحة».

وقال عمادي إن «المجال الخامس هو التواصل المحلي والدولي ويهتم بالاتصال والتواصل في جميع الأطراف المعنية بالقضايا التنموية من شخصيات ومؤسسات وجهات حكومية وأهلية خصوصا داخل وخارج البلاد بما يعزز التأكيد على نبذ التعصب والغلو ويعمق التفاعل الإيجابي مع الحضارة المعاصرة مع الحفاظ على السمات الاسلاسية للهوية الإسلامية.

وأضاف أن «المجال الخامس يركز على تأكيد مهمة الوزارة كواجهة لدور دولة الكويت النشط في دعم الثقافة الإسلامية المعتدلة عبر وجودها الفاعل في المحافل الدولية المختلفة».

وأشار إلى أن «المجال السادس يتعلق بالعمل المؤسسي من حيث تطوير عناصر ومكونات العمل المؤسسي داخل الوزارة وفق معايير وأسس عالمية معتمدة إذ يغطي عمليات تخطيط البرامج ومتابعة تنفيذها وتقديم برامج التنمية المستمرة للعاملين وذلك تحقيقا للمستويات العالية في الإنجاز».

حصاد الخير

• افتتح د. عبدالله المعتوق يوم ٢٠٠٦/٢/١٩م مؤتمر وثاق الأول للتأمين التكافلي وقال في كلمة افتتح بها المؤتمر: إن تطوير سوق صناعة التأمين الإسلامي في الكويت يعزز التكامل في بنية الصناعة المالية الإسلامية التي تتسع يوماً بعد يوم.

• أعلن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. عادل الفلاح أن الوزارة تعد الترتيبات اللازمة لإقامة مؤتمر الوسطية في لندن خلال شهر إبريل الجاري، مشيرا إلى أن تلك الفكرة مساهمة من الكويت في أداء الواجب الديني ونشر الاعتدال والفكر المتوازن، ومحاربة التطرف بكل أشكاله وألوانه.

• أعلن الأمين العام للأمانة العامة للاوقاف د. محمد عبد الغفار الشريف عن تقديم الصندوق الوقفي للتنمية الصحية دعماً ماليا بلغ ما يقارب ١٨٠ الف دينار كان قد أقرها مجلس إدارة الصندوق للمساهمة في دعم مسيرة التنمية والتوعية الصحية داخل دولة الكويت وذلك في إطار استراتيجية الأمانة العامة للأوقاف ورؤيتها الرامية إلى دعم ومساندة الجهود الرسمية والتطوعية والخيرية الساعية إلى تلبية احتياجات المجتمع في مختلف المجالات.

• اقامت إدارة التنمية الأسرية بوزارة الأوقاف الملتقى الاجتماعي ضمن فعاليات برنامجها الثقافي الملتقى الاجتماعي الأسري الأسبوعي للنساء الذي افتتح يوم ١٢ فبراير الماضي وسيستمر حتى ١١ من يونيو المقبل.

• أعلن مدير مكتب شؤون الحج في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية خالد بو غيث عن مخالفة ١١حملة حج هذا العام بسبب عدم التزام هذه الحملات بقانون تنظيم الحملات وتوفير وسائل الصحة العامة والسلامة وضمان أداء الحجاج مناسك الحج على الوجه الأكمل.

الداعية الإسلامي الكبير "الشيخ أحمد حمود الدبوس":

العمل الخيري يحتاج دائماً إلى الدعم والمساندة

حوار: محمد حمد الرشيد

الداعية الإسلامي الكبير الشيخ «أحمد حمود الدبوس» أحد رواد العمل الخيري الإسلامي في دولة الكويت، له تاريخ طويل في الدعوة إلى الله منذ ما يزيد على «٣٠» عاماً.

في العام ١٩٩١م أي بعد تحرير الكويت من الغزو العراقي راودته فكرة إنشاء مشروع خدمة القرآن الكريم وبعد دراسة وافية ومشاورات استمرت ثماني سنوات بدأ مشروع «الشفيع» لخدمة القرآن الكريم في عام ١٩٩٩م.

وبعد مرور سنوات على بدء المشروع التقته الوعي الإسلامي ليحدثها عن أهداف المشروع وآلياته وماذا حقق خلال السنوات الماضية، كما تطرقنا في الحوار معه الى الحديث عن العمل الخيري الإسلامي الكويتي بصفة عامة وما يثار حوله من شبهات مغرضة، والحديث عن العمل الدعوي على مستوى العالم بشكل عام، وفيما يلي تفاصيل الحوار.

● **بدءاً نريد أن تعطينا فكرة عن «مشروع الشفيع»؟**

- نحن في العمل الخيري منذ ٣٠ عاماً، وهذا أثرفينا تأثيراً مباشراً ومشروع الشفيع أخترت له هذا الأسم لأنه يتعلق بالقرآن الكريم الذي يأتي شفيعاً لأصحابة يوم القيامة.

وكل من عمل في العمل الخيري والدعوي عندما يستمر في عمله لابد وأن يتوقف ويراجع نفسه ليرى ماذا حقق والى أين وصل وأنا في الحقيقة بعد هذه الأعوام الطويلة في العمل الدعوي والخيري وجدت أنني لم أحقق عملاً ملموساً، لذلك فكرت في أنه يجب أن أسس عملاً خيرياً خاصاً وانطلق به لأن العمل الخيري العام لا يستطيع أن يستوعب جميع التخصصات والفرعيات.

ومن ثم فكرت في التخصص في العمل الخيري لخدمة القران الكريم، بحيث استطيع ان أحقق الهدف خلال خمس أو ست سنوات أو حتى عشر سنوات وراودتني الفكرة منذ العام ١٩٩١م أي بعد الغزو العراقي للكويت وبعد مرور نحو ثماني سنوات أي في العام ١٩٩٩م حيث بلغت من العمر ٥٢ عاما، وبعد أن نضجت الفكرة تكلمت مع عدد من الأحباب حتى يشاركوا في هذا العمل منذ بدايته، وناقشتهم بإلحاح في هذا الموضوع الذي هداني إليه الله، وأوضحت لهم أنه رغم أمتلاكنا لكل الإمكانات المادية والبشرية إلا أننا نتفوقع في أواخر دول العالم من حيث التقدم ووجدت أن لدينا أهم وأقوى شيء وهو غائب عنا ألا وهو «القرآن الكريم» الذي تركناه وأهملناه فأهملنا ولذلك تخلفنا ومن ثم فكرت في عمل يخدم «القرآن الكريم».

وبعدها ذهبت الى تشاد وهناك ذهلت عندما وجدتهم يهتمون أهتماماً كبيراً بالقرآن وبحلقات تحفيظ القران الكريم، ووجدت في العاصمة «نجامينا» وحدها نحو ١٥٠٠ حلقة وكل حلقة فيها نحو «٥٠» طالباً فقلت سبحان الله هذه الروح عندهم رغم أنهم بعيدون عن العالم العربي والإسلامي.

لذلك سميت المشروع «الشفيع» لخدمة القرآن الكريم، وأخترت الإسم

من حديث الرسول ﷺ «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» وانطلقت والآن لدينا أكثر من ٦٠ حلقة قرآنية.

● ما هي أهداف المشروع... وما مدى انتشاره في العالم؟

- عندما بدأنا نعلم القرآن وجدنا الأمة والحمدلله فيها خير كثير، ووجدنا في تشاد الآلاف من الحلقات القرآنية، لكننا وجدناهم يركزون على الحفظ والتلاوة فقط، فقررت أن أترك بصمة في هذا العمل ولا أركز على تحفيظ القرآن فقط. وحرصت على كفالة الطالب المميز كفالة تامة وتبنيت الطلاب والطالبات المميزين في الحلقات والذين لديهم طموح وعطاء وشجعتهم، وركزت على هذه الشريحة كما ركزت على تحمل مسؤولية إدارة الحلقة وانتقاء الطالب المميز لإعطائه فرصه لإتمام دراسته الجامعية كحائزة له على تميزه.

وبعد ٦ أشهر من المتابعة كنت أسأل أحد الطلاب ماذا تريد أن تصبح في المستقبل، فيقول: طبيب متخصص في جراحة القلب.. فقلت سبحان الله في تشاد في الصحراء هناك من يتمنى أن يكون طبيباً متخصصاً في جراحة القلب وأساله ما الهدف فيقول لأعالج أهلي وأبناء بلدي، فقلت لماذا تحفظ القرآن إذاً وما علاقة ذلك بالطب؟.. فيقول: أنا أحفظ القرآن لأتحصن به وأنمي الإيمان في قلبي لأعالج المرضى وأنا أخشى الله، فإذا اهتممنا بهذا الطالب وساعدناه نصنع منه إنساناً صالحاً ومفيداً لنفسه ولوطنه، أما إذا تركناه فسيذوب في مجتمعه ولا يستطيع أن يتم دراسته.

وخلال عملنا في القاره الأفريقية قابلنا نماذج متعددة من الأشخاص الطموحين الذين يريدون حفظ القرآن الكريم مع ما بهم من فقر أو مرض أو عائق يحول بينهم وبين استكمال دراستهم الجامعية. ومن هذه النماذج: طالب يتيم وجدناه جالساً في أحد مساجد تشاد يقرأ القرآن فقلت له: كم تحفظ من القرآن؟ قال كله.. قلت: كم عمرك؟ قال: ١١ سنة قلت ما شاء الله كيف حفظت القرآن قال: الحمد لله عن طريق شيخ المسجد وذكر أن والده متوفي وهو الآن يتحمل مسؤولية والدته واخوته وهو طالب في المدرسة ويتمنى أن يكمل دراسته الجامعية فهذا عندما نكفله ستكون له نقلة نوعية وسننشئ عنصراً صالحاً في المجتمع، ولا ندري مدى السعادة التي ترتسم على وجهه عندما عرضنا عليه كفالته الدراسية.

وهناك شخص آخر مصاب بشلل نصفي وجدناه في منطقة الغابات في السودان ورغم هذه الإعاقة كان الأول في حفظ القرآن والأول في التفاعل وحضور حلقات التحفيظ ووجدناه يهتم بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً يحافظ على الصلوات الخمس في المسجد، ويخلف الشيخ في الإمامة إذا غاب ويحفظ مكانه.

وسألنا طالباً آخر في مدينة طنجة في المملكة المغربية وكان من أعجب ما رأيت.. صورته آية جعلها الله لنا فيداه مقطوعتان ومع ذلك يأكل ويشرب ويكتب عن طريق أرجله.. وأنا أحتفظ له برسالة كتبها برجله يقول فيها:

«إلى حضرة الشيخ «أحمد الدبوس» مدير «مشروع الشفيع» أطلب كفالتي..»

هذا الطالب عندما نرعاه ونكفله ونعينه على نوائب الدهر يشعر أن هناك أناس مسلمون من حوله يكفلونه ويرعونه ويساعدونه على شق طريق في الحياة ونحن ركزنا على الطلاب المميزين الذين لديهم طموحات وكنا نحثهم ونساعدهم على إكمال دراستهم الجامعية حتى يصبحوا أساتذة في تحفيظ القرآن ولا يكتفون بحفظ القرآن فقط. بل يكون لهم تأثيرهم في المجتمع، فأنا، ولله الحمد، منّ علي الله فيما تبقى لي من عمر أن أرتبط مع أفضل شريحتين هم الطلاب من حفظة القرآن ومعلميهم الأتقياء الأنقياء.. الأصفياء.. الأخيار.. المعطاؤون الذين لا يهمهم كنز المال ولا تغريهم التوافه فهؤلاء يعتبرون كنزهم في الحياة حفظ القرآن الكريم، فالرسول ﷺ أحيا بالقرآن أهل مكة ونقلهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام ومن الشرك والبدع والخرافات إلى هدي الله القويم.

وأذكر هنا قصة طالبة يمنية عجزت عن القراءة فحفظت القرآن بسماع آله التسجيل وآخر زيارة لنا في اليمن وجدنا طالبة لاتعرف القراءة والكتابة إلا أنها حفظت القرآن عن طريق المسجل.. وهذه المرأة بعد أن حفظت القرآن عن طريق المسجل بدأت في تعليم البنات طريقة التحفيظ وأصرت على أن نعلمهن القراءة والكتابة وتم ذلك خلال ستة أشهر، وبعدها تزوجت وافتتحت مكاناً لتحفيظ القرآن ولديها ٢٥٠ طفلاً وطفلة.

وبعد أن تم لها ما أرادت ذهبنا إليها وسألناها ماذا تريد منا كمساعدة؟ فقالت لا أريد سوى خيمة للأولاد وأوراق، ومثل هذه المرأة يجب على المجتمع الإسلامي أن يعينها ويرعاها؟

أما الهدف الثاني لـ «مشروع الشفيع» فهو كفالة المعلمين وقد وجدنا أناساً لا هم لهم إلا أن نعتني بهم ولا يهمهم المرتب المادي ولا الطعام أو الشراب بل كل همهم أن يحفظوا القرآن الكريم فقط، ومن ثم قمنا بكفالة هؤلاء المعلمين وعملنا على أن يتفرغوا لتحفيظ كتاب الله الكريم، كما حرصنا على إنشاء المراكز القرآنية، ووفرنا لهم الإمكانات خصوصا لمن يسكنون الصحراء، وحفرنا لهم الآبار.

- والمعلم النموذجي.. يربي ويعلم ويؤثر على الطالب والطالبة.. ويغرس جوهر وروح القرآن لدى الطلاب.

ونحن ركزنا تركيزاً جدياً على المعلمين أصحاب السلوك العملي للقرآن داخل وخارج الحلقات القرآنية من حيث سمته وشخصيته وأخلاقه وسلوكه الإسلامي وعطائه وتميزه

والهدف الثالث لـ «مشروع الشفيع» هو الوقفية فقد نذرنا وقفية أسمها «وقفية الشفيع لخدمة القرآن الكريم» ينفق ريعها على الطلاب والمعلمين.

● كيف ننهض بالأمة عن طريق هذا النوع من المشاريع؟

أفضل مرب على وجه الأرض مارسم في القرآن الكريم من أخلاق وقيم أنظر مثلاً الى النماذج من حفظة القرآن الكريم ترى أن أهم صفة فيهم هي بر الوالدين.. فإذا سألت أي طالب منهم عن أهم شيء عنده يقول لك: والداي.. وهكذا وجدنا والحمد لله أن القرآن سبب رئيسي وفاعل في إصلاح الشباب وتقويم وسلوكهم..

كما نرى أن صاحب القرآن يتعالى على الترف والكماليات ويعزف عن الماديات ويعيش جواً آخر.. حيوياً نشيطاً مؤثراً طموحاً كما نجد لديه حرصاً على نقل الجو المحيط به الى الآخرين، وجلسنا مع بعض المعلمين المميزين فوجدنا ان روح القرآن الكريم فرضت نفسها عليهم .. إنه سلوك حي للقرآن..

كما أننا نحث المعلم على الإهتمام بالطالب المتميز حتى يجذب انتباهه ويحفز همته حتى يتفوق.

وفي «مشروع الشفيع» كذلك أصدرنا أربعة كتب هي: مظاهر ضعف الإيمان وعلاجه - العودة إلى القرآن لماذا؟ وكيف؟

بناء الإيمان من خلال القرآن - الإيمان أولاً فكيف نبدأ به.

فنحن بحاجة الى الإيمان قبل القرآن.. الإيمان الذي يفعّل الناس ويشكلهم.. بحيث يجعل لهم روحاً وأثراً في سلوكهم.

ويجعل شخصياتهم متزنة ليس فيها تطرف أو تفريط.

وصاحب القرآن لا يكون همه نفسه فقط، بل يكون همه الأمة والعالم والحياة كلها.. كما كان الرسول ﷺ.

● ما تقويمك للدور الذي تقوم به الجميعات الخيرية وبخاصة الكويتية؟

- العمل الخيري يكفيه اسمه كونه عملاً خيرياً والقائمون عليه حريصون على الثواب ويتميزون بالصفاء والنقاء والإخلاص والإنطلاقة الحيوية..

وهذا ما يميز عملنا الإسلامي عن بقية عمل المؤسسات العالمية.. وبالنسبة للعمل الخيري الكويتي فهو يتميز بميزات كثيرة منها أن له تأثيراً مباشراً على حكومات الدول.

والميزة الأولى للعمل الخيري الكويتي أن الذين يشرفون عليه أناس مميزون من ثلاث نواحي من ناحية الدين والخلق والسمة الشخصية، ومن ناحية الطموح والتفكير في تطوير مشاريعهم الخيرية الناحية الثالثة العطاء الذاتي من دون مقابل.. هذه المزايا اعطت لروح العمل الخيري الكويتي الانتشار العالمي، وجعل المغرضين الذين حاولوا النيل من العمل الخيري في الكويت في حيرة لا يجدون شيئاً يمكن أن يأخذوه عليه سواء من حيث طهارة اليد أو مصادر التمويل أو الإنفاق لأن العمل الخيري في الكويت ينطلق في رعاية الله وعنايته لأن «الله يدافع عن الذين آمنوا».

وهو عمل يتميز بكونه مخططاً ومدروساً وميدانياً ويتم التأكد من التنفيذ والتوصيل، ويحرص المسؤولون في العمل الخيري على اختيار العاملين في هذا المجال بدقة حيث يراعى فيهم الأمانة والخوف من الله والحرص على العطاء.

والأمر الآخر أن العمل الخيري في الكويت يتميز بالاستمرار وعدم الإنقطاع حتى أيام الغزو وبعد أن قطعت السبل وجفت الموارد لم يتوقف العمل الخيري، بل قام الإخوة باقتراض أموال من التجار الخليجيين للانفاق على العمل الخيري حتى لا تتوقف أوجه الصرف على المحتاجين وأبواب الخير المختلفة.

وبعد التحرير قاموا بتسديد الديون لمن اقترضوا منهم، لذلك الله تعالى يبارك في هذا العمل، ويحفظ هذا البلد الغالي نتيجة العمل الخيري المتواصل، وكان السبب الرئيسي بعد الله سبحانه وتعالى في إرجاع هذه البلاد واستقرار أهلها في إعتقادي هو العمل الخيري لأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

وبحمد الله أصبح الآن لكل عمل خيري متخصصين وكانت مسيرة العمل الخيري في الكويت قد انطلقت من أيام الأجداد وكان من ثمرة ذلك أن نشأ الأبناء والأحفاد على حب هذا العمل وتطوعوا له وقدموا اسهامات كبيرة في الداخل والخارج يشهد بها القاصي والداني، وبفضل الله أصبح يطلق على الواحد منا رائد العمل الخيري واصبحنا مميزين في هذا العمل ونعطي دورات للجان الخيرية المبتدئة ونساعد بخيراتنا في إنشاء الأعمال الخيرية في كثير من الدول.

● ما ردكم على الإتهامات والطعون التي تكال للعمل الخيري؟

● لوح خشبي لأحد الطلبة في افريقيا أهداه للشيخ تقديراً لجهوده

● حفظ الله الكويت بفضل العمل الخيري الذي تميز به أهلها
● طالبة أمية حفظت القرآن الكريم كاملاً عن طريق آلة التسجيل

- الكلام سهل والطعن أسهل، بالله عليك هل يستطيع أن يطعن أحد في الأخ «يوسف الحجي» أو الأخ «عبدالله المطوع» أو الأخ «طارق العيسى» أو «محمد الجاسم» أو «نادر النوري» أو «خالد المذكور» أو «عجيل النشمي» أو «أحمد بزيع الياسين» أو «أحمد القطان» أو الشيخ الحبيب «جاسم المهلهل الياسين»، فهؤلاء هم رواد العمل الخيري في الكويت الذين يعملون في هذا الميدان وأصبحوا رموزاً في العطاء والنقاء والصفاء والخلق والسلوك والاتزان والانضباط في التعامل والحياة، وهؤلاء كل المجتمع يعرفهم ولايعملون لأنفسهم خصوصاً إذ علم الناس أنهم يعانون من أمراض ومع ذلك يحملون أنفسهم ويعملون ويستمرون في العمل التطوعي الخيري قاصدين وجه الله تعالى، وللأسف الشديد يأتي الطعن في أحب الناس إلينا لكن، ولله الحمد، الناس تتعامل معهم من واقع العمل والبرهان وليس من واقع الاتهامات والكلام المرسل الذي لا يستطيع أن يأتي صاحبه بدليل واحد على الاتهامات التي توجه للعمل الخيري الكويتي او القائمين عليه.

وبفضل الله تعالى زاد العمل الخيري في الكويت رغم زيادة هذه الطعون التي شككت فيه، فهذه الطعون جعلت الناس يسألون ويناقشون ولمسوا بأيديهم طهارة العمل الخيري الكويتي وجهوده الكبيرة داخل وخارج البلاد، حتى أننا أصبحنا نصطحب معنا المتبرعين الى ميادين العمل الخيري في الداخل والخارج ليروا بأعينهم ما يتم

• مشروع الشفيع .. راودتني فكرته العام ١٩٩١م وبدأت تنفيذه العام ١٩٩٩م

• لدينا في مشروع الشفيع اكثر من ٦٠ خلوة قرآنية في تشاد

من إنجازات كبيرة وأن أموالهم تذهب الى المشاريع التي أرادوها ويلمسوا السمعة الطيبة للعمل الخيري الكويتي في أنحاء العالم، وزادت ثقة المواطنين في القائمين عليه.

• تحدثتم عن العمل الخيري الجماعي.. فماذا عن دور الصالحين في نهوض الأمة وتوجيه العمل الخيري؟

- سأذكر لك كلمة عن دور الصالحين في العمل الخيري فأنا لم أدرس إدارة أعمال ولكن درست الشريعة لكن الإخوان الصالحين الطيبين عملوا لنا دورات في جميع أعمال العمل الخيري سواء الإدارية أو المالية أو غيرها، وهذه الدورات أقامها إخواننا الصالحين الطيبين ودعموها مادياً بشكل منقطع النظير وبصورة مستمرة كما أن للصالحين دوراً آخر وهو توعية الأبناء والبنات ولا يقتصر فقط على تقديم الدورات.

وبالنسبة للإحساس بحب عمل الخير فإننا نجده لدى عامة الكويتيين وتتوارثه الأجيال وأذكر أن ابن أخي أيام قضية البوسنة والهرسك وكان عمره ١٣ عاماً عمل صندوقاً من الكرتون وجمع فيه ٤٠٠ دنيار وأعطاها لوالده لإرسالها إلى البوسنة لإغاثة المنكوبين هناك، وبذرة الخير لا تنقطع من الكويت بفضل الله.

• كيف تكون العلاقات بين الدعاة وكيف يتم تطويرها؟

- الدعاة يكفيهم الإسم، وهذا فضل من الله أن يجعلهم من الدعاة إليه، يقول تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران - ١٠٤) ومطلوب من الدعاة أن يعيشوا روح الأخوة، وأن توجه جهودهم إلى جميع أنحاء العالم حتى ينشروا الخير والهداية للناس أجمعين.

ونحن نرى أن لجان العمل الخيري تنتشر في كثير من أنحاء العالم، وفي كل مكان نجد بصمة كويتية أو عملاً خيرياً كويتياً فالأخوة هي التي ربت فينا هذا الشعور، نحن نتمسك بقول رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وهذه الروح العالية لها دور واسع في ربط أصول العقيدة والإيمان لنحيا حياة الإسلام، حتى إنني لما زرت آخاً لنا في الصين قال لي: الحمد لله إنني الآن عمري ٨٠ عاماً وأرى بعد هذا العمر مسلم عربي يلبس الدشداشة والعقال قبل أن أموت، هذه الأخوة صنعت فينا روح التفاعل المرتبطة بحياة الرسول ﷺ تربينا على العيش الجماعي والتكافلي في ظل العقيدة الإسلامية السمحة.

• هل هناك تعاون بينكم كلجان خيرية ودعاة؟

- الحمد لله كلنا نكمل بعضنا بعضاً وعالمنا الإسلامي يحتاج الى لجان وليس لجنة واحدة.. وكلما كثرت اللجان كلما كان الخير مركباً، والعمل الخيري يتطلب العمل في جميع المجالات.

• لوح خشبي يستعمل لحفظ القرآن

• ما الذي يحتاجه ويفتقده العمل الخيري الإسلامي لرفع أدائه والنهوض به؟

العمل الخيري يحتاج الى الدعم المادي وهو موجود ولكن لا يكفي وحده لإتمام المشاريع كما يحتاج العمل الإسلامي الى جانب إعلامي وأتمنى أن تقام محطة فضائية لتغطية العمل الخيري وذلك لنقل الصورة الحقيقة لهذا العمل التكافلي الإسلامي العظيم، وذلك سيؤدي الى نقلة نوعية لهذا العمل وهذا ما يحتاجه العمل الإسلامي ليكفيه شر الطعون والغمز واللمز وعن طريق الإعلام نوضح للناس أين ذهبت نقودهم التي تبرعوا بها ونظهر جهود العاملين في هذا المجال، فالإعلام يعتبر العصب الرئيسي بالنسبة لأي عمل الآن.

كما نحتاج في العمل الخيري إلى سواعد الشباب للقيام بالمهام الخيرية والتنموية، ونحتاج كذلك الى الاهتمام بالعمل التعليمي لأن فيه نقص كبير وكذلك نحتاج إلى الوقفيات للانفاق على العمل الخيري فالصدقة الجارية أجرها مستمر الى يوم القيامة، فجميع المسلمين مسؤولون عن العمل الخيري والحمد لله بلدنا أهل المبادرات الحيوية في تفعيل الوقفيات والمساعدات.

والعمل الخيري الكويتي غير محصور في المسلمين فقط بل ربما يستفيد منه أصحاب الديانات الأخرى وحتى الوثنين.. فيؤثر فيهم عن طريق العطاءات والمعاملة الحسنة والتواضع والتراحم، والحمد لله عندما حاول الغربيون أن يطعنوا في الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر تسببوا في اسلام الاف الأشخاص وقمنا بتوزيع ٣٠ ألف نسخة من القرآن الكريم ليتفحصوا ما فيه من عقيدة سمحة ومعرفة للاسلام الحقيقي ومن ثم أسلم منهم ٦ آلاف شخص بسبب إطلاعهم على حقيقة ما في القرآن الكريم، وبفضل الله نحن لم نحاورهم وإنما جاءوا إلى الإسلام طواعية بعد قراءتهم للقرآن الكريم لما فيه من فضل وأخلاق حميدة ترسم معالم الإسلام الصحيح إذن نحن المسلمين على حق.. فلماذا لا نسعى إلى الدنيا بهذا القرآن العظيم.

وفي النهاية أود من أخواني القراء أن يدركوا حقيقة القرآن، فنحن لم نعطه حقه في الدراسة والتمحيص لنرسم معالم الدين الصحيح ومن هنا أقول إذا أهتممنا بالقرآن انتقلنا نقلة نوعية إلى معالم الدين الصحيح الذي لا إكراه فيه فأنا لم أر في حياتي أصفى ولا أنقى من الشريحة التي تعمل في القرآن الكريم، وتعمل على خدمته فعلى الجميع أن يهتموا به لأنه الشفيع يوم القيامة.

تعزيز المنح الوسطية والتعاون مع الايسيسكو أوصاف مختصر مؤتمر

نحن والآخر

اعداد التحرير

أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية واللجنة العليا لتعزيز الوسطية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو) مؤتمر «نحن والآخر» تحت رعاية رئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد الأحمد الصباح في الفترة من ٦-٨ مارس الماضي وذلك في فندق شيراتون الكويت.

وحضر المؤتمر لفيف من العلماء والمفكرين والسياسيين وأصحاب القرار من شتى دول العالم. وتركزت محاور المؤتمر الرئيسية حول معالم التعايش مع الآخر، وآفاق التواصل مع الآخر، وماذا يريد كل منا من الآخر.

وافتتح ممثل راعي الحفل د. عبدالله المعتوق المؤتمر بالترحيب بالحضور الكريم في بلدهم الثاني الكويت وبين أهليهم مؤكداً أن الكويت كانت سباقة دائماً في دعم القضايا الإسلامية والعربية وحرصها الدائم على الالتقاء بالعلماء والمخلصين لمناقشة قضايا أمتنا والمساهمة بالفكر المستنير في تشخيص أدواء هذه الأمة واقتراح العلاج الأمثل لمشكلاتها.

وأشار د. المعتوق إلى أن هناك عوامل كثيرة داخلية وخارجية اجتمعت لتشويه صورة الإسلام والإساءة إلى عقيدته الأمر الذي مكن الأعداء من رمي أمتنا بتهم العنف والإرهاب موضحاً أن الهدف الأسمى من هذا المؤتمر هو الكشف عن وجه الإسلام الحقيقي الذي يسعى إلى مد الجسور مع الآخر واحترامه وتقدير رأيه.

وأضاف أن السماحة والقبول بالآخر في الإسلام بلغت حداً لا مثيل له في أي دين آخر لأنه اعترف بالأديان واللغات والقوميات، وعامل المسلمون أهل الملل الأخرى معاملة كريمة بلا خداع ولا ظلم ولا تعسف مبيناً أن الأصل في علاقة الشعوب والدول على هذه الأرض أن يعيشوا بتفاهم وتعاون من أجل خير الجميع.

وكشف المعتوق عن المكرمة الأميرية المتمثلة في جائزة حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لتعزيز الوسطية والرد على الفكر المتطرف وهي جائزة سنوية ستقوم بتنظيمها اللجنة العليا لتعزيز الوسطية والرد على الفكر المتطرف بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

من جانبه قال عبدالعزيز الجار الله ممثل الايسيسكو أن العالم العربي والإسلامي لم يشهد أزمة ثقة مع الآخر مثل الأزمة التي يشهدها اليوم موضحاً أن رسولنا الكريم أسوة حسنة وتعاليم القرآن

الإسلام رسالة سامية تؤكد على التسامح ونبذ التعصب وقبول الآخر

• د. المعتوق: الكويت حريصة على نشر الوسطية والرد على الفكر المتطرف

• الشيخ طنطاوي: ضرورة تأصيل الحوار المشروع المبني على أسس سليمة

قدوة مباركة لما فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالتالي فإن ردودنا على سوء فهم الآخر ستظل مستنيرة بالتعاليم الإسلامية السمحة والمستمدة من مقاصد الشريعة الإلهية العادلة.

وأشار إلى جهود منظمة الايسيسكو في الحوار بين الثقافات والحضارات، حيث أقامت مؤخراً ندوة دولية حول الحضارات والثقافات الإنسانية بحضور نخبة من العلماء والرؤساء.

ودعا إلى ضرورة تشجيع الحوار وتعزيز التواصل مع الآخر للرد على الفكر المتطرف.

من جهته أكد شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي في كلمة المشاركين وضيوف المؤتمر على أهمية السلم الاجتماعي في التعايش بين المجتمعات الإنسانية مشيداً بدور الكويت على الصعيدين الرسمي والشعبي في العمل على نشر السلام في العالم. وبين أن منهج القرآن أرسى دعائم التعامل الحكيم بين أبناء الأمة المسلمة وغيرهم من ذوي العقائد والملل الأخرى.

وتطرق طنطاوي إلى بعض الحوادث التاريخية التي أثبتت عدالة الإسلام كما في وقضية الخندق وموقف بنو قينقاع وبنو النضير.

وأضاف أن الإسلام دين العدل، إذ لم يحاسب على العقائد لأن الذي سيحاسب عليها هو الله تعالى مضيفاً أن القرآن الكريم فتح أبواب الحوار مع أصحاب الفطر السوية والعقول المتزنة لإيصال رسالته الخالدة للناس.

وألح طنطاوي على ضرورة انتهاج المنهج القرآني في التعامل مع الغير في كافة الأصعدة وتأصيل الحوار المشروع المبني على أسس سليمة تعمل على نشر السلام في العالم.

وتخللت فعاليات المؤتمر جلسات متنوعة على مدار يومين حضرها جمهور كبير من المثقفين والسياسيين وأصحاب الرأي.

وأصدر المشاركون في مؤتمر «نحن والآخر» في الجلسة الختامية توصياتهم التي جاءت على النحو التالي:

١- يعتبر المؤتمر أن الاختلاف في الأديان واللغات والقوميات سنة كونية وظاهرة طبيعية بشرية، ولايصح أن تكون سبباً للتعادي والتخاصم، وإنما ينبغي أن تستثمر لصالح تكامل المعرفة وإثراء الساحة الإنسانية.

٢- يدعو المؤتمر إلى ضرورة اعتماد منهج الوسطية ونبذ ما يصدر من تصرفات تحمل روح التعصب أو الازدراء للآخر.

٣- يؤكد المؤتمر أن الإسلام يدعو إلى مد جسور التعاون مع الآخر على أساس من الاحترام المتبادل، والكرامة الإنسانية المصونة.

٤- يؤكد المؤتمر أن الإسلام يحمل للإنسانية جميعها رسالة سامية تدعو إلى التسامح مع الآخر، وأن رسالته تنسجم مع نسق الحياة الإنسانية.

٥- يدعو المؤتمر إلى احترام الاستشراق المنصف الذي يهدف إلى فهم ثقافة المسلمين معتمداً على منهجية علمية موثوقة، ونبذ الاستشراق المغرض.

٦- يؤكد المؤتمر أن التحاور مع الآخر لايعني التدخل في قضاياه الإيمانية أو معتقداته الشخصية وإنما يهدف إلى توثيق أواصر الأخوة الإنسانية بهدف تحقيق الاستقرار والأمن لشعوب العالم.

٧- يؤكد المؤتمر على أهمية التعاون مع الآخر من خلال برنامج عملي يحقق التواصل بين الشعوب مشدداً على دور التربية والإعلام في توسيع آفاق التعاون والحوار مع الآخر.

٨- يؤكد المؤتمر أن من حق كل أمة التمسك بهويتها وأن التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية وأن التواصل مع الآخر تتعدد وسائله بتعدد مجالاته.

٩- يؤكد المؤتمر أن حقوق الإنسان وحرياته لا ينبغي أن تتخذ ذريعة للنيل من مقدسات الآخر وثوابته وخصوصياته.

أفريقيا ومشكلة المعونات المعدلة وراثيا.. الانتصار لمن؟

بقلم: د الخضر عبدالباقي
محمد- نيجيريا

وسط عواصف من الأحداث والأوضاع المتصاعدة في بعض الدول الأفريقية التي توصف بالمجاعة.. تصرخ أفريقيا مستغيثة تطلب المعونات.. فتسرع الولايات المتحدة مستجيبة لكن.. كلها محاصيل ومواد غذائية معدلة وراثياً!! يتحير الإفريقي الجائع هل يقبل تلك المعونات.. أم أنها ستقتله مثلها مثل الجوع.. ورغم أن المحاصيل الزراعية المعدلة وراثيا باتت تستخدم في مختلف البلاد منذ فترة ليست قليلة، فقد بدأ استخدامها بشكل موسع منذ عام ١٩٩٥م، إلا أن جدلا كبيرا يسود الأوساط الأفريقية حالياً بشأن الاعتماد على معونات من تلك المحاصيل واستهلاكها آدمياً.

انقسم الشارع الإفريقي بين مؤيد ومعارض فمن بين دول مجموعة سادك والتي تضم دول: جنوب أفريقيا، زيمبابوي، زامبيا، سويزلاند، ليسوتو، موزمبيق، ناميبيا، انجولا، وتنزانيا إضافة إلى موريشيوس وملاوي، قبلت كل من زيمبابوي وموزمبيق وملاوي المواد الإغاثية من الأطعمة المعدلة، في حين تعد زامبيا الأشد رفضاً لقبول مثل تلك الأطعمة لسد حاجتها الغذائية، حتى أنها منعت استخدام موانئها للدول المجاورة في استيراد تلك المحاصيل، وبقيت دولة ليسوتو وسوزيلاند بدون تحديد موقفهما من القضية بشكل نهائي.

زامبيا.. الأعلى صوتاً

وقد ظلت زامبيا منشغلة بقضية المخاطر الصحية المترتبة على استخدام تلك المحاصيل، حتى أن رئيس الجمهورية أرسل لهذا الغرض فريقا من العلماء إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتأكد من سلامة المحاصيل المستوردة من هناك إلى البلاد خاصة الذرة. ولم تقتصر موجة الرفض الزامبي على القطاعات الرسمية والأكاديمية بل امتدت

إلى المجتمع المدني، حيث كون الاتحاد الوطني للفلاحين كما جاء في نشرته الشهرية لشهر نوفمبر ٢٠٠٥ تحالفا وجبهة للمعارضة.

وتكمن مخاوف الفلاحين المحليين في زامبيا من أن تمتد مضاعفات استخدام تلك المحاصيل لتلحق أضرارا بالنشاط الزراعي للفلاحين التقليديين الذين يعتمدون على الوسائل التقليدية في الزراعة، خاصة أن النقاشات الدائرة تركز على زاويتي الصحة والبيئة وتتجاهل ما يمكن أن يحدث لهياكل وأوضاع الإنتاج الزراعي في البلاد، لذا نهض أكثر من ٣٠٠ ألف فلاح للتنديد بهذه المعونات ومحاولة وقف دخولها البلاد.

ومن جهتها أعلنت الولايات المتحدة الأميركية بأن الموقف السلبي الذي اتخذته بعض دول الجنوب الأفريقي إزاء قبول تلك المحاصيل المهندسة قد يؤثر على حركة المواد الإغاثية نحو أفريقيا إذا استمرت موجة المعارضة كما ذكرت مجلة «فورتشن» -FORTUNE MAG AZINE الصادرة في هولندا.

المؤيدون.. هي الحل الجذري

ومن ثم جندت أميركا العديد من الجهات والوسائل سواء من داخل القارة الأفريقية أو من خارجها للضغط على تلك الدول الرافضة لقبول تلك المحاصيل، ومن جانبها دعمت وكالات الأمم المتحدة مثل منظمة الصحة العالمية وصندوق الأمم المتحدة للطفولة والبرنامج العالمي للغذاء الموقف الأميركي وأيدته.. بل وأكدت أن استخدام تلك المحاصيل لا يشكل خطورة على الإنسان.

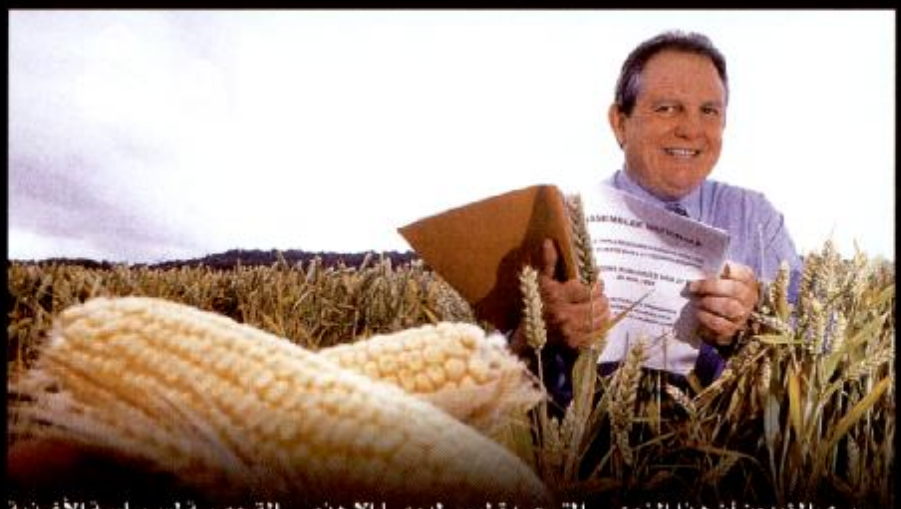

يرى المؤيدون أن هذا النوع من المحاصيل سيكون حلا جذريا لمشاكل عدد من الدول النامية خاصة دول مناطق الصحراء التي تواجه مشكلة صعبة في الحصول على محاصيل مناسبة لبيئتها، ويعترف العلماء أن هناك عدة تساؤلات حول تلك المحاصيل لاتزال غير معروفة الجواب إلا أن هذا لا يعني أنها لا تمثل تقدما كبيرا في مجال الزراعة.

وتدافع بروفيسور موسبا عميدة كلية العلوم بجامعة زمبيا في تصريحات نشرت في عدد شهر اكتوبر لـ -"THE AF RICA NEWS PRESS" فتعلل مبررات استخدام تلك المحاصيل بأن ظروف البلاد وواقعها يفرض ذلك، خاصة أن الأجيال القادمة لن تغفر للجيل الحالي إذا ترك حوالي ٢,٣ مليون زامبي يموتون جوعا بسبب مخافة مخاطر غير مؤكدة قد يظهر بعد ٣٠ سنة أنها غير صحيحة.

أما الوكالة الأميركية للعون والإغاثة USAID فدافعت بشدة عن القضية وصرح مدير الوكالة «أندرو نستوس» بأن الولايات المتحدة ليس لديها إلا هذه الأنواع من المحاصيل لذا إن أرادت أن تقدم مساعدة فستكون بطبيعة الحال من المحاصيل المعدلة.

المعارضون.. أفريقيا ليست مزبلة

ويكاد يكون هناك شبه إجماع على رفض استخدام المحاصيل الزراعية المهندسة وراثياً لإفريقيا من الولايات المتحدة الأميركية رغم اختلاف حيثيات هذا الرفض، ويحتج اللوبي المعارض لاستخدام تلك المحاصيل بأنها لم تخضع لاختبارات معملية كافية لدرجة تضمن سلامتها من المخاطر، بل ويتهم الدول الكبرى وبالتحديد الولايات المتحدة الأميركية أنها تستخدم أفريقيا كمعمل اختبار بشري ومزبلة لمخلفاتها.

ويقول البروفيسور «دورتي موليتج» الخبير والمستشار الدولي للأمن الغذائي في زامبيا وأحد كبار المتحفظين على استخدام تلك المحاصيل في مقال له بمجلة الهيئة القومية لسياسة الأغذية والزراعة لدول الجنوب الإفريقي نشر في نوفمبر، أن هناك بعض المحاصيل تم بالفعل إخضاعها لعمليات الهندسة الوراثية مثل القطن والذرة وتمكنت تلك المحاصيل من إنتاج مواد سامة ضد الحيوانات الضارة لها، إلا أن هذا التطور في حد ذاته يطرح تحديات جديدة لم يجد العلماء جوابا لها حتى الآن، حيث أن مدى تأثير تلك السموم غير معلوم، وليس بوسع العلماء أن يجزموا بمعلومات كافية عن تلك المحاصيل في كونها مفيدة أم مؤذية للبيئة والإنسانية.

يبقى السؤال لمن سيكون الانتصار، للقوى المعارضة في المجتمع المحلي الإفريقي أم لإرادة أكبر قوة في العالم!

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة الوعي الإسلامي على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

• ما يتعلق بالكاتب •

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تكون ثقافته تؤهله للكتابة في الموضوع الذي يطرقه.
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف النقال والفاكس إن وجد.

• ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال •

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيّرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرّجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.
- ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.

الوعي الإسلامي

المسلمون في الصين .. آمال وطموحات

كتب: عبادة نوح

يعيش المسلمون في كل أنحاء المعمورة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وذلك بفضل سلفنا الصالح الذي كان متسلحاً بسلاح الإيمان وقوة الحجة والإقناع وليس بسلاح السيف كما يدعي بعضهم فالمسلمون لم يقتصروا على البلاد الإسلامية فقط بل تعدوها الى بلدان الأعاجم وبنسب متفاوته لا يستهان بها، مع سعيهم إلى الاحتفاظ بالهوية والثقافة الإسلامية في ظل الظروف المتاحة لهم مستعينين بكل الوسائل الميسرة والمتوافرة لديهم.

ولقد تمكن الإسلام من كسب قلوب كثير من الشعوب من خلال أنصاره الذين ضحوا وبذلوا واستشهدوا وثابروا من أجل إبقاء راية الإسلام عالية في كل أقطار الكون.

ومع مرور الزمن بدأ بساط الإسلام ينسحب من بعض البلدان لأسباب عدة منها تقصير المسلمين تجاه بعضهم، ومنها تخاذل المسلمين الموجودين في هذه البلاد، ومنها أيضاً إحكام بعض حكومات هذه البلدان السيطرة على المسلمين وتسييرهم بطريقة لا تتلاءم مع عقيدتهم والأدهى من ذلك كله هو نسيان المسلمين أحوال إخوانهم في هذه البلدان التي يذوقون فيها مرارة الظلم والتعذيب والاضطهاد.

وانطلاقاً من مبدأ «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم» ستقوم مجلة (الوعي الإسلامي) بعرض أحوال المسلمين المنسيين في كل أنحاء المعمورة في مواضيع متعددة تنشر في حلقات متتابعة وأول هذه البلدان التي سنتطرق لأحوال المسلمين فيها هي الصين، حيث سنتناول الحقبة التاريخية للمسلمين هناك،

وعلاقة المسلمين بالحكومة، وأحوال المسلمين الحقيقية هناك، وعلاقة المسلمين ببعضهم ومكانة الصين العالمية.

مكانة الصين:

تقع الصين في النصف الشرقي من الكرة الأرضية والجزء الشرقي من قارة آسيا والساحل الغربي للمحيط الهادي، حيث يبلغ تعداد سكانها (١,٣) مليار نسمة تقريباً، ويمثل المسلمون فيها (١٠٪) من سكانها الأصليين يوجد فيها أكثر من (٥٦) قومية في (٣١) مقاطعة، نظام الحكم فيها شيوعي يسعى الى إقامة المجتمع الشمولي مساحة أراضيها نحو (١٠) مليون كيلو متر مربع موزعة بين الجبال والهضاب والأحواض والسهول والتلال. تتناثر في مناطقها البحرية نحو (٥٤٠٠) جزيرة هيئتها التشريعية العليا تتمثل في المجلس الوطني لنواب الشعب.

تاريخ الإسلام في الصين

دخل الإسلام الى الصين عن طريق الصحابي الجليل «سعد بن أبي وقاص» في عهد الخليفة «عثمان بن عفان» رضي الله عنه وكان دخوله عبر طريق الحرير الشهير الذي يعتبر طريق البر وطريق البخور الذي يعتبر طريق البحر، غير أن الفتح كان على يد القائد المسلم «قتيبة بن مسلم الباهلي» في الفترة من (٨٣ -٩٤ هـ ٧٠٢- ٧١٢م).

تعداد المسلمين في الصين اليوم يبلغ ١٢٤ مليون مسلم وهؤلاء يمثلون نسبة ١٠٪ من سكانها، ويتوزعون في عشر قوميات من آجور وتركمان وأوزبك.. إلخ.

يبلغ عدد مساجد الصين مئه ألف مسجد تنتشر في كل انحاء البلاد وقد بني أقدم هذه المساجد قبل أكثر من (١٣٥٠) سنة ويوجد في مدينة (كانتون) كانت أول سفارة رسمية موثقة بين الأمبراطورية الصينية ودولة الخلافة في عهد الخليفة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه.

وتوجد في الصين بعض الجمعيات والمعاهد الإسلامية التي تسعى قدر الإمكان إلى تحقيق الاستقلالية الذاتية!!! وأشهرهم على الإطلاق «معهد العلوم الإسلامية الصيني».

وعشر أخيراً في بعض مساجد الصين على مجموعات قيمة من الوثائق والمخطوطات الإسلامية النادرة التي قلما تجدها في بلداننا الإسلامية.

وتنتشر في الصين المدارس الإسلامية التي تنقسم إلى جميع المراحل إبتدائي وإعدادي وثانوي، وهذه المدارس تقوم بتعليم مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم والنحو والصرف والبلاغة العربية وعلوم الفقة والتفسير والتوحيد واللغة الفارسية وكل هذا تحت نظر الحكومة التي تفرض بعض القيود المجحفه.

ولقد توثقت العلاقة بين العرب والصينيين عن طريق التجارة وأسهموا بالتالي في نشر تعاليم الإسلام في حقب كثيرة على مر التاريخ، وهي تعتبر الآن أحد المراكز الرئيسة للإسلام في آسيا. والعالم العربي مرتبط في أذهان الصينين بأجواء ألف ليلة وليلة ومغامرات «علي بابا» وأنهم تجار أغنياء فقط.

المسلمون والحكومة:

بدأ هجوم الحكومة على المسلمين منذ عهد أسرة (المانشو) العام (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م) بحملة من القمع للمسلمين الذين قاموا بدورهم بالدفاع عن حريتهم العقدية، وقد وصلت المواجهات الى درجة الإبادة، الأمر الذي أدى الى احتلال الصين لتركستان العام (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م) وذلك بعد قتل مليون مسلم فيها.

ومنذ ذلك الوقت والعلاقة بين الحكومة والمسلمين في تدهور وتدنٍ وخصوصاً في تركستان الشرقية فعندما نتابع توالي الأحداث نجد أن النظام الصيني قام بأعمال يعجز القلم عن كتابتها بما فيها من مذابح رهيبة للمسلمين، وإحلال جماعات صينية مكان السكان الأصليين، وهدم المؤسسات الإسلامية الدينية، وتحويل المساجد الى أندية للجيش، وفرض تعاليم «ماوتسي تونغ»، وإرغام المسلمات على الزواج بالصينين من غير المسلمين.

إضافة الى تحطيم الشعائر الإسلامية في معظم الأحيان، ومن ثم التعتيم الإعلامي الرهيب على ما يحدث في هذا الإقليم، ومنع التركستانيين الشرقيين من السفر للخارج أو التنقل في الداخل ويمكن أن نطلق على هذا الإقليم مصطلح «السجن الكبير» المحاصر من كل الاتجاهات.

ولقد قدم المسلمون ملايين الشهداء والضحايا

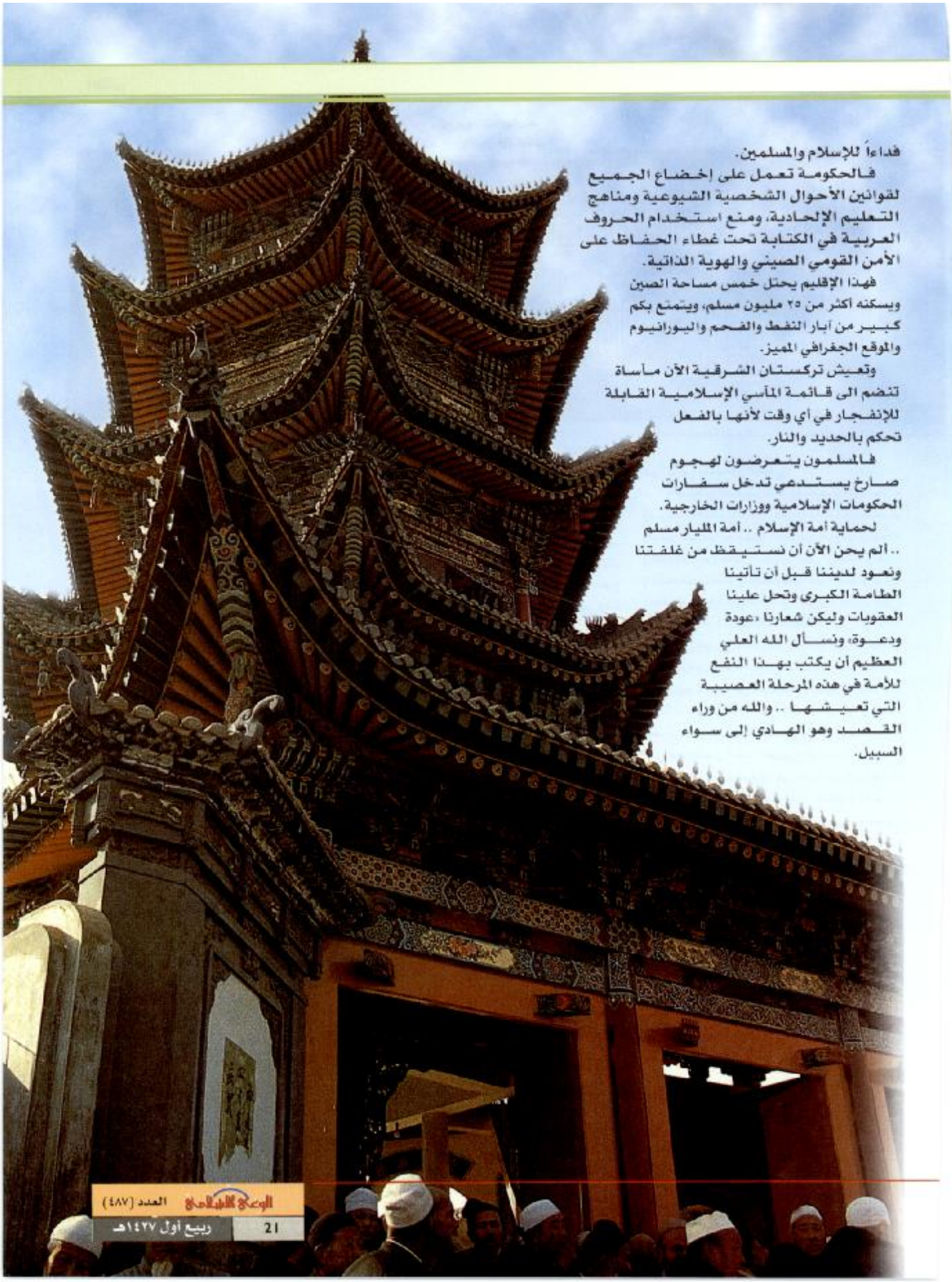

فداءاً للإسلام والمسلمين.

فالحكومة تعمل على إخضاع الجميع لقوانين الأحوال الشخصية الشيوعية ومناهج التعليم الإلحادية، ومنع استخدام الحروف العربية في الكتابة تحت غطاء الحفاظ على الأمن القومي الصيني والهوية الذاتية.

فهذا الإقليم يحتل خمس مساحة الصين ويسكنه أكثر من ٢٥ مليون مسلم، ويتمتع بكم كبير من آبار النفط والفحم واليورانيوم والموقع الجغرافي المميز.

وتعيش تركستان الشرقية الآن مأساة تنضم الى قائمة المآسي الإسلامية القابلة للإنفجار في أي وقت لأنها بالفعل تحكم بالحديد والنار.

فالمسلمون يتعرضون لهجوم صارخ يستدعي تدخل سفارات الحكومات الإسلامية ووزارات الخارجية.

لحماية أمة الإسلام .. أمة المليار مسلم .. ألم يحن الآن أن نستيقظ من غلفتنا ونعود لديننا قبل أن تأتينا الطامة الكبرى وتحل علينا العقوبات وليكن شعارنا «عودة ودعوة» ونسأل الله العلي العظيم أن يكتب بهذا النفع للأمة في هذه المرحلة العصيبة التي تعيشها .. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

عندما يشكل الإعلام الغربي صوراً نمطية عن الإسلام ونبيه ﷺ

يقلم: د. حسن عزوزي - المغرب

تقوم منابر التثقيف والتوجيه والإعلام في أي مجتمع بوظيفة أساسية هي صنع وتشكيل الصور الذهنية لأفراد المجتمع والترويج لها وترسيخها في الأذهان.

وتبرز وسائل الإعلام الغربية بمختلف مكوناتها من صوت وكلمة وصورة وكاريكاتور باعتبارها أخطر المؤسسات الاجتماعية التي تسهم بدور كبير ومؤثر في صياغة وتشكيل الصور الذهنية عن الإسلام والمسلمين في العقل الغربي.

والمقصود بالصور النمطية تلك التصورات العقلية الشائعة بين أفراد جماعة معنية والتي تحدد اتجاه هذه الجماعة نحو شخصية أو مجتمع أو شعب أو معتقد أو غير ذلك، وهذه الصور الذهنية عندما تتكرر وتترسخ في أذهان الناس تصبح صوراً نمطية (Stereotypes) يغلب عليها الجمود على أوصاف ونعوت ثابتة تتسم في معظم الأحيان بالتبسيط المفرط والتعميم الواسع.

المصادر المغذية للصور النمطية عن الإسلام

إن الفهم العلمي والموضوعي لظاهرة تشكيل صور نمطية عن الإسلام والمسلمين يفرض البحث عن المصادر التي تسهم في تكوين تلك الصور وتغذيها.

بداية يمكن القول بأن الإساءة للإسلام ونبيه ومحاولة الترويج للصور النمطية الكريهة والمسيئة لقداسة الدين الإسلامي ليس أمراً جديداً في المجتمعات الغربية، فهي ظاهرة قديمة لكنها متجددة.

فالغرب المسيحي يستمد صورته الذهنية عن الإسلام من خلال المواجهة الفعلية بين الإسلام والنصرانية خلال القرون الوسطى وإلى نهاية الحروب الصليبية، وانتجت بذلك استعادة ذاكرة الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب، وتعتبر هذه الفترة التي درسها بشيء من التفصيل نورمان دانيل Norman Daniel في كتابه «الإسلام والغرب»[1] حيث أكد أن الوعي الأوروبي - على وجه الخصوص - مشحون بالذاكرة التاريخية المرتبطة بمواجهة الغرب الكنسي للإسلام، بيد أن النظرة إلى الإسلام وقتئذ كانت شعبية مفعمة بالحقد ومشبعة بالخيالات الغربية والتصورات الموغلة في التهويل والتشويه والتمييع.

ومع تراجع الزحف الصليبي وبروز الخلافة العثمانية بزخمها وقوتها وتوسعها الكاسح، ظهر نوع من التخوف من الإسلام والمسلمين دفع من عرفوا بالمستشرقين إلى إنجاز وانضاج دراسات عن الإسلام والمسلمين بمختلف اللغات شحنت بأفكار وصور نمطية سلبية موغلة في الازدراء والاستخفاف بالإسلام ونبيه وتعاليمه، وقد كانت الأوصاف التي استغلها المستشرقون وأطلقوها على الإسلام والمسلمين كاشفة عن مدى التعصب والحقد الذي كان يهيمن ويسود في البلدان الغربية، وإذا انتقلنا إلى المرحلة الاستعمارية وجدنا أن واقع الاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية كان منبعا أصيلاً لكثير من الصور النمطية الزائفة التي صنعها الغرب عن الشرق، وهي الصور التي عادت فيما بعد لتزكي وتبرز نزعة الاستعمار والاستعلاء والاستغلال في الوعي والشعور الغربي.

وخلال هذه المرحلة وضعت خبرات ومؤهلات المستشرقين في خدمة الاستعمار وتبلور بذلك الخطاب الغربي حول الإسلام والمسلمين من خلال التركيز على أوصاف ونعوت واتهامات شكلت بمجموعها ما اعتبر صورا نمطية راسخة في المخيلة الغربية، يقول المؤرخ الفرنسي ذو الكتابات المنصفة عن الإسلام مارسيل بوازار Marcel Boisard «ان كتابات المستشرقين - عدا بعض الاستثناءات النادرة - لم تسهم كثيرا في تصحيح الفهم للإسلام أو إعادة تدقيق الصور التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح لأن الاستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية في فرنسا وبريطانيا والبلاد المنخفضة، فقد كان المطلوب إجمالا فهم العقلية الإسلامية فهماً جيدا لتسهيل الإدارة الاستعمارية للشعوب الإسلامية»[2].

وفي العقود الأخيرة وابتداء من نصف القرن العشرين، اضطرت الحكومات الغربية للجوء إلى متخصصين في شؤون الشرق الأوسط يهتمون بطبيعة الحل بظاهرة الصحوة الإسلامية التي أخذت تتنامى مع عقد الثمانينات وهؤلاء الخبراء الاستراتيجيون هم في غالب الأحيان إما أساتذة العلوم السياسية والاجتماعية أو خبراء في معاهد الدراسات الاستراتيجية التي يشرف عليها في غالب الأحيان صناع القرار الغربيون، إن معرفة هؤلاء بالإسلام صاغها المستشرقون التقليديون في كتبهم أو تناقلتها وسائل الإعلام الغربية، ويأتي دور هؤلاء الخبراء الاستراتيجيين في جمع الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين ووضعها

في سياقات نظرية ترتبط في معظم الأحيان بالتحولات والمتغيرات السياسية التي تعرفها الساحة الدولية. وبذلك يسعون إلى تشكيل صور نمطية ومقولبة للمجموعات الإسلامية المدروسة غير القابلة للتحاور أو الممانعة ثقافة تحول دون التبعية والخضوع والاستسلام للنموذج الغربي، فيكون دينها الذي هو الإسلام هدفا مستساغا من أجل تكوين وعي محدد عنه يتلاءم ومصالح الغرب ومطامحه وبذلك يسهل تحقيق عملية «كيفية الصنع والتصوير» وتجديد طبيعة المعرفة الواجب تشكيلها عن العالم الإسلامي وهي معرفة بالغة السلبية وموغلة في نهج أسلوب التخويف والترويع والحذر وأخذ الحيطة.

وإذا انتقلنا إلى وسائل الإعلام الغربية المعاصرة وجدناها أخطر المؤسسات التي تسهم في تشكيل وتكوين صور نمطية عن الإسلام، وإذا كانت هي ذاتها ترتكز على ما تفرزه جهات ومصادر أخرى مما سبق ذكره أعلاه فإنها تعيد صياغة وحبك تلك الصور الذهنية بما يجعلها أكثر إثارة وجاذبية، فهي بما تمتلكه من إمكانات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير تعمل على جعل المادة الإعلامية التي تصنع بها الصور النمطية المسيئة مادة جماهيرية يتلقفها المشاهدون أو القراء فيتأثرون بها وتترسخ في أذهانهم بشكل طبيعي وتلقائي.

دور القولبة الإعلامية المعاصرة

تعتبر القولبة الإعلامية Stereotypes أبرز وسيلة ينتهجها الإعلام الغربي من أجل توصيف الإسلام في إطار قوالب نمطية موغلة في الازدراء والتشويه، ويعبر مفهوم القولبة الإعلامية عن تحديد مسبق لفكرة أو مجموعة من الأفكار تغذيها خلفيات معرفية محددة، وتهدف بشكل تبسيطي وتعميمي الى وصف الآخر انطلاقا من انتماءاته الدينية او العرقية أو غير ذلك.

والقولبة الإعلامية التي يحلو للإعلاميين الغربيين اللجوء إليها عندما يراد الحكم على الإسلام وتوصيفه تستند إلى جهاز كامل من الأحكام المسبقة والتي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية مما يجعل تصور العالم الإسلامي بكل مكوناته ومقوماته إنما يتم من خلال خلفيات فكرية سابقة تهدف بالأساس إلى الدفاع عن مصالح وأهداف معينة، وعملية القولبة الإعلامية كما يمارسها الغرب في حق الإسلام يبتغي من ورائها إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بالإسلام وذلك من أجل الحيلولة دون اقبال الغربيين على الإسلام أو حتى التعرف عليه، فالصورة النمطية المشوهة التي ترسخها عملية القولبة الاعلامية العربية في ذهن الإنسان الغربي تهدف الى التخويف من هذا الدين والترويع من كل ما يمت بصلة إلى المسلمين الذين يوصفون أحيانا بأقذر الأوصاف وأقبحها.

وقد عبرت الصور الكاريكاتورية المسيئة لرسول الله ﷺ التي نشرتها صحيفة دانمركية أخيراً تعبيرا واضحا عن ذلك، فواحدة من تلك الصور «وبئس الصور» تصور رسول الله ﷺ وهو يحمل قنبلة فوق رأسه، ولا شك أن الصحافي الكاريكاتوري الذي نسج هذ الصورة كان ينطلق من خلفية ذهنية مشحونة بما بفيد لديه أن الإسلام يقرن بالإرهاب والعنف.

ولا يخفى في هذا السياق أن القولبة الإعلامية الغربية قد عملت خلال العقدين على تكوين عملية دعائية استهدفت تعريب وأسلمة «الإرهاب» وبذلك أصبح العالم العربي والإسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام «شيطنة العدو» أي تحويل العرب والمسلمين من دون استثناء إلى شر مستطير وإلى مصدر رعب وتخويف، وتسعى وسائل الاعلام الغربية إلى تكريس ذلك وتأكيده من خلال تقديم إحصاءات مهولة أو رسوم كاريكاتورية مثيرة أو تحقيقات ميدانية في بلدان العالم الإسلامي تبعث على تصوير

المسلمين متخلفين ومتطرفين وناقمين على الغرب إلى غير ذلك.

الإساءة لرسول الله ﷺ: جناية قديمة متجددة

من المؤكد أن الصور الكاريكاتورية المسيئة لرسول الله ﷺ التي نشرتها صحيفة دنماركية ليست مجرد صور نمطية مجردة أو تهكم وازدراء صابرين، وإنما هي عبارة عن جزء من بناء فكري مركب نما وتكون عبر تاريخ الاحتكاك العنيف بين الغرب والشرق.

وقد بدأ العداء للإسلام في شخص الرسول ﷺ منذ القرون الوسطى من خلال مواقف تتسم بتشويه شخصيته واتهامه بأقذع الأوصاف والمفردات القدحية مخزونا من ثقافة «الكراهية والحقد» ضد نبي الإسلام ورسالته، وشاعت مكونات ومجزوءات ذلك المخزون وترسبت وتكلست في كثير من ميادين الثقافة والفكر والإعلام لدى الغربيين في الفترة المعاصرة، ومن نماذج تلك التصويرات الخيالية المبنية على الأوهام والتخيلات ما ذكره المستشرق الألماني «هوبرت هيركور» تجاهلته الكنسية في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة واعتبرت أوروبا المسيحية «في القرون الوسطى» رسول الله محمداً الثائر الأكبر على المسيحية الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية» «٣».

وصورت الكنيسة الأوروبية على لسان فيلسوفها توماس الأكويني «١٢٢٥-١٢٧٤» رسول الله ﷺ بأنه هو «الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية... وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالة محمد ﷺ إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية «٤».

ومثل هذه المواقف السلبية عن رسول الله ﷺ التي رصدها وانتقدها علماء غربيون معاصرون كثيرة جدا ومنها تلك التي تندرج في إطار تصوير الغرب للنبي ﷺ من خلال الملاحم الشعبية الأوربية مثل ملحمة «La chanson de Roland» عام ١١٠٠م وما ذكره دانتي (١٢٩٥ - ١٣٢١م) في ملحمته الشهيرة الكوميديا الإلهية وغير ذلك.

وخلال العقدين الأخيرين تناسلت مواطن الطعن واللمز والتجديف في حق نبينا ﷺ في الإعلام الغربي، وتعتبر فترات حصول أزمة ونقاش في الغرب حول قضية من القضايا الإسلامية التي برزت في الساحة أخصب الفترات التي تنبري فيها الأقلام الحاقدة للكتابة عن الإسلام بصفة عامة ونبي الإسلام بصفة خاصة بالصورة التي ترضي أذواق المشاهدين والقراء الغربيين (من هذه المحطات مثلا: قضية «سلمان رشدي»، قضية الحجاب في فرنسا، حوادث التفجير والعنف في بعض البلدان الغربية، أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أزمة العراق وغيرها».

وإذا كانت شخصية الرسول ﷺ يتم التعرض لها في كثير من الأحيان بشيء من السلبية والتعريض ونسج الشبهات والافتراءات، وذلك على الطريقة الاستشراقية المعاصرة التي تتبنى نهج الطعن والاستخفاف عن طريق اللمز والإساءة المباشرة، فإن ما أقدمت عليه الصحيفة الدنماركية «يلندز بوستن Jyllands Posten من نشر صور مهينة ومسيئة للرسول ﷺ وللمسلمين جميعاً يعتبر تجاوزا خطيرا وانتهاكا صارخا لأقدس ما يمكن أن يؤمن به الإنسان، فضلا عن اختراق الشعور الديني لما يناهز المليار ونصف من المسلمين، مع العلم أن التصوير الكاريكاتوري له من التأثير وقوة الجذب ولفت الانتباه ما لا يمكن أن تحدثه الصورة أو الكلمة، وبقدر ما تعاظم الجرم المقترف تفاقم أمر الاحتجاج على ذلك بمختلف الأشكال وفي شتى ربوع العالم الإسلامي بما لم يسبق له مثيل.

وإذا كانت بعض الجهات الغربية قد سعت في أول الأمر إلى التقليل من أهمية الأمر باعتباره مجرد تخيل عابر من طرف صحافيين رسامين لنبي الإسلام ﷺ فإن واقع الحال يؤكد عكس ذلك، ويبين بوضوح أن الأمر مبيت وكان القصد يتجه إلى الإهانة والإساءة لصاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن بين الأدلة التي يمكن إبرازها ما يلي:

-بحسب ما رشح من أخبار دنماركية ذاتها، فإن صحيفة Jyllands Posten لقد استكتبت أربعين رساماً كاريكاتوريا من أجل تصوير النبي محمد ﷺ واستجاب لذلك اثنا عشر (بعدد الرسوم المنشورة)، وهذا يدل على أن الجريدة كانت تسعى إلى أن يكون لها سبق صحافي وذلك من خلال نشر أكبر عدد من الصور المسيئة للرسول ﷺ.

- لم يكن من قبيل الصدفة تكالب كل أولئك الرسامين الكاريكاتوريين على إبداء شخصية الرسول ﷺ بصورة سلبية موغلة في الازدراء والطعن والاتهام بالارهاب والشهوانية

والتخلف (هذه بعض الأوصاف التي تعبر عنها عينه من تلك الصور).

- إن مواقف بعض الصحف والمجلات في بلدان أوروبية مختلفة عندما انبرت لإعادة نشر تلك الصور بزعم إبداء نوع من التضامن مع الصحيفة الدنماركية تبرز بوضوح مدى الحقد الدفين والرغبة الجامحة في تشويه صورة النبي ﷺ ودخول خط المواجهة مع الشعوب الإسلامية بكل تحد واستفزاز.

- تملص الصحيفة في أول الأمر من إبداء اعتذار واضح مقبول وإبداء الجهات الحكومية المسؤولة مجرد تأس وحزن على ما حصل، كل ذلك يعزز مبدأ الإصرار على عدم تجريم التجديف في حق النبي ﷺ بدعوى التشدق باحترام حرية التعبير والصحافة.

لماذا يتم إعادة إنتاج الصور النمطية عن الإسلام؟

إن المتتبع لحركة تشكيل وتكوين الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين يتبين له أن مواقف الغربيين الموروثة جيلا بعد جيل والتي تزخر بالعداء للإسلام والعمل على تشويه صورته لا تزال تدفعهم إلى اتخاذ مواقف سلبية من تراث الإسلام ومقدساته، ويرتبط هذا الشعور المعادي للإسلام في العقل الغربي بعقدة «التفوق العنصري» وهي العقدة التي تشكل عنصرا نفسيا بارزا من عناصر التكوين الفكري للإنسان الغربي، وهو ما أدى به إلى أن يكون عقلا أحادي النظرة تجاه غيره، ولذلك لم يستطع ان يفهم الإسلام على حقيقته، ولذلك مهما انتشر المسلمون في مختلف البلدان وظهر أمر دين الإسلام، ومهما أسهمت الدعوة الإسلامية المنتشرة في كل مكان في إبراز حقيقة الإسلام وتعاليمه وحدود مقدساته، فإن كل هذه الحقائق الناصعة تذوب وتنمحي في نمط التفكير السائد لدى الغربيين الذي لا يفهم حقيقة الإسلام ولا يريد أن يفهم ذلك، وبذلك كان هذا النمط هو الذي يصعب تغييره وبالتالي فإنه يقف وراء تكرار إعادة إنتاج الصور النمطية عن الإسلام.

وهكذا يكون مصدر تشويه الإسلام واختزاله في صور بالغة الازدراء والاستخفاف بالتعاليم والمسلمات والبداهات التي يؤمن بها المسلمون ليس مجرد جهل وإنما نمط محدد من المعرفة تمتد جذورها في تاريخ العداء لديننا وتحتد اليوم أكثر في ظل بروز الإسلام كأكبر تحد حضاري وديني.

ومما لا شك فيه أن من وراء تكوين صور نمطية عن الإسلام والمسلمين تقف ترسانة إعلامية ضخمة هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التمييع والتشويه الموجهة ضد الإسلام والمسلمين.

ويستند العمل الإعلامي في الغرب إلى مجموعة من المعايير أو ما يسمى بـ «القيم الإخبارية» التي تؤثر على العاملين في وسائل الإعلام سواء في اختيار المواد أو الأخبار أو الآراء التي يتيحون لها الفرصة للنشر أو في صياغتها والتعبير عنها: ومن هذه المعايير الاتجاه نحو الاستجابة لرغبات رواقد غربية مختلفة، والتي هي في حد ذاتها تعتبر رائجة الانتشار وقابلة للتصديق، ولذلك ترتكز التغطيات الإعلامية الغربية على كل ما هو سلبي وغريب ومثير في الإسلام وعالم المسلمين، وهكذا ومن خلال تلك الصور النمطية التي يفرزها الإعلام الغربي بمختلف مكوناته يتم تزويد مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام وواقع المسلمين دون أن يشعروا بأسلوب التضليل والتمويه الذي يمارسه الإعلام بخصوص موضوع الإسلام.

من جهة أخرى يعتبر الطابع التجاري المحض الذي تعول عليه كثير من وسائل الإعلام الغربية عاملا أساسيا في الدفع بانتاج وإعادة إنتاج الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، ولذلك فإن الصحافيين المتخصصين في قضايا الإسلام لا يترددون في تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التي ينضوون تحتها، على وجه السرعة والاستعجال - بمقالات واستطلاعات صحافية مثيرة للغاية ومتسمة بالطابع التجاري، وهي تعتمد على عامل الإثارة والجذب لأكبر عدد من المشاهدين أو القراء مع استهداف تحقيق انتشار أوسع للمادة الإعلامية المراد تضليل الجمهور بها.

هوامش:

L.Islam et L.occident,ed cerf-paris 1993 (553p.

2) L.Islam aujourdhui p 18.

٣- صورة الإسلام في التراث الغربي، ترجمة ثابت عيد، طبعة القاهرة ١٩٩٩ ص ٢٣

٤ - المرجع السابق ص ٣٣ .

مع البشير النذير في الذكر الحكيم

بقلم:
د. علي أحمد أحمد طلب - مصر

الغضبة الإسلامية التي عمت الدول والشعوب الإسلامية في كل أنحاء المعمورة، التي أثارتها في نفوسنا ما نشرته صحيفة دنمركية من رسوم كاريكاتورية تسيء إلى شخص الرسول محمد ﷺ، هذه الغضبة المحمودة أظهرت لكل ذي عينين مكانة النبي عليه الصلاة والسلام في نفوس المسلمين واعتزازهم به، وحبهم له، وغيرتهم عليه.

وجدير بنا ونحن نعيش هذه الغضبة الصادقة، ونتابع أحداثها، وأصداءها في العالم الإسلامي وفي ديار غير المسلمين من الأمم والشعوب أن نعود إلى القرآن الكريم، الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون هاديا ومبشرا ونذيراً للناس أجمعين، لنتدبر آياته التي تناولت شخص النبي عليه الصلاة والسلام حديثا عنه، وحديثا إليه، وأظهرت مكانته عند ربه، وخصائص الرسالة التي أرسل بها، وواجب المسلمين نحو طاعته، وتبليغ رسالته إلى الناس كافة.

ووجوب حبه حبا عمليا يتمثل في الاقتداء به، واتباع هديه في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم.

وتدبر هذه الآيات الكريمة، وهي كثيرة متنوعة، يذكرنا بحقائق كثيرة من أهمها ما يأتي:

١- بشرية الرسول عليه الصلاة والسلام﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه﴾(فصلت-٦) فهو بشر يأكل ويشرب، ويمشي في الأسواق، ويخطب ويتزوج وينجب، ويحب ويكره، ويرضى ويغضب، ولكنه في قمة المستوى البشري، وأفضل الخلق، إذ رباه ربه، وأدبه، وأعده لتحمل الرسالة الخاتمة، وكمله بمكارم الأخلاق، وقال له ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم-٤) ورفع ذكره، إذ جعل الشهادة برسالته مقترنة بالشهادة بوحدانية الله سبحانه وتعالى:﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (الانشراح-٤) أي:نوهنا باسمك، وجعلناه مذكوراً على لسان كل مؤمن في المشارق والمغارب، مقروناً باسمنا في كلمتي الشهادة والأذان والإقامة، والتشهد والخطبة وغير ذلك، وقد جعل الله طاعته من طاعته فقال: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وصلى الله عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه.

وخاطبه بالألقاب، وذكره في كتب الأولين[١] وقدم العفو عنه في اذنه ﷺ لبعض المنافقين في التخلف عن الغزو قبل أن يتأكد من صدق أعذارهم [٢]، فقال له ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾(التوبة- ٤٣).

٢- وأن أساس الدعوة التي أرسله الله بها توحيد الخالق، واختصاصه وحده بالعبادة ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾(١١٠- الكهف)، ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قلبكم لعلكم تتقون﴾(البقرة-٢١)، وتوحيد الله وإفراده بالتقوى والعبادة جوهر الرسالات التي بعث بها ودعا إليها كل الأنبياء والمرسلين ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء-٢٥).

وعلى لسان المسيح عيسى بن مريم، يقول الحق تبارك وتعالى:﴿وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾(المائدة-٧٢).

٣- وأن التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله- سبحانه وتعالى، بشرا بإرسال محمد ﷺ.

﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾(الأعراف-١٥٦، ١٥٧)، ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾(الصف -٦).

٤- إن محمداﷺ خاتم الرسل، كما أن القرآن الذي أنزل عليه آخر الكتب، ولذلك تكفل الله، عز وجل، بحفظه من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر-٩)، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾(الأحزاب-٤٠)، وقال عزّ وجل﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ (المائدة-٤٨) أي: مؤتمنا عليه، وحاكما على ما قبله من الكتب «٣»، قال ابن كثير: اسم المهيمن يتضمن ذلك فهو أمين، وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله جمع الله فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ماليس في غيره «٤»، فالقرآن كلمة الله الأخيرة إلى عباده، وهو مصدق لكل ما أنزله الله في كتبه السابقة على رسله السابقين، وهو الحكم على صدق ما جاء فيها، فما وافقه فهوحق، وما خالفه فقد أدركه التغيير والتبديل.

٥- أن محمداً ﷺ رسول الله الى جميع الناس في كل زمان ومكان، منذ بعثته إلى أن تقوم الساعة، فرسالته عامة ممتده زمانا ومكانا، قال الله عز وجل:﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء- ١٠٧)، ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً﴾ (سبأ-٢٨)، ﴿يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم﴾ (النساء-١٧٠)،﴿قل يأيها الناس إني رسول

الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (الأعراف- ١٥٨).

وينادي الله-أهل الكتاب من اليهود والنصارى مبينا لهم أن الرسول محمداً مرسل لهم فيقول: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (المائدة- ١٥- ١٦). ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾(المائدة- ١٩).

فالخطاب- في هذه الآيات لليهود والنصارى أي: يا معشر أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بالدين الحق يبين لكم كثيراً مما كنتم تكتمونه في كتابكم من الإيمان به، ومن آية الرجم، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة، وغير ذلك مما كنتم تخفونه، يا معشر اليهود والنصارى لقد جاءكم محمد ﷺ يوضح لكم شرائع الدين على انقطاع من الرسل، ودروس من الدين، وكانت الفترة بين عيسى ومحمد، ومدتها خمسمائة وستون سنة لم يبعث فيها رسول ﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ أي لئلا تحتجوا وتقولوا ما جاءنا من بشير بالخير ونذير من الشر، فقد جاءكم بشير ونذير هو محمد ﷺ (٦)، وفي ذلك دعوة صريحة لهم للإيمان بخاتم المرسلين الذي هو نبيهم، فمن لم يؤمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام من الذين وجدوا بعد بعثته، وأدركتهم دعوته فقد كفر بنبيه الذي أرسل إليه، ولن ينفعه إيمانه بكل الرسل السابقين، كما أن من أنكر نبوة نوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى أو غيرهم من الرسل يكون كافراً، ولن ينفعه إيمانه بالنبي الخاتم محمد ﷺ، بل إن من أنكر نبوة نبي من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن يكون مكذباً بالقرآن الكريم وبنبوة النبي الذي أرسل بالقرآن.

وهذه الحقيقة الإيمانية القرآنية؛ حقيقة أن سيدنا محمداً ﷺ نبي الأحياء جميعاً لأن رسالته خاتمة وعامة، حقيقة غائبة عن معظم الناس وعن كثير من المسلمين.

والمسلمون، وخاصة دعاتهم، مقصرون في إظهار هذه الحقيقة، والجهر بها بلامجاملة ولا إحراج، وليكن الجهر بهذه الحقيقة- عبر كل وسائل الإعلام العصرية، بنداً من بنود ما يكثر الحديث عنه، في واقعنا المعاصر،

وهو تجديد الخطاب الديني، حتى يعلم الدنمركيون شخصية النبي ﷺ ويعلم من سعوا سعيهم من الفرنسيين والإسبانيين، والإيطاليين، والانكليز وغيرهم، الذين أعادوا نشر الرسوم المسيئة إلى الرسول ﷺ أنهم بذلك يسيئون إلى رسولنا ورسولهم الذي أرسل إلينا وإليهم وإلى جميع الناس، ونحن هدينا إلى اتباعه، والإيمان به، وحبه وتقديره، وهم إذ لم يؤمنوا فعليهم أن يحترموه لمكانته في نفوس أكثر من مليار ونصف مليار مسلم في ربوع المعمورة.

ونحن المسلمين، إذ نجهر بهذه الحقيقة، ونبلغها لجميع الناس بشتى الوسائل الإعلامية المتاحة نبرئ ذمتنا من إثم التقصير في تبليغ رسالة الله إلى عباده، وتبقى بعد ذلك الحقيقة القرآنية الناصعة، «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (الكهف- ٢٩).

٦- أن الإسلام اسم للدين الحق الذي بعث الله به جميع رسله وهو يعني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والانقياد لحكمه، وتنفيذ ما شرع لعباده، فعلى لسان إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام يقول الحق تبارك وتعالى:«ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» (البقرة- ١٢٨)، وعلى لسان يعقوب وأولاده، يقول سبحانه «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون» (البقرة- ١٣٣)، وعلى لسان يوسف عليه السلام «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين» (يوسف- ١٠١)، وعلى لسان ملكة سبأ، في قص القرآن لقصتها مع سليمان عليه السلام يقول الله سبحانه وتعالى:«قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» (النمل- ٤٤) وعلى ضوء هذا نفهم معنى قوله عزّ وجل «إن الدين عند الله الإسلام» (آل عمران- ١٩) وقوله سبحانه وتعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران- ٨٥).

وكلمة الإسلام الآن تعني الرسالة الخاتمة التي بعث الله بها محمد ﷺ إلى العالمين لأن رسالة كل نبي من الأنبياء السابقين كانت محدودة زمانا ومكاناً، وقد تقدم لنا أن اليهود والنصارى الذين لم يعاصروا موسى أو عيسى. وعاشوا في الفترة بين رسالة عيسى ورسالة محمد عليهما الصلاة والسلام. يقولون: «ما جاءنا من بشير ولا نذير».

٧- إن محمداً ﷺ كما أخبر القرآن الكريم - أول المسلمين - فقد دعا إلى الحق واتبعه ودعا إلى مكارم الأخلاق وتحلى بها. وعندما سئلت أم المؤمنين - عائشة - رضي الله عنها «كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خلقه القرآن.. وقال الله سبحانه وتعالى:«قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (الأنعام، ١٦٢) فهو ﷺ أول المتبعين للحق الذي بعثه الله به وقد تحلى-في دنيا الناس بالفضائل التي دعا الناس إليها، إذا كان يدعو الناس إلى الصدق والأمانة، والكرم، والشجاعة، والرحمة، وصلة الرحم، ورعاية حق الجار، وإتقان العمل وحب الخير، والصبر، والرضا، والجهاد، والشكر وغير ذلك من الفضائل. فقد كان ﷺ رؤوفا، صادقا، أمينا، شجاعا، كريما، رحيما، وصولا للرحم، نعم الجار متقنا لكل عمل يقوم به، صبوراً، راضيا، مجاهدا، شكوراً، فكأنه عليه الصلاة والسلام كان إسلاما حيا متحركا في دنيا الناس، ولهذا أمرنا الله أن نتخذه مثلا وقدوة في الالتزام بما شرع الله ورسوله.. فقال سبحانه وتعالى:«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» (الأحزاب- ٢١)، وأوجب علينا أن نتبعه ونطيعه. فقال: «وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين» (أول سورة الأنفال).

وكم كنت أتمنى- حبا للرسول، وتخلقاً بأخلاقه الكريمة- أن تخلو مظاهر الغضب الذي فجره نشر رسوم تسيء إلى شخصه الكريم في بعض الصحف الأوربية من بعض التصرفات التي تتنافى مع أخلاق الإسلام ومبادئه حتى لا نقع في وزر مخالفة الرسول ﷺ في التعبير عن غضبنا لما يمس ذاته المحبوبة المتزجة بنفوسنا.

٨- واتباع الرسول ﷺ، وطاعته والاقتداء به دليل على حب العبد لربه.

وطريق لأن يحبه الله ويغفر ذنوبه «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» (آل عمران-٣١)، وطاعة الرسول طاعة لله الذي أرسله «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» (النساء-٨٠).

٩- وإن من أتباع الرسول ﷺ، والاقتداء به أن نقوم بواجبنا في دعوة الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة،«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين» (فصلت- ٣٣)، «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله، وما أنا من المشركين» (يوسف- ١٠٨) «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (النحل- ١٢٥).

وإننا بهذه الدعوة التي هي فرض وواجب في أعناقنا نحسن إلى أنفسنا، ونحسن إلى الناس إذ ندعوهم إلى الحق الذي ارتضاه لنا ولهم ربنا وربهم، ونعمل على إصلاح العالم بنشر الفضائل، ومحاربة الرذائل بشرط حرصنا على أن نكون قدوة في الالتزام بما ندعو الناس إليه، بذلك نعبر تعبيرا عمليا واقعيا عن حبنا لرسولنا ﷺ واعتزازنا به، وعظم مكانته في قلوبنا، وبذلك أيضاً، تتحد صفوفنا، وتقوى شوكتنا وينمو اقتصادنا، وتتحرر إرادتنا، وتسمع كلمتنا، ويعز جانبنا، وتحترم مقدساتنا ويهاب الحاقدون الإساءة إلى رسولنا ﷺ أو إلى ديننا.

الحواشي

١- صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف ٢/٥٥١

٢- صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني ١/٥٣٧

٣- صفوة التفاسير ١/٣٤٦

٤- مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد علي الصابوني ١/٥٢٤

٥- صفوة التفاسير ١/٣٣٤

٦- صفوة التفاسير ١/٣٣٥

بُشرى البشريات

شعر: فريد قرني - السعودية

هيا اشكري يا أرض ربك واحمدي
بُشراكِ قد وافاك نور محمد
وتزودي يا ساحة الأكوان من
إشراقة الميلاد بالوهج الندي
هيمي ببشرى البشريات وهلّلي
تخذي سناها الطلق برداً وارتدي
واستقبلي آلاءها فياضة
وبيمن طالعها الوضيء تزوّدي
وتألّقي وتأنّقي وتجاوبي
وتماوجي في نشوة لم تعهد
ها أنت والأمل الحبيبُ المترجى
وبمطلع اليوم الأغرّ الأسعد
يومٌ يتيمٌ في الزمان مخلّدٌ
يزكو بأسمى كائن ومخلّد
من بعدُ لن يطأ الثرى ندٌ له
ومثيله من قبل.. لا.. لم تشهدِ
نبأ سما شرفاً وهزّ مساره
قلب الوجود بضوئه المتجدد
إيوان كسرى قد تصدّع ركنه
لسماعه.. شرفاته لم تصمد
والنار في أرض المجوس تقامأت
حتى انطفت.. وتخاذلت لم توقد
والمشركون تشوّهت أصنامهم
من بعد ما انكفأت بساق أو يد
ذي بنت وهب أم أشرف مرسل
بانت بأفضل ليلة من موعد
حملت به.. وضعته.. لم تشعر بما
يضني الحوامل من عناء مجهد
بل كان يسر اليسر يسري كالسنا
بكيانها.. ليهل يوم المولد
ليخطّ للبشرية السبل التي
من سار عبر دروبهن فقد هدى
ليثور في وجه الضلال فينمحي
وتضيء وجه الأرض شرعة أحمد
ليصبّ بالقرآن في سمع الورى
آياً سما إعجازهن السرمدي
فهو الخيار من الخيار من الخيار
وسيد من سيد.. من سيد
صلى عليه الله في ملكوته
وحباه بالتشريف أرفع سؤددِ

الاقتصاد الإسلامي وأساليب مكافحة الإغراق

بقلم: د. سيد حسن عبدالله - الإمارات

الإغراق في مفهوم العلاقات التجارية الدولية هو: قيام المنتج الأجنبي المصدر للسلعة ببيعها في سوق الدولة المستوردة بسعر أقل من سعر بيعها في سوق إنتاجها المحلي، أو بسعر أقل من سعر بيع المنتجين المحليين في الدولة المستوردة لنفس السلعة أو لسلعة من نفس النوع، أو بسعر أقل عن سعر بيع المنتجين الأجانب الآخرين لنفس السلعة أو لسلع من نفس النوع في سوق الدولة المستوردة، لا لسبب يرجع إلى كفاءة المصدر المغرق، أو أي عامل آخر مؤثر في حالة المقارنة بين الأسعار «ظرف البيع»، «الضرائب»، «النولون»، وغيرها، وإنما يهدف إلى انفراده بسوق الدولة المستوردة والتخلص من منافسة له، وصولاً إلى احتكار سوق هذه الدولة «١».

وعرفته المادة «٣٦» من المعاهدة المؤسسة للجماعة الاقتصادية الإفريقية بقولها: نقل سلعة منشؤها دولة عضو إلى دولة أخرى لبيعها هناك بسعر أقل من السعر المعتاد الذي تباع به سلع مماثلة في الدولة العضو التي وردت منها هذه السلع، مع المراعاة الواجبة للفروق في ظروف البيع والضرائب، وتكاليف النقل أو أي عامل آخر مؤثر في حالة المقارنة بين الأسعار في ظروف يمكن أن تضر بانتاج السلع المماثلة في هذه الدولة العضو.

إلا أننا ينبغي أن نلاحظ أن التمييز السعري الذي ينطوي عليه الإغراق لا يعني دائماً البيع بخسارة، على الرغم من أن الانطباع الأول لمفهوم الإغراق يوحي به، حيث يتعارض ذلك مع مصلحة المنتج ولا يحدث عمليا إلا في حالات نادرة، ويمكن أن تتحقق الخسارة هنا، عندما تعمد المشروعات التي تسعى للاحتكار إلى البيع في السوق الأجنبي المعين بأثمان أقل من تكلفة إنتاج السلعة ذاتها.

ومما يساعد كثيراً على ممارسة سياسية الإغراق في نطاق العلاقات التجارية الدولية هو مرونة الطلب في الأسواق المختلفة، حيث يتحمل المستهلك في بلد المنتج المحتكر سعراً مرتفعاً نسبياً، نتيجة لوقوعه تحت عاملين هما:

أ- أن المنتج المغرق قد احتكر السوق المحلي بالفعل، وبالتالي فإن مرونة الطلب بالنسبة للمستهلك تكون منخفضة نسبياً.

ب- وبالتالي فإنه ليس في حاجة إلى ممارسة سياسة الإغراق في أسواقه المحلية، ومن ثم يخرج الإغراق عن نطاق عوامل تحديد السعر بالنسبة لهذا المنتج المحتكر.

الإغراق من منظور إسلامي

يحث الفقهاء الإغراق- بالمعنى المتعارف عليه اقتصاديا- في نطاق بيان حكم التسعير، وبصفة خاصة حكم ما إذا كان للسعر سعر غالب فأراد بعضهم أن يبيع بأنقص منه، فهل يقر على ذلك، أم يمنع من النقصان؟ قال: «الإمام مالك» ﷺ يمنع من ذلك، واحتج بما رواه في موطئه عن «يونس بن سيف عن سعيد بن المسيب»: «أن «عمر بن الخطاب» ﷺ مرّ على حاطب بن أبي بلتعة وهو يبيع زبيباً له في السوق، فقال له «عمر»: إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا»«٢».

قال «الإمام مالك»: لو أن رجلا أراد فساد السوق فحط عن سعر الناس لرأيت أن يقال له: إما لحقت بسعر الناس وإما رفعت»«٣».

ويرى الاقتصاديون المحدثون ما يراه «الإمام مالك» من فساد السوق والصناعة بتعمد الحط من الأسعار، فهم عندما يتكلمون عن ما يسمى: «بحرب الأسعار»، يقول بعضهم:

«قد يعمد أحد البائعين إلى خفض ثمن منتجه بغية الزيادة في حجم المبيعات فيؤدي ذلك إلى نقص مبيعات البائعين المنافسين له فيعمدون بدورهم إلى الانتقام من هذا البائع بسياسة مضادة عن طريق خفض منتجاتهم، وقد يحاول هذا البائع أن يرد على هذه السياسة الانتقامية بالتمادي في خفض ثمن منتجه، فيفضي هذا السلوك إلى سلوك مضاد من جانب البائعين المنافسين له، إذ يتمادون بدورهم في خفض أثمان منتجاتهم، وهكذا تنشب حرب الأسعار وتتفشى في الصناعة بأسرها، بحيث تحاول كل منشأة القضاء على المنشآت الأخرى المنافسة لها، وقد تنتهي هذه الحرب إلى أوخم العواقب بالنسبة لبعض منشآت الصناعة، «٣».

وعلى هذا فالإغراق الممنوع شرعاً هو:

«بيع السلعة بأقل من ثمنها الأصلي بقصد الإضرار بالغير».

ولكن يثور هنا تساؤل آخر وهو:

هل كل بيع لسلعة بثمن أقل من ثمنها الأصلي يعد إغراقاً من المنظور الإسلامي؟

والجواب: ليس كذلك، فالتاجر في الإسلام يجلب بنية التيسير على الخلق، وقد يحتسب بتجارته وجه الله تعالى؛ وفي سبيل ذلك قد يبيع السلعة بأقل من ثمنها بنية الإحسان إلى الناس، وطلبا لوجه الله تعالى.

قال ابن حزم: «وإذا عرضت السلعة بأقل من سعر السوق فلا يجوز للحاكم أن يتدخل أو يجبر صاحب السلعة على بيعها بسعر السوق، فإن قيل إن في هذا إضرار بأهل السوق، فالجواب: أن هذا

باطل، بل في قولكم أنتم الضرر على أهل البلد كلهم، وعلى المساكين، وعلى المحسن إلى الناس، ولا ضرر في ذلك على أهل السوق، لأنهم إذا شاءوا أن يرخصوا كما فعل هذا فليفعلوا، وإلا فهم أملك بأموالهم كما هذا أملك بماله»(٤).

وقال ابن رشد: «ولا يلام أحد على المسامحة في البيع بالحطيطة (٥) منه، بل يشكر على ذلك إن فعله لوجه الناس، ويؤجر إن فعله لوجه الله تعالى»(٦).

وعلى هذا ففرق كبير بين السلعة بأقل من ثمنها بقصد القضاء على المنافسة والإضرار بالآخرين، وبين بيعها بأقل من ثمنها قربة وحسبة لله تعالى، وهو فرق بين تستحسنه العقول الراشدة وتحض عليه النصوص الشرعية.

التدابير الشرعية المقررة في شأن منع الإغراق ومكافحته

وضع الإسلام الكثير من التدابير، وصاغ العديد من السياسات الاقتصادية التي من شأن العمل بها الاستقرار الاقتصادي في أزهى صوره، ويأتي في مقدمة هذه التدابير وتلك السياسات ما يأتي:

أولاً: إقامة السوق على مقتضى قوانين العدل:

فلا بخس ولا تطفيف ولا وكس ولا شطط، قال تعالى على لسان شعيب: «ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين» (٧).

وفي سبيل ذلك أقر الإسلام جهاز الأسعار كمحرك للنشاط الاقتصادي، فعن أنس ﷺ قال: «غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله لو سعرت؟ فقال: إن الله هو القابض الباسط، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل، ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال» (٨).

يقول الإمام الشوكاني: «ووجهه أن الناس مسلطون على أموالهم والتسعير حجر عليهم والإمام مأمور برعاية مصلحة المسلمين، وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن أولى من نظره في مصلحة البائع في توفير الثمن» (٩).

وتحقيقا للعدل المرغوب شرعاً والموصل إلى المنافسة الكاملة اشترط الاقتصاديون في هذه السوق شروطا عدة منها: (١٠).

أ- كبر عدد المتعاملين فيها من البائعين والمشترين، حتى لا يستطيع بائع واحد رفع سعر السلعة بتحكمه في البيع، ولا يستطيع أيضا من الجانب الآخر مشتر واحد أن يبخس ثمن الشراء بتحكمه في الشراء.

ب- عدم وجود اتفاق بين مجموعتين من البائعين على رفع ثمن سلعة ينتجونها، أو تحجيم الإنتاج أو اتفاق المشترين على خفض ثمن سلعة يشترونها لتخفيض ثمن الشراء.

جـ -المعرفة الكاملة بأحوال السوق حتى لا ينفرد واحد بميزة احتكارية بطرد غيره، وينفرد وحده بالسوق.

د- حرية الدخول والخروج لأي فرد أو شركة، من دون مانع قانوني أو إجرائي أو عدائي بحيث لا يغلق السوق على مجموعة بعينها من البائعين أو يحظر الشراء على نوع معين من المشترين.

هـ- تماثل وحدات السلعة بأن تكون السلعة مثلية، حتى يتحقق لها سعر موحد، واختلاف السلع في التعليب أو التغليف مثلا يوهم المشتري بمميزات ليست فيها، ويشجع البائع على إيجاد سوق خاص بها.

وتوافر الشروط السابقة يؤدي إلى سيادة سعر واحد في السوق يتم التعامل به، ولا يمكن لأي بائع أن يزيد سلعته وإلا كسدت سلعته.

أما الذي يخفض سعر سلعته فإنه تستنفد سلعته، ولكن بما أن المنافسة قد أوصلته إلى الحد الأدنى من الربح، فإن ذلك لابد أن يعود عليه بالضرر، ومن الثابت أن التبادل في الإسلام يقوم بصفة عامة على أساس الجمع بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، وتحقيق المنافع بأشكالها المختلفة، وذلك في إطار من المنافسة التامة التي تكفل لقوى العرض والطلب التفاعل الحر في الأسواق، واتخاذ الاجراءات التصحيحية اللازمة إذا ما انحرفت السوق عن قواعد المنافسة، وتسري القواعد التبادلية هذه على أنشطة التبادل الداخلي والخارجي، ومن أهم هذه القواعد: النهي عن تجاوز الحقيقة في جميع الأمور، ولا يبالغ البائع في مزايا سلعته لتضليل المشترين لتفضيل سلعته على سلعة غيره، أو لحثهم على شراء مالا يحتاجون إليه، قال تعالى: ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ (النحل - ١٠٥).

وعن عبدالله بن أبي أوفى ﷺ أن رجلا أقام سلعة وهو في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها مالا يعطى، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران - ٧٧) (١١).

فإذا كان الإسلام يحرم على التاجر ترويج سلعته بالحلف الكاذب، فالإغراق في حرمته أشد، لإنه يفسد السوق على العامة.

ثانيا: ترسيخ مبدأ المبادرة الفردية: فالاقتصاد الإسلامي يقوم على حرية الإنسان في أن يمتلك ناتج عمله، وأن يتصرف فيه وفق ما يراه محققا لمصلحته، ومالم يترتب على تصرفه ضرر

بعامة الناس، فإن الضرر يزال، لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» «١٢».

فإذا غالى أصحاب السلع في ثمنها مغالاة تضر بالناس وجب حينئذ رفع الضرر، قال صاحب الهداية: «فإذا كان أرباب الطعام يتحكمون ويتعدون القيمة تعديا فاحشا وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير فحينئذ لا بأس به بمشورة أهل الرأي والبصيرة» «١٣».

ومؤدى ما تقدم أن التسعير الذي يأمر به الإسلام هو التسعير العادل الذي لا وكس فيه ولا شطط، يقول الإمام علي ﷺ «وليكن البيع بموازين عدل وبأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع» «١٤».

وقال «ابن القيم» «يرحمه الله تعالى»: «وأما إذا كانت حاجة الناس لا تندفع إلا بالتسعير العادل سعر عليهم الإمام تسعير عدل لا وكس فيه ولا شطط» «١٥».

ووجه ذلك أنه يتوصل إلى معرفة مصالح الباعة والمشترين ويجعل للباعة في ذلك الربح ما يقوم به ولا يكون فيه إجحاف بالناس» «١٦».

ثالثاً: النهي عن البيع بسعر منخفض بقصد الإضرار: فالتسعير ليس أداة تشريعية لمعالجة الاحتكار فقط، وإنما يمكن استخدامها كأداة لزيادة عرض السلع الضرورية وتنظيم الطلب عليها.

والدليل على ذلك ما رواه «سعيد بن المسيب» من أن «عمر بن الخطاب» ﷺ مر بحاطب بن أبي بلتعة وهو يبيع زبيباً بالسوق، وكان يبيع بأقل من السعر، وبين يديه غرارتان فسأل عن سعرهما فسعر له مدين لكل درهم، فقال له «عمر»: قد حدثت بعير مقبلة من الطائفة تحمل زبيباً وهم يعتبرون بسعرك: فإما أن ترفع السعر، وإما أن تدخل زبيبك البيت فتبيعه كيف شئت» «١٧».

والنص الواضح الدلالة في تقرير الكثير من المبادئ الاقتصادية ومنها:

أ- قول «عمر بن الخطاب»: «إما أن ترفع السعر، فيه دليل على أثر التسعير في زيادة عرض السلع الضرورية منها، وما في حكمه، التي يحتاج إليها الناس تمثل رغبة التجار في السعر المناسب الذي يحقق لهم الربح الكافي مما يؤدي بهم إلى التأني في الدخول ببضائعهم المجلوبة إلى تلكم السوق التي يتوفر فيها ذلك السعر المناسب.

ويدل على ذلك قول عمر بن الخطاب «وهم يعتبرون بسعرك» أي أن أصحاب القوافل التجارية القادمة من الطائف ينظرون إلى سعر حاطب وهو السعر السائد في السوق آنذاك «سوق المدينة المنورة ولا شك أن مثل هذا السعر يحقق طموحات التجار في الربح العالي مما يدفعهم الى عرض سلعهم في السوق المحلية.

وبالنظر إلى هذا الأثر نجد أن السعر السائد في السوق المحلية إذا لم يحقق الربح المناسب والمعقول لطائفة التجار فإنهم سوف يعرضون عنه راحلين إلى أسواق بديلة.

ب- ويفهم من النص -أيضا- أن الفاروق عمر ﷺ عرف أن السلطة يجب عليها أن تلعب دوراً نشطاً لتنظيم التجارة الخارجية وذلك من دون تضحية لامسوغ لها بالحرية الفردية، وإن وجد ثمة قيد فردي فهذا قيد شرعي أخلاقي لمنع النشاط الداخلي للسوق من التأثير على تنظيم حركة التجارة الخارجية أو بتعبير آخر عرف «عمر» كيف يحقق التوازن السليم بين مصلحة كل أفراد المجتمع، فلعله ﷺ رأى المصلحة أولا: في المنع لظنه أنه ارخص السعر لضرر هؤلاء الجالبين أو للتغرير بهم، فلما علم الحقيقة وأن هذا لا يبيع ماله رخيصاً من أجل ضرر غيره رجع إليه وقال له: إن الذي قلت لك ليس بمعرفة مني ولا قضاء، وإنما هو شيء أردت به الخير لأهل البلد فحيث شئت فبع وكيف شئت فبع» «١٨».

وهذا شيء عظيم لا غنى للمعاملات عنه، فيجب على ولي الأمر ألا يتركهم يتحكمون في الناس بأسعارهم».

وفسر البعض سلوك الخليفة عمر بقوله: «إن عمر ظن أن حاطبا يرخص في السعر بقصد القضاء على المنافسة والإضرار بالغير القادمة من الطائف، وهو إذا رخص في السعر بهذا القصد فإن التجار القادمين بالسلعة من الخارج سوف يمتنعون عن الجلب، وبذلك لا يبقى منافس لهذا المرخص في السعر فيبيع كيف شاء بعد القضاء على المنافس، وعند ذلك يرفع السعر، وهذه المنافسة غير المشروعة في القانون الحديث، وفيها مصلحة حاضرة، ولكنها تتخذ ذريعة لمفسدة أرجح منها في المستقبل، وربما تأكد عمر بعد ذلك أن حاطباً لا يقصد شيئا من ذلك، وأن قرينة البيع بهذا السعر لا تصلح دليلاً على القصد -هو مناط الحرمة- وسببا للمنع في هذه الحالة فرجع لحاطب وقال له ما قال» «١٩».

رابعاً: تنظيم التعامل التجاري يوفق أسس اقتصادية تضمن الاستقرار الاقتصادي ومنها: حرية التبادل، وحرية ترك الأسعار وفقاً لمستوى العرض والطلب والمحافظة على سعر المثل وغيره مما يضمن للمستهلك خيارات متعددة، ويبعده عن ظروف الرضا بالأمر الواقع ويعمل على إرخاص الأسعار، ومن هنا جاء قول

الرسول ﷺ «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» «٢٠».

ولكن يجب تقييد الجلب - الاستيراد- بألا يترتب عليه إضرار بالسوق، بمعنى ألا يحط الجالبون السعر بما يضر بأحوال عامة التجار والصناع، ومن ثم تكون مهمة ولي الأمر في هذا الشأن:

أ- منع أي تواطؤ بين التجار على احتكار عرض السلع وطرحها في الأسواق بسعر مخالف لسعر المثل من خلال الاستحواذ على الكميات المجلوبة.

ب - إزالة المعوقات أمام عملية التجارة الخارجية.

ج -عدم إلزام الجالبين في الأسواق بالأسعار المجحفة بهم «٢١».

د- منع إغراق الأسواق بالسلع المجلوبة حفاظاً على معايش التجار وأهل الصنائع.

خامساً: الوقاية من عوامل الانحراف: وهي كثيرة فالإسلام ينهى عن تلقي الركبان: وهو أن يعمد التجار إلى ملاقاة القادمين من المنتجين خارج السوق فيشترون منتجاتهم بأثمان رخيصة تقل عن الأثمان السائدة في السوق. فيلحقون بهم الضرر، ثم يعمد هؤلاء التجار إلى بيع المنتجات التي اشتروها إلى المستهلكين النهائيين بأسعار تزيد كثيرا عما دفعوا فيستغلون بذلك الفريقين «٢٢».

كما ينهى الإسلام عن الاحتكار لما فيه من إهدار لحرية التجارة والصناعة وتحكم في الأسواق، يستطيع معه المحتكر أن يفرض ما يشاء من أسعار على الناس، فيرهقهم ويضرهم في معاشهم وكسبهم، ويقتل روح المنافسة التي تؤدي إلى الإتقان والجودة.

وزيادة على ما تقدم فإن الإسلام يدعو إلى وجوب عرض السلعة في سوقها وإتاحة الفرصة أمام المنتج حتى يصل بها إلى السوق فيعرضها ويعرف سعرها. وفي ذلك تقليل للوساطة بين المنتج والمستهلك حتى لا تتحمل السلعة زيادة النفقات بزيادة الأيدي التي تتداولها، كما نهى الإسلام عن بيع الحاضر للبادي، وعن الغش والتدليس، وفي كل ذلك حماية للسوق من الإغراق، وحماية للمستهلكين.

الحواشي:

١-انظر: د. زين العابدين بدوي ناصر- د. صفوت عبد السلام - الاقتصاد الدولي ص ١٩٤- ط: دار الثقافة الجامعية ١٩٩٦ م.

٢- موطأ الإمام مالك - ص ٣٦١ - ط: دار البحار بيروت - ط أولى ١٩٨٦م.

٣- الطرق الحكمية لابن القيم ص ٩٨، المحلى لابن حزم ج٩ / ١٧٣ .

٤- د. حسين عمر- المنافسة والاحتكار ص١٢٢ - ط: دار النهضة العربية ١٩٩٠م.

٥- المحلى لابن حزم ج٩ / ٧٦٤ .

٦- بيع الحطيطة أو الوضعية هو بيع السلعة بأقل من ثمنها الأصلي، انظر: الدرر لأحكام شرح غرر الأحكام لملا خسرو ج٢ / ١٨٠ ط الحلبي ١٩٧٣م.

٧-بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ج٢ / ١٢٢ ط دار الفكر، ومن الثابت أن هذه الصورة المثالية تحمل عليها النزعة الإيمانية الصادقة التي هي ثمار نعمة الإسلام، الذي يحمل صاحبه على الإيثار والتضحية بالمصلحة الخاصة - الربح الوفير - في سبيل المصلحة العامة، وهو شعور يستحيل أن يتأتى في ظل مجتمع رأسمالي يقدس المصلحة الخاصة من دون أدنى اعتبار لآلام المحرومين، بل هو مجتمع قاس يبني آماله على أنقاض المنكوبين.

٨-أخرجه الترمذي في سننه كتاب البيوع باب ما جاء في التسعير ج٣ / ٥٩٦ رقم ٣١٤، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، واحمد في مسنده ج٢ / ٢٣٧ .

٩- نيل الأوطار للإمام الشوكاني ج٥ / ٣٣٥ ط دار الفكر بيروت.

١٠ - في مجمل هذه الشروط انظر: د. يوسف كمال محمد - فقه الاقتصاد الإسلامي - ص ٢١٥ وما بعدها- ط دار القلم الكويت.

١١- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب البيوع ما يكره من الحلف في البيع ج٣/ ٦٠ .

١٢- سبق تخريجه.

١٣-الهداية بداية المبتدي ج٤ / ٩٣ .

١٣ - نهج البلاغة للشريف الرضي- ج٣ ٥/ تحقيق الإمام محمد عبده - ط دار النهضة بغداد ١٩٨٢م .

١٥- الطرق الحكيمة لابن القيم - ص ٢٥٨ .

١٦- المرجع السابق.

١٧ - سبق تخرجه.

١٨-السنن الكبرى للبيهقي ٦ / ٢٩ .

١٩- د.حسين حامد حسان - نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي - ص ٣٣٤ .

٢٠-أخرجه ابن ماجه في سننه من كتاب التجارب باب الجلب والحكره.

٢١ - وفي هذا يقول الفاروق عمر: أيما جلب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف فليبع كيف شاء، وليمسك كيف شاء، معالم القربة في أحكام الحسبة - ص ١٢٢ -ط: دار الحداثة بيروت ١٩٩٠م.

٢٢-انظر: بدائع الصنائع للسرخسي ج٥ / ٢٣٢، بداية المجتهد لابن رشد- ج٢ / ١٤٤، المهذب للشيرازي ج١ / ٢٩٢، المغني لابن قدامه ج٤ / ٢٤١ وغيرها.

التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية

بقلم فضيلة الشيخ:
محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي
موريتانيا

خلق الله الإنسان وسخر له الكون ليكون خليفة الله في الأرض، قال الله تعالى:﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوت والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان....﴾

ومن قديم الزمان انقسم بنو الإنسان إلى مؤمن وكافر وبر وفاجر، ولم يمنع ذلك من عيشهم على هذا الكوكب، بل وتعاونهم في شؤونهم اليومية في غير أوقات الحروب والنزاعات.

وبحكم الاختلاف الحتمي والطبيعي بين الناس فليس أمامهم من خيار غير التعاون في المتفق فيه الذي يفترض أن يتوصل إليه بواسطة حوار بناء أطرافه متكافئة ومتسامحة وبهذا يمكن التعايش بين الناس وإن اختلفت عقائدهم وتعددت مشاربهم وتباينت أهدافهم وبغيره يقع ما لا تحمد عقباه من تنافر وتناحر يقطع الأرحام ويهلك الحرث والنسل

ويأتي على الأخضر واليابس ومحاولة لبيان هذا الموضوع أكثر أورد النقاط التالية:

شرع الإسلام التسامح وأمر بالعدل والرحمة والبر بين البشرية

المحور الأول: من نحن ومن الآخر؟

أما المقصود بعبارة «نحن» فهم من عنتهم الآية الكريمة ﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ «الحج -٧٧-٧٨».

وأي فرد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعمل بمقتضى ذلك داخل في هذا التعريف، ولما كان محمد ﷺ آخر نبي وآخر رسول وكانت أمته آخر أمة أنزل إليها وحي من الله - لما كان ذلك كذلك- اقتضت حكمة الله أن تكون هذه الأمة متميزة عن غيرها من الأمم وهذا التميز شامل لمناحي الحياة، عقدية واقتصادية وسياسية واجتماعية.

إذ ليس مقبولاً شرعا ولا مستساغا عقلا أن تكون آخر أمة أخرجت للناس لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تابعة لأمة أخرى مهما علا شأنها قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ «البقرة-١٤٣».

أما الآخر فنعني به من لا يعتقد عقيدتنا ولا يؤمن بديننا وهذا التعريف يشمل أتباع الديانات السماوية السابقة يهودا ومسيحيين كما يشمل من يدينون بديانات أخرى، ومن لا يدينون بشيء مع استحضار واستدراك المكانة الخاصة لأهل الكتاب لدى المسلمين والفروق بين الفريقين (المسلمين وغيرهم)، عديدة لكنها لا تصل إلى التضاد والتناقض المطلق، ولا تمنع التعايش ولذا لزم البحث عن أرضية مشتركة يمكن أن يقف عليها الفريقان ليعيشا في سلام وأمان ويعملا لتعمير الأرض وسعادة الإنسان.

المحور الثاني: أرضية التعايش

لا يخفى على دارس تعدد وتنوع واختلاف عقائد وعادات وتقاليد البشرية، فلكل قوم ملتهم ومذهبهم ونظرتهم إلى الكون وإلى الحياة وهذا التنوع الذي قد أوجد هذا الاختلاف يمكن فهمه والتعايش معه إذا وجد الجميع أرضية صلبة يقفون عليها يرتضونها جميعا.

وللوصول إلى تلك الأرضية أقترح ما يلي:

أ- أن ينطلق الجميع من حقيقة لا جدال فيها وهي أن الناس لا يمكن أن يكونوا نسخة مكررة لأن الله لم يفطرهم على ذلك بل جعل الاختلاف سنة فيهم قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم..﴾ «هود - ١١٨-١١٩» أي لو شاء الله لجعل الناس كلهم مؤمنين مهتدين على ملة الإسلام ولكنه لم يفعل ذلك لحكمة.

﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾ أي ولا يزالون مختلفين على أديان شتى وملل متعددة ما بين يهودي ونصراني ومجوسي إلا ناسا هداهم الله من فضله وهم أهل الحق (ولذلك خلقهم) اللام لام العاقبة أي خلقهم لتكون العاقبة اختلافهم ما بين شقي وسعيد، قال الطبري: المعنى للاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم.

ب- احترام المعتقدات والمبادئ الأساسية لكل طرف:

وهذه مسألة بالغة الأهمية ولها أثرها الطيب على العلاقات بين الأمم والمجتمعات فلكل أمة عقيدة أو مبادئ تقدسها وتلتزم بها وتعتبرها أسمى من غيرها ويدخل في هذا أركان الإيمان عند المسلمين، من إيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره... ولغير المسلمين ما يقدسونه ويحتفون به من آلهة يعبدونها، أو مبادئ يعتزون بها... ومبدأ الاحترام مبدأ قرآني أصيل دل عليه قوله تعالى:﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ «الأنعام -١٠٨».

أي لا تسبوا آلهة المشركين وأصنامهم فيسبوا الله جهلا واعتداء لعدم معرفتهم بعظمة الله، قال ابن عباس: قال المشركون لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم.

ومعاملة أي من الطرفين للآخر بعدم احترام وخاصة في هذا الجانب له آثار مأساوية، وأنصع مثال على ذلك ما اقترفته الصحيفة الدنماركية رساموها من تعريض وسخرية بمحمد ﷺ وهو المكر الشنيع الذي أوقد نارا لا تزال مشتعلة، وقد أتى حريقها على الأرواح والأموال... وسبب هذا المنكر الشنيع شرخا يصعب تجاوزه بين المسلمين والغرب مالم يبادر الغرب إلى الاعتذار وتشريع ما يحول دون فعل مماثل.

ج- العمل على إرساء مبدأ التعاون والتشارك بدل الاستعمار والاستغلال والقهر..

وفي هذا السياق على الغرب أن يقنع أن ثروات المسلمين وبقية العالم الثالث ليست ملكا للغرب ينهبها مباشرة أو عن طريق أعوان يصنعهم على عينه ويتعاهدهم بحمايته ورعايته بل هي ملك للشعوب التي جعلها الله في أرضها وخصها بها... وليس خافيا أن نهب الدول الغربية لثروات الغير في الماضي والحاضر سبب مجاعات وكوارث لا حصر لها.

د- احترام المبادئ الإنسانية المشتركة كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان:

فهذه قيم إنسانية سامية يجب أن لا تتخذ مطية للإساءة إلى

الغير والتهجم عليه بحجة حرية التعبير... ويؤخذ على الغرب ترسيخه لهذه القيم في دوله وتشجيعه للاستبداد والظلم في الدول الأخرى، وخصوصا في بلاد المسلمين وهو أمر له ضرره البين على الجانبين.

هـ- احترام إرادة الشعوب في الاختيار:

اختيارها لدساتيرها وقوانينها... ومن يحكمها ولا مجال لوصاية أمة على أخرى فكما لا تقبل الدول الأوروبية مثلا أن تحكم بشريعة الإسلام، عليها أن لا تحاول فرض نموذجها العلماني الليبرالي على المسلمين وما الضجة الكبرى التي أعقبت الفوز الساحق لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين ومارافقها من تهديد ووعيد إلا دليل على النفاق والأنانية وحتى العنصرية المتنامية في الدول الغربية... وقد آن الأوان لاعتراف الرجل الأبيض أنه ليس وحده القاطن في هذا الكوكب... وليس وحده المؤهل للتفكير والتنظير والتنفيذ أصالة عن نفسه ونيابة عن غيره، فتلك مرحلة في طريقها إلى الانتهاء بعد عودة المسلمين إلى أصالتهم وحضارتهم وبزوغ نجم الصين والهند كدولتين تزداد قوتهما البشرية والاقتصادية... ليستمر التدافع والتوازن الذي إذا اختفى اختفت الحياة، قال تعالى: ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾.

و- إعادة النظر في المؤسسات الدولية القائمة:

كالأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة من مجلس أمن... إلخ لأن النظام الذي تقوم عليه يخدم الأقوى ولا مصلحة فيه للضعيف والعلاقة بين البشر لا يمكن أن تكون قائمة على ذلك، وقد باتت المؤسسات الدولية تابعة لدولة واحدة هي الولايات المتحدة تغزو بها من تشاء، وتحاصر من تريد، وتكافئ من يدور في فلكها... وهو أمر أفقد المؤسسات الدولية مصداقيتها ومبرر وجودها.

ز- وضع أسس جديدة للاقتصاد العالمي:

بخلاف ماهو قائم من سيطرة البنك وصندوق النقد الدوليين على مقدرات الشعوب المختلفة لتسخيرها لخدمة دول بعينها هي أميركا وأوروبا ولو هلك بقية الخلق عن بكرة أبيهم... ولابد أن تكون الأسس الجديدة مبنية على ما يخدم مصلحة الجميع وأن تتيح للأمم المختلفة إبراز مبادئها وخصوصياتها، وفي هذا السياق ليس من حق الناقدين في العالم الغربي أن يفرضوا على المسلمين التعامل بالربا... وهو في دينهم من أعظم المحرمات قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنو اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله..﴾.

وفي الصحيحين: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا وما هي يارسول الله، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

ح- إتاحة فرص التطور التكنولوجي والاقتصادي والسياسي.. أمام كل الأمم: فالسياسة الحالية التي يحتكر فيها الغرب الصناعي أهم العلوم والتقنيات والسعي الحثيث لوضع القواعد الصارمة لحرمان المسلمين خاصة من التكنولوجيا المتقدمة... يتحتم التخلي عنها واستبدالها بنشر أسرار العلوم التجريبية لتعم فائدتها الجميع.

ط- معالجة الأزمات الكبرى: بعدالة تزيل أو تقلل الشعور بالظلم والمهانة السائدة بين المسلمين بسبب سلب أرضهم وانتهاك عرضهم ونهب ثرواتهم واستهداف مقدساتهم ... والأمثلة على هذا أوضح من الشمس في رابعة النهار:

فلسطين مغتصبة والأقصى مدنس والعراق تسيل الدماء فيه كالأنهار وأفغانستان مستباحة والشيشان مستلبة... والاستمرار في هذا الطريق لا يترك للمسلمين إلا خيارا واحداً هو خيار الجهاد والمقاومة قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا....﴾

ي- أن لا تكون التكتلات الكبرى حكراً على غير المسلمين

فالولايات المتحدة موحدة، والاتحاد الأوروبي مجتمع، والصين تجمع شملها ... أما المسلمون فيفرض عليهم التشرذم والتفرق والتجزؤ... لإبقائهم ضعافا مفككين عاجزين... رغم أن دينهم لا يقرهم على ذلك ولا يقبله منهم قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

■ المحور الثالث : فوائد التعاون

التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم المختلفة أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة، وقد شرع الإسلام التسامح وأمر بالعدل

والرحمة والبر بين البشرية، قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ «الممتحنة ٨».

وقال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾.

وقد ضرب المسلمون طيلة تاريخهم أنصع مثال على حسن معاملة غيرهم فلم يفعلوا ما فعلته أوروبا باليهود، كما لم يقترفوا ما فعل الاسبان بالمسلمين.

وامتدت معاملة المسلمين الحسنة لغير المسلمين قرونا عديدة ولا تزال إلى اليوم ويشهد لذلك وجود النصارى وغيرهم بين المسلمين في أماكن كثيرة...

ضرب المسلمون طيلة تاريخهم أنصع مثال على حسن معاملة غيرهم

والتعاون بين بني الإنسان لا غنى عنه وفيه فوائد كثيرة منها:

- انتشار المبادئ والأخلاق الأكثر إقناعا وجاذبية كالمساواة والحرية والديمقراطية والعدالة... والصدق والأمانة... والوفاء.
- استفادة كل فريق من خبرات وتجارب الفريق الثاني في كل مناحي الحياة: سياسية، اقتصادية، اجتماعية، وإعلامية.
- تنمية وتعزيز القواسم المشتركة بين الفرقاء جميعاً لأن مركباً واحدا يجمعهم وأي خلل سيدفع الجميع ثمنه غالياً.
- ازدهار العلوم والفنون المختلفة بتلاقح الحضارات وإثراء بعضها للبعض الآخر.
- سرعة التطور العلمي والتكنولوجي لما فيه مصلحة الإنسانية.
- تكامل الموارد الاقتصادية بتبادل السلع والخدمات بشكل منصف يكفل للكل العيش الكريم للفرقاء جميعا.
- حرية التنقل والتملك.
- الشعور بالأمان والسلام.

■ المحور الرابع: أضرار التصادم

التصادم بين الحضارات والأمم عواقبه مدمرة لا تخفى على أحد ولا يسعى إليها عاقل وقد روج العديد من المنظرين الغربيين لصراع الحضارات كالأميركي هينتجتون وغيره، والهدف الأول لهم المسلمون والحضارة الاسلامية وان عدوا معها أحيانا الحضارة الصينية.

ومالم يبادر العقلاء إلى استدراك الأمر والسعي للسير بالبشرية في الطريق الآخر طريق تعاون وتكامل الحضارات فإن الحياة على هذه الأرض لن تكون سعيدة، بل ستكون مليئة بالأحزان والأحقاد التي هي حتمية للظلم والجور والقهر.

■ خاتمة:

مرت حتى الآن حقب طويلة على الجنس البشري على هذا الكوكب الأرضي تراوحت العلاقة فيها -بين بني الإنسان- بين التفاهم والتكامل، والتعاون ... وبين الخلاف والنزاع والشقاق .. كانت نتيجة الأولى إيجابية على الجميع، أما الثانية فكانت سلبية بكل المقاييس، ولذا من المصلحة بل من المتحتم أن يعمل المخلصون لمبادئهم وأوطانهم.. للوصول إلى قواسم مشتركة يقف عليها الجميع ويعمل من أجلها لتقل أسباب ودواعي صراع وتصادم الحضارات الذي أباد أمما وشعوبا في الماضي والحاضر، وقد يبيدها في المستقبل «لا قدر الله» مالم يتدارك الموقف.

والمسلمون -من جانبهم- ممثلون في التيار الوسطي العقلاني المعتدل جاهزون للتعاطي إيجابيا مع أي قوم يعاملونهم باحترام، ويضعون قدراتهم وإمكاناتهم معهم في خدمة الإنسانية.

● بحث مقدم إلى مؤتمر «نحن والآخر» الذي أقامته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في الفترة من ٤ -٨ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٦-٨ مارس ٢٠٠٦ .

من المسؤول عن انتكاس التعايش بيننا وبين الآخر؟!

«أحداث اسبانيا مثلا»

سؤال على غاية من الأهمية يطرح اليوم في المحافل الأكاديمية الغربية المعنية بدراسة الإســـلام وأهله، هل ثوابت هذه الأمـــة وخصوصيات شعوبها تشكل «اليوم» عائقا في وجه التعايش مع الأمم الأخرى؟

كانت هذه إحدى أهم الاقتراحات لإجراء البحوث لإعداد دراسة للدكتوراه في إحدى كليات الاستشراق في مدريد، الهدف من هذا الاقتراح كما نفهمه نحن كان استعراض الأسباب التي تقف وراء ما يبدو من أنه رفض قطاع واسع جدا من المجتمع الأسباني للعرب «المسلمين» وهذه الكراهية التي تتمدد شيئا فشيئا وبسرعة تنذر بأخطار حقيقية تهدد حياة الأفراد وسلامة الجاليات المسلمة في اسبانية. هذا الوضع كان قائما منذ بدء تدفق الجاليات العربية والمسلمة على هذا البلد لكنه ازداد سوءا إلى درجة بالغة الخطورة منذ أتى حزب الشعب الحاكم إلى السلطة، أي قبيل تفجيرات قطارات مدريد بسبعة أعوام ونصف، حيث بدأت حملات إعلامية منظمة غير مسبوقة ضد العرب «المسلمين» الكلمتان في أذهان القوم متساويتان - حملات من الهجوم والتشويه والكذب والإجحاف، لكن أهمها على الإطلاق كان ذلك المتعلق بالأوضاع الثقافية للمهاجرين التي أسهبنا في الحديث عنها في بداية هذا البحث.

أكثر من ذلك لقد ذهب كثيرون (مستندين إلى دلائل تكاد تكون يقينية) الى أن تفجيرات مدريد لم تكن لتقع لولا أن

بقلم: نوال السباعي - مدريد

حكومة «أثنار» لم تكن قد غضت الطرف عن عمد عن تلك المجموعات من الشباب المجنون المتهور الذي قام بتلك التفجيرات بعد أن ملأ الدنيا بنيته بالقيام بها حتى أن سجلات الشرطة والمخابرات العامة كانت ملأى بالبلاغات شبه اليومية من مسلمين واسبان عن تحركات تلك المجموعة تحت سمع وبصر المخابرات الأسبانية ووزارة الداخلية الأسبانية، حتى إن أئمة بعض مساجد مدريد كانوا قد قدموا تقارير مفصلة عن خطط زعيم تلك المجموعة الماضية بالقيام بتفجير قطارات مدريد!!

الأمر المثير للدهشة والاستغراب أن حكومة «أثنار» لجأت الى الكذب في الأيام الثلاثة التي تلت هذه التفجيرات قبيل الانتخابات العامة فسقط شر سقطة في الانتخابات. لم تسقطها التفجيرات التي هدفت الى إسقاطها ولكن أسقطها كذبها على الجمهور الجريح، لكنها بعد سقوطها لجأت الى اتهام الحكومة الاشتراكية بأنها كانت ضليعة في التفجيرات بشكل أو بآخر في محاولة إسقاط حكومة أثنار، وذهبت بعيدا جدا عندما راح «أثنار يجوب أوربة والولايات المتحدة الأميركية ملقيا محاضرات شارحا فيها نظريته الخاصة عن صراع الحضارات مدعيا أن ما حدث في مدريد لم يكن له أي علاقة بحرب العراق، ولكنه «مخطط إسلامي» لضرب الحضارة العربية بأسسها وقيمها وإحلال الحضارة الغربية مكانها، وإعادة احتلال الأندلس - هكذا بالحرف - (راجع محاضرات حوسه ماريا أثنار في جامعة جورج تاون ٢٠٠٥

الأميركية).

أوردت هذا التحليل دون تعليق في هذا البحث ليستخلص المراقب وحده الدور الذي تقوم به بعض الشخصيات والأحزاب الغربية لهدم جسور التعايش معنا «نحن العرب» أي الآتون من المنطقة العربية والإسلامية.

بسؤال آخر يهمنا إيراده هنا لاستكمال بحثنا هذا، لأنه يلقي بظلال كثيفة على الموضوع الذي أشبعناه شرحا فيما سبق من نقاط، هذا السؤال طرحه صحفي فرنسي إثر تفجيرات قطارات مدريد عام ٢٠٠٣ على أحد الباحثين من الشباب المغاربة من حمله أكثر من درجة من درجات الدكتوراه في كلية الدراسات الاستشراقية في جامعة الأوتونوما في مدريد: هل تعتقد أن شباب الأمة الإسلامية يعانون من معضلة حقيقية ويعيشون ويتحركون في إطارها؟!.

هذين السؤالين من الأهمية والخطورة بمكان يجب فيه على كل واحد منا أن يفكر في الأجوبة اللازمة عليهما بكثير من الدقة والصدق والاخلاص لانه في الجواب عليهما تكمن الإجابة على موضوع هذا البحث.

إننا نعاني من مشكلات خطيرة تتعلق بجيل كامل من الشباب العربي «المسلم» لقد تربى هؤلاء الشباب في بلادنا في أجواء القهر السياسي والظلم الاجتماعي والحرمان من الحريات وانعدام الأمن والطمأنينة وأعظم ما في ذلك كله انعدام الشعور لدى الشباب بالكرامة كإنسان وكمواطن بالنسبة للرجال، إضافة إلى انعدام الشعور بالفردية للمرأة كذلك.

وسائل التربية المتبعة في بلادنا من أقصاها الى أقصاها تكرس هذه الجرائم الفردية والجماعية بحق الأجيال، وسائل الإعلام عاجزة أو أنها لا تريد أو لا تنتبه إلى هذه المعضلات الخطيرة المدمرة في حياة الشبيبة، والإنسان الذي لم يرب أن يحترم إنسانيته لايمكنه أن يحترم إنسانية الآخرين، الفرد الذي لا يعرف لنفسه أي قيمة في أسرته لا يستطيع أن يربي أبناء يعرفون قيمة أنفسهم وقيمة الآخرين كأعضاء يتمتعون ببالغ الأهمية في الأسرة والمجتمع، التربية بالإهانة والضرب لايمكن أن تنتجا جيلا سويا، الأولاد الذين اعتادوا على الضرب يفتقدون لدى الحوار مع الآخر أي لغة إلا لغة العنف، يستوي في ذلك حوارهم مع الزوجة أو الأبناء أو الإخوة الأقرباء أوالجيران أو الآخرين كلما اتسعت دوائر الانتماء الاجتماعية.

التلاميذ الذين يعتادون سماع الشتيمة بال «كلب» لن ينتجوا الا ثقافة شخصية تتلخص في الرغبة في النباح في وجه كل من يقترب منهم. وأولئك الذين اعتادوا أن يناديهم آباؤهم بال «حمير» سيكون «الرفس» وسيلتهم الوحيدة للتخاطب والتفاعل مع «الآخر».

ما هو السبب الرئيس «من طرفنا» للاشكاليات الناشئة بيننا وبين الآخر لدى الحديث عن التعايش، إنها «من طرفنا» إشكالية تربية، فشلت وسائل ومناهج التربية في المنطقة العربية في تخريج أناس يحترمون إنسانيتهم وكرامتهم وحرياتهم، لأن وسائل التربية والإعلام كانت خاضعة ومسيرة من قبل الأنظمة السياسية الحريصة على تخريج العبيد، بينما انشغلت الجماعات الإسلامية «في معظم دول المنطقة» خلال نصف قرن كما أسلفنا في صراعاتها السياسية والثورية مع تلك الأنظمة والوصول إلى السلطة بأي ثمن الى درجة أنها نسيت تماما القضية الاجتماعية، بينما غيبت قضية البحث في تغيير أوضاع المرأة لأسباب تتعلق بارتباط الثقافة في أذهان الخاصة والعامة بالثوابت إلى درجة الخلط بين النصوص وما ورثناه من عادات وتقاليد، الدين منها براء.

أسئلة يجب إثارتها في نهاية البحث الذي يصعب أن ينتهي عند هذه النقاط، نتركها لتثير التفكير على هامش ما قدمناه من حقائق أو ومضات:

- ما هو الثابت والمتحول في حياة الأمم والأفراد؟
- لماذا ومتى وكيف تحولت كلمة «اندماج» إلى كلمة «تعايش» في وضع الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب؟
- ما هو سبب الإشكاليات الناشئة بين الأقليات الدينية والعرقية في بلادنا وبين «السلطات السياسية في البلاد»، هل هذه الإشكاليات موجودة بين الأقليات وبين المواطنين؟
- هل قصد القرآن التفريق بين «الشعوب» والقبائل «عندما تحدث عن «التعارف» بينها بمعنى «التعايش» في مفهومنا المعاصر؟ «الشعوب» هي الأمم فيما بينها من علائق وصلات. والقبائل هي المجموعات البشرية التي تتحرك نحو غيرها في المكان والزمان عن طريق الهجرة؟

يعني أنه يوجد اتجاهان للتعايش «التعايش بين الشعوب» و«التعايش بين المجموعات البشرية التي تهاجر» دقة قرآنية مذهلة في توصيف العلائق بين المجموعات البشرية.

- هل قدرتنا على التعايش منوطة بالضرورة الحيوية للتغيير؟ أي تغيير نقصد المفروض علينا من قبل الآخر؟ أم الذي يجب أن ينبع من ذواتنا ومن قراءتنا النقدية الموضوعية الصادقة لأوضاعنا الإنسانية والاجتماعية؟ ما هي الوسائل الكفيلة بإحداث هذا التغيير؟
- هل نعيش اليوم حالة «صدام حقيقي بين الحضارات» كما تدعي الفوى المبالغة في التطرف بين الشرق والغرب، أي «بيننا» وبين «الآخر»، أم أنه «حوار» عنيف لن يخرج عن كونه حوارا مادام هناك قوى اجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية تدعمه وتدفع باتجاهه؟ أم أننا على مستوى العالم اليوم نشهد مجرد «مسرحية» إعلامية عالمية تساق فيها قطعان البشر بسطوة الإعلام في الغرب، كما يساقون في الشرق بسلطة الاستبداد السياسي والاجتماعي العاطفي نحو ما تريده مصانع إنتاج الأسلحة وشركات البترول؟

❖ بحث مقدم إلى مؤتمر نحن والآخر الذي أقامته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الكويت في الفترة ما بين ٦-٨ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٦-٨ مارس ٢٠٠٦م.

الأمة الإسلامية وأخطار القطرية عليها

لم يكن هناك أمة مكونة في الجزيرة العربية عندما نزل الوحي على الرسول ﷺ في غار حراء بل كانت قبائل متناحرة، ولهجات مختلفة، وأديان متعددة، وأمال متصاعدة، وكيانات سياسية على أطراف الجزيرة العربية مستغلة من قبل الدول الكبرى المجاورة وهما:

كيانا الغساسنة والمناذرة في الشام والحيرة اللذان كانا مرتبطين بدولتي الروم والفرس، وعندما توفي الرسول ﷺ ترك على مستوى الجزيرة العربية كلها أمة موحدة تدين بكتاب واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة، وتعظم ربا واحداً، وتتبع شريعة واحدة، وتقودها قيادة سياسية واحدة ... الخ.

ثم توسعت الأرض التي تعيش عليها هذه الأمة لتشمل بلاداً مجاورة كبلاد الشام وفارس في آسيا، ومصر في أفريقيا... إلخ... كما صهرت هذه الأمة في بوتقتها شعوباً أخرى مثل شعوب الفرس والترك والروم والبربر والكرد ... إلخ.. ثم استوعبت هذه الأمة الحضارات والعلوم والثقافات التي كانت موجودة في الأراضي التي توسعت فيها وشكلت منها حضارة واحدة ذات شخصية مستقلة وهي إحدى حضارات التاريخ البشري البارزة.

واستمرت هذه الأمة موجودة فاعلة على مدار القرون السابقة، وقد تعرضت في مسيرتها إلى أخطار خارجية وداخلية عدة، وأبرز الأخطار الخارجية التي تعرضت لها الأمة: الحروب الصليبية وحرب المغول، فقد استمرت الحروب الصليبية قرنين من الزمان، وساهمت فيها كل دول أوروبا وشعوبها من خلال سبع حملات، واحتل المقاتلون أراضي واسعة في قلب العالم الإسلامي، لكن الأمة الإسلامية استطاعت في النهاية التغلب عليهم وإخراجهم من الأراضي الإسلامية كما استطاعت إيقاف الغزو المغولي بعد أن انتصرت عليه في معركة عين جالوت، وكان المد المغولي قبلها قد اكتسح جميع بلدان آسيا ودمر بغداد عاصمة الخلافة العباسية العام ٦٥٦ هـ.

وبالإضافة إلى تلك الأخطار العسكرية الخارجية التي هددت الأمة برزت أخطار داخلية هددت عناصر بناء الأمة وعوامل وحدتها الداخلية، ومن ذلك تشكيك فرقة الزنادقة في القرآن الكريم، وإظهار تناقض آياته، مما اقتضى عالماً مثل «أحمد بن حنبل» إلى تأليف كتاب في الرد عليهم حمل عنوان «رسالة في الرد على الزنادقة والجهمية»، واقتضى تشكيل ديوان الزنادقة في خلافة «المهدي العباسي» من أجل المتابعة القضائية لهم مما يشير إلى استفحال خطرهم.

ومن الأخطار الداخلية الأخرى التي هددت وحدة الأمة «الشعوبية»، والتي قامت على استصغار الجنس العربي والاستخفاف به، والتهوين من شأن اللغة العربية والبيان العربي مما دفع كاتباً مثل الجاحظ إلى تأليف أكثر من كتاب في الرد على هذه الشبه وتفنيدها ومنها كتاب «البيان والتبين» الذي أوضح فيه أصول البيان العربي بالمقارنة مع بيان الأمم الأخرى، واعتدال الأسس التي يقوم عليها هذا البيان العربي وجمالها.

ومن الأخطار الداخلية أيضا التشكيك في السنة، والذي قامت به فرق مختلفة ومنها المعتزلة، مما جعل الشافعي يخصص جزءا من كتابه «الرسالة» لتفنيد رأي الذين يقولون بكفاية القرآن الكريم والاستغناء عن السنة والرد عليهم بقوله: إن القرآن الكريم الذي أوجب طاعة الله أوجب طاعة الرسول وأسس - بالتالي وجود السنة وقيام شرعيتها.

ومن الأخطار الداخلية أيضا الفرقة السياسية التي تجلت بقيام كيانات سياسية عدة حتى في عهود القوة الإسلامية أثناء الخلافة العباسية، من مثل: دولة البويهيين، والسلجوقيين، والحمدانيين، والإخشيديين، والطولونيين، والمرابطين، والموحدين،... إلخ.

لكن الأمة استطاعت التغلب على كل تلك المصاعب والأخطار والهزات والتشكيكات بالوحدة الثقافية التي عززت بناءها الداخلي ونسيجها الاجتماعي، والتي قامت على دعامتين:

الأولى: القرآن والسنة والعلوم التي ارتبطت بهما ونتجت عنهما.

الثانية: العلماء والفقهاء الذين أفرزتهم الحياة الإسلامية وأعطتهم دوراً قيادياً في المجتمع الإسلامي.

بقلم: غازي النوبة - الكويت

أما الدعامة الأولى للوحدة الثقافية فجاءت من معاني القرآن والسنة وحقائقهما وقيمهما ومبادئهما التي تدعو إلى التوحيد والتطهّر وتزكية النفس ومكارم الأخلاق وإعمار الدنيا والخوف من مقام الله ونبذ الشرك وإقامة شرع الله واتباع الأنبياء ...إلخ، وقد تطلبت سور القرآن الكريم والأحاديث الشريفة علوماً لحفظهما ولفهمهما وللبناء عليهما، فمن العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وصور الإعجاز، ومدارس التفسير... إلخ، ومن العلوم التي ارتبطت بالحديث الشريف علوم الجرح والتعديل، والرواية والدراية، ومصطلح الحديث، وطرق تصنيف كتب الحديث ... إلخ، كما تطلبت سور القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الاهتمام باللغة العربية وحفظ اللسان العربي من اللحن والبيان العربي من الانحطاط، فكانت علوم النحو والصرف، وعلوم البيان والبديع، وعلوم العروض والقوافي، ومعاجم اللغة التي جمعت

مفردات العربية ... إلخ وقد اقتضت حركة المجتمع ومستجدات الحياة إصدار أحكام شرعية جديدة عليها، وتطلبت هذه الأحكام علوما شرعية تساعد على تقنينها فانبثق علم أصول الفقه ثم علم مقاصد الشريعة ليكونا أبرز علمين كان الهدف منها المساعدة في ضبط عملية الاجتهاد.

ساهمت حقائق القرآن والسنة التي أشرنا إليها سابقاً في توحيد عادات الأمة الإسلامية وتقاليدها في مشارق الأرض ومغاربها، وساعدت على توحيد نظرتها للأشياء المحيطة بها، وساعدت في توحيد ميزانها القيمي، وشاركت في توحيد تفسيرها لأمور ما قبل الحياة وما بعدها ... إلخ، كما ساعدت العلوم التي ارتبطت بالقرآن الكريم والحديث الشريف واللغة العربية والتي ذكرنا بعضها في حفظ نصوص القرآن والسنة من جهة، وفي اتجاه طريقة موحدة لاستنباط الأحكام الشرعية وتقنينها ضمن منظومة الحلال والحرام والمكروه والمندوب... إلخ، من جهة ثانية.

أما الدعامة الثانية للوحدة الثقافية فهم العلماء والفقهاء الذين جاءوا من تعظيم الدين للعلم، وثناء القرآن على العلماء، وحض الرسول ﷺ على التعلّم، واتخاذه ﷺ مواقف عملية تترجم ذلك في أكثر من مناسبة كما حدث مع أسرى بدر حين جعل فداءهم تعليم الكتابة لعدد من المسلمين. وجاءت من وجود أوقاف غنية تنفق على العلماء وعلى طلبة العلم وعلى دور العلم وعلى نسخ الكتب وعلى إنشاء المكتبات العامة، وقد قام العلماء والفقهاء بحراسة وحدة الأمة الثقافية وتحصينها والسهر عليها وإيجاد اللحمة الثقافية التي تدعم الوحدة وتنميها وتوسع ساحتها.

لكن وحدة الأمة تتعرض الآن إلى أخطر تهديد على مدار القرون الماضية جميعها، وهذا التهديد جاء في الكيانات القطرية التي تسعى إلى تأسيس ثقافي مستقل بها، مما سيؤدي إلى تقسيم الأمة الواحدة إلى أمم متعددة مختلفة، ولكن هذا التأسيس الثقافي للقطرية مر بمرحلتين:

الأولى: مرحلة تقسيم الأمة إلى أمتين: عربية وتركية وقد جاء ذلك على يد دولة الاتحاد والترقي في العام ١٩٠٨م من الجهة التركية وعلى يد الثورة العربية الكبرى العام ١٩١٦م من الجهة العربية، ولم تستطع الثورة العربية أن تجمع ما كان متفرقاً، بل فرقت ما كان مجموعاً في اتفاقية سايكس - بيكو وغيرها، ثم جاء التنظير القومي على يد ساطع الحصري ليرسخ القطرية ليس لأنه أراد ذلك، بل لأنه جعل الأمة تقوم على عنصري اللغة والتاريخ واستبعد الدين من عناصر تكوين الأمة، وهو في ذلك كان متابعاً النظرية الألمانية، ولكنه نسي أننا لا نستطيع أن نفهم واقع الأمة التي تقطن العالم العربي إلا بالإسلام لأن الإسلام دخل كل تفصيل حياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية...إلخ، وأننا إذا أردنا أن ننتقل بهذه الأمة من واقع التجزئة الى الوحدة فلابد من الاعتراف بدور الإسلام في بناء الأمة وتفعيل عناصره، وهو مالم تقم به القيادة القومية فكان بروز القطرية وترسخها، وصار الظن عند عامة الناس بأن التجزئة هي الأصل والوحدة هي الطارئة، مع أن العكس هو الصحيح.

الثانية: مرحلة التأسيس الثقافي المستقل لكل قطر: اتخذ دعاة القطرية عدم التقدم باتجاه الوحدة خلال القرن الماضي حجة من أجل اعتبار الوحدة خيالاً ووهماً، واتخذوا ذلك أيضا ذريعة من أجل الترويج للقطرية والتأسيس الثقافي لها والذي تجلى في عوامل عدة منها: طباعة كتب المؤرخين الذين تناولوا تاريخ القطر، وإبراز الرحالة الذين مروا به وكتبوا عنه، وتعظيم رموز الأدب والشعر المرتبط به، وتزكية تاريخه السابق على الإسلام كالتاريخ الفرعوني والبابلي والكالداني والآشوري والبربري والسرياني والفينيقي وإنشاء مراكز ومؤسسات ترعى ذلك التاريخ ... إلخ، ويرافق كل ذلك الاهتمام باللغة العامية والاهتمام بالشعر الشعبي والترويج لشعرائه ودواوينهم والاهتمام بالعادات والتقاليد والفولكور الشعبي الخاص بذلك القطر، وإنشاء المتاحف الخاصة به...إلخ، ليس من شك بأن هذا التأسيس الثقافي المستقل لكل قطر على حدة يتقاطع مع الوحدة الثقافية التي عرفتها الأمة على مدار تاريخها السابق، وهو في حال استمراره ونجاحه فإنه سيؤدي إلى أخطر ما واجهته أمتنا على مدار تاريخها السابق وهو تحويل الأمة الواحدة إلى أمم متعددة.

هل يمكن أن ينصف الاتحاد الأوربي العرب والمسلمين؟

يأمل العرب والمسلمون في موقف عادل يضطلع به الاتحاد الأوروبي ينصفهم من الظلم الواقع عليهم، وحملات التشويه والإساءة التي يوجهها لهم المحافظون الجدد الذين يتربعون على عرش العالم في البيت الأبيض، هؤلاء الذين آمنوا بنظرية صمويل هينتنجتون، واعتبروا الإسلام هو العدو البديل للاتحاد السوفيتي ومن ثم فلابد من تحجيم الدول العربية والإسلامية بدعوى مطاردة الإرهابيين الذين يهددون الأمن والسلام العالمي.

وفي الحقيقة إن ثمة علاقة تاريخية تربط الدول الأوربية بالعالم الإسلامي والعربي على الرغم من فترات الاستعمار الغربي لمعظم الدول العربية، وعلى الرغم من الاختلافات التاريخية والدينية والموروثات الثقافية، وتأسيساً على ذلك فقد بدأت بالفعل اتفاقيات الشراكة وتم الاتفاق على خطط للعمل بين الاتحاد الأوربي وكثير من البلاد العربية لوضع المشروعات المشتركة في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية بهدف تفعيل التعاون المثمر والبناء بين العرب والدول الأوربية.

وكانت رؤية عدد من البلاد الأوربية للاحتلال الأمريكي للعراق أكبر دليل على عدالة موقفها حين رفضت هذه البلاد المشاركة بقواتها في هذا الغزو ويسعى الاتحادالأوربي الآن إلى مساندة العراق وإعادة إعماره هذا البلد الذي خربته الحرب ودمرت الحياة فيه، كما تقدم الدول الأوربية المساعدات الإنسانية للمناطق المنكوبة في دارفور، وتقوم بتهدئة الأوضاع هناك مما يؤكد تعاطفها مع العرب والمسلمين.

وجاء انضمام تركيا إلى الاتحاد الذي حققه رجب طيب أردوغان رئيس وزراء تركيا وزعيم حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية إضافة ثرية للعلاقات المتنامية بين أوربا والعالم الإسلامي على الرغم من الشروط الصعبة التي فرضت على تركيا من أجل الوصول إلى العضوية الكاملة في الاتحاد الأوربي، إلا أن تركيا اقتربت من محطة الدخول الفعلي للاتحاد، ويكفي أن هذه الخطوة سوف تسهم في تخليص النظام التركي من حكم العسكر الذي أذاق البلاد الكثير من الويلات خلال العقود الماضية حين عمل الجنرالات بسيف القوة على فقدان تركيا لهويتها الدينية ومرجعيتها العقدية، كما أن أوربا تتبنى استراتيجية التفاوض حول البرنامج النووي الإيراني، وتقف حجر عثرة ضد محاولات الولايات المتحدة فرض سياسة القوة والردع، وطرح الخيار العسكري ضد إيران بسبب موقفها الصلب من التوحش الإسرائيلي في المنطقة، ودعمها لحزب الله في لبنان.

وتشير كافة الدلائل إلى أن الحرب على العراق لم تكن سوى القشة التي قصمت ظهر البعير لتفضح الخلاف حول المبادئ والأهداف التي تفصل بين الطرفين، فاستطلاعات الرأي العام تؤكد اختلاف وجهة النظر الأوربية عن وجهة النظر الأمريكية في هذا الصدد، وهذا ما دفع واشنطن إلى البحث عما وصفته بأوربا الجديدة لتكون نصيراً لها في المنطقة، وهو ما أثار حفيظة الجانب الأوربي الذي لا يقبل الاكتفاء بالجلوس في مقاعد المتفرجين، ولا يرغب في ترك الدفة للولايات المتحدة تحركها وحدها كيف تشاء، وقد أظهر استطلاع للرأي أجرته وكالة الأسوشيتدبرس في بريطانيا وكندا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا وأستراليا بالتعاون مع شركة أيسوس لاستطلاعات الرأي العام عبر سبعة من كل عشرة أشخاص في فرنسا وألمانيا وأسبانيا عن وجهة نظر سلبية في الرئيس الأمريكي جورج بوش.

كما أسفر استطلاع آخر للرأي العام أجرته صحيفة التايمز البريطانية أن الرفض الشعبي لحرب العراق قد بلغ مستوى قاسياً حيث ذكر ٥٧٪ في انجلترا أن قرار الغزو كان خطأ كبيراً مقابل ٣١٪ أعربوا عن تأييدهم لهذا الغزو، وجاءت هذه النتيجة على الرغم من التأييد السياسي والدعم العسكري المطلق الذي قدمه توني بلير للولايات المتحدة في كل قراراتها المتعلقة بالغزو.

بقلم: أ. د محيي الدين عبدالحليم - مصر

وفي هذا الصدد يؤكد السفير أليسنورو مينونزيزو نائب الأمين العام لحلف شمال الأطلنطي أن حلف الناتو ليس الولايات المتحدة، وأن أميركا ليست سوى دولة من ٢١ دولة أعضاء في هذا الحلف، كما أكد دين بيرج مندوب هولندا لدى الأمم المتحدة الذي تتولى بلاده الرئاسة الحالية للاتحاد دعم الاتحاد التام لكوفي عنان وتقديره الكامل لعمله على رأس المنظمة الدولية على الرغم من الحملة الشرسة الموجهة ضده من الكونجرس الأميركي.

وهكذا نرى أن الاتحاد الأوربي بدأ يستعيد مكانته الدولية بعد أن أصبح قوة لها وزنها تضم خمساً وعشرين دولة يبلغ عدد سكانها ٤٥٠ مليون

نسمة، وتتفوق في ذلك على الولايات المتحدة التي يبلغ سكانها ٢٩٥ مليون نسمة.

وفي هذا الإطار تشير الأحداث والتوقعات إلى أن فرنسا تملك مقومات جذب الاتحاد الأوربي إلى صف النظرة المتوازنة في الصراع العربي الإسرائيلي لخلق رؤية تستطيع من خلالها الوقوف في وجه المخطط الأميركي الذي يتبنى التوسعات الاحتلالية الإسرائيلية الغاصبة والضاربة بالقرارات الشرعية عرض الحائط، كما تملك مهارات تجييش قدرات دول الاتحاد الأوربي لإقناعها بأن مصالحها الاتحادية خير وأبقى من مصالحها الأميركية خصوصاً فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، ومن ثم فمن الأوفق أن يتبنى الاتحاد الأوربي سياسة متوازنة تعتمد على الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني المعترف بها دولياً، وهذا يعني أن الاتحاد الأوربي لم يعد لديه استعداد لغض النظر عن الأساليب الإسرائيلية في إضاعة فرص التوصل إلى اتفاق سلام، وتنفيذ مخططات الاستيلاء على المزيد من الأرض، وبناء المزيد من المستعمرات، وقتل المزيد من أبناء الشعب الفلسطيني وقياداته.

إلا أن هذه النتائج لايجب أن تجعلنا نسرف في التفاؤل لأن العلاقة بين أميركا وأوربا هي علاقة زواج يعلم طرفاه جيداً أنهما لا يستطيعان الانفصال على الرغم من الخلافات التي بدأت تظهر بين الطرفين، وفي هذا الصدد يؤكد المحللون السياسيون أن هذا الخلاف لن يتطور ليصل إلى صراع أو حتى مواجهة، فالروابط والمصالح بينهما تمنعهما من المجازفة بتطوير هذه الخلافات، ولكنها تدعوهما إلى الحوار لحل المشاكل التي برزت بينهما فقط.

وتأسيساً على ذلك فإنه لايجوز لنا أن نسرف في التفاؤل حينما نسمع عن اختلافات في وجهات النظر بين أوربا وأميركا لأننا في المحصلة النهائية أمام غرب واحد، وهو كل لا يتجزأ فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، فالأهداف والمطامع واحدة وإن بدت فجة أميركيا وناعمة أوربيا، لأن الطرفين ينظران الى ما تحت وفوق الأرض العربية، وتشير الوقائع والأحداث الى أن ثمة صفحة جديدة من الوفاق والتعايش قد بدأت بينهما بالفعل بعد أن استوعبت أوربا الدرس في أعقاب الاحتلال الأميركي للعراق.

في الحقيقة أن العرب والمسلمين مازالوا يملكون عناصر القوة التي تمكنهم من مواجهة التحديات التي تحيط بهم من كل جانب، ويكفي أن لديهم أكبر احتياطي عالمي للطاقة التي لا يستطيع الغرب الاستغناء عنها، ولديهم الأسواق التي تستهلك ما ينتجه الغرب، ولديهم الكثرة السكانية التي يمكن أن تسهم بفاعلية في العملية التنموية وفي إثراء الحياة عندهم، ولكن هذه العوامل يمكن أن تتحول إلى نقاط ضعف ضدهم مالم يتم تحصينها بحسن النوايا ووحدة القرار، واستخدام الأسلوب العلمي في إدارة الأزمات.

كما أننا في حاجة إلى الفكر العلمي التقني الى جانب الفكر الاستراتيجي والإعلامي المخطط، وتفعيل ما نملك من إمكانات اقتصادية وثقل سياسي وأدوات إعلامية لتحقيق التواصل مع العالم، ويكفي أن نعرف أن الدول العربية وحدها تملك ٢٠٠ مكتب إعلامي في الخارج إضافة إلى ٤٨٠٠ مكتب إعلامي وأصبح لدى العرب ما يزيد على ١٥٠ قناة فضائية، فهل وضعنا الشخص المناسب في المكان المناسب، وفعلنا قدراته المعطلة بدلاً من الوقوف على مربعات اليأس والإحباط وجلد الذات والاندهاش الذي نعيش فيه بلا مبرر.

وتشير البيانات الإحصائية إلى تزايد أعداد المسلمين في أوربا بدرجة كبيرة مما مكنهم من إقامة الجمعيات والمجالس المراكز والمساجد والاتحادات حتى إن أحد رجال الإعلام في الغرب قد صرح قائلاً «إن أوربا في الإسلام، والإسلام في أوربا» ويعيش المسلمون وسط الشعوب الأوربية في حوار ومزاملة ومشاركة حتى أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من هذه المجتمعات بعد أن أصبحوا أكبر الجاليات حجماً ولكن دون أن يكون لهم التأثير المأمول في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين في أوربا والغرب.

وفي هذا الصدد يؤكد المفكرون المنصفون في أوربا أن المسلمين قد قدموا خدمات جليلة للمجتمعات الأوربية التي يعيشون فيها وأسهموا في إعادة بناء أوربا بعد أن دمرتها الحربان العالميتان، وقد استفادت أوربا من العقول التي هاجرت إليها من العالم الإسلامي والعربي، وفيما في هؤلاء العديد من أصحاب العقول، وصاروا يمثلون ركائز للتقدم العلمي في هذه البلاد، ويقوم المسلمون حالياً في أوربا بأعمال شاقة لا يقدر عليها الأوربيون.

وإذا كان الإسلام هو الدين الثاني لكثير من البلاد الأوربية، فمن هنا تأتي أهمية التنسيق مع الجاليات المسلمة في الغرب، وإنشاء قنوات اتصال وحوارات دائمة وفاعلة معهم لربط هذه الجاليات بعالمها الإسلامي، واستثمار وجودها لتحسين العلاقات وإزالة سوء الفهم المتبادل بين المسلمين والغربيين ليتمكنوا من التصدي للحملات المغرضة التي تشوه صورة الإسلام في الغرب، ولذلك يصبح من الأهمية بمكان تزويدهم بالمعارف والمعلومات الصحيحة عن أوطانهم الأم، وتزويدهم بمصادر التمويل التي تمكنهم من الاضطلاع بمسؤولياتهم لتحقيق الأهداف التي تنشدها الأمة منهم، وتزويدهم بالعلماء والمفكرين للشرح والتحليل وتوضيح الرؤى والأفكار الغامضة والقضايا الخلافية لتعميق الفهم الصحيح لحقائق هذا الدين كما فعل العرب المسلمون الذين انتصر بهم الإسلام في دول شرق آسيا ووسط وجنوب أفريقيا، وهذا يعني أننا إذا لم نسارع باستثمار الثقل الأوربي فسوف نكتشف أننا لازلنا نقف في الخندق المظلم الذي وضعنا أنفسنا فيه، وقد نتقهقر منه عدة خطوات إلى الوراء.

وهذا يؤكد على ضرورة العمل على إقامة المشروعات المشتركة بينهما، فإذا كانت الدولة الإسلامية يقوم اقتصادها على تجارة المواد الأولية فإن أوربا الآن تمر بثورة المعلومات التي يمكن أن تسهم في إثراء العقل العربي والمسلم، فهل يفيق العرب والمسلمون من سباتهم العميق ويسارعون بوضع برنامج عمل شامل يشارك فيه نخبة من المفكرين في أوربا والعالمين العربي والإسلامي ليصبحوا قوة فاعلة في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة حتى يكونوا قوة فاعلة يحسب لها حساب لدى صانع القرار في الدول الأوربية.

نحو فقه ترشيد «الغضب الإسلامي»

بقلم: د. محمد إقبال عروي - المغرب

كشفت نازلة الغضب الإسلامي العام، ردا على جناية الرسوم الكاريكاتورية ضد شخص الرسول عليه الصلاة والسلام، عن ثلاثة خطابات في الساحة الفكرية:

- خطاب استعدائي ينفر من كل حضور إسلامي حتى ولو كان بنية الدفاع العفوي عن رسول الله، وقد بلغ من حدة هذا الخطاب أنه راح يستهزئ بمظاهر الوحدة «العفوية» التي أبانت عنها الاستجابة الجماهيرية في شرق العالم ومغربه لنداءات الغضب والمقاطعة.

والواقع أن هذا الخطاب يعيش أزمة بنيوية وحضارية حادة، وإذ لم تعد له القدرة على العطاء الفكري الجاد، أو الانخراط في إنجاز رؤية مستقبلية للخروج من أوضاع التخلف والجمود، وصار قصارى ما يطيقه أن يلاحق أي فعل ذي نزوع إسلامي لنقده والتشهير به، وقد يكون لهذا الخطاب نظرات حكيمة تجاه هذا الموقف أو ذاك، لكن اختياره أسلوب النقد التجريحي والتسفيه والتشهير والاتهام، فضلا عن احتمائه بمظلة الحداثة المتطرفة والمؤسسات الداعمة لها، يمنعه من أن يعتلي منبر الناصح الأمين الواجب اتباعه والاستماع إليه.

- خطاب تحميسي يذكي روح الغضب ضد الغرب ومؤسساته، ويستحضر تاريخا من الصدام والمواجهة لصالح الإبقاء على أوضاع التوتر وإغلاق أبواب التواصل والاحترام المتبادل بأصفاد ترتد إلى عصور الحروب الصليبية.

وقد انخرط في هذا الخطاب علماء ومفكرون ودعاة وخطباء وسياسيون، بل وأسماء نافذة في السلطة السياسية في بعض البلاد العربية، وهو ما يفسر إقدام الاتحاد الأوروبي على التلويح بإنزال عقوبات وسن مقاطعات ضد هذه الدولة أو تلك، باعتبارها داعية إلى «الغضب الإسلامي» وراعية له.

وقد كان من نتائج هذا الخطاب أنه، على الضفة الأخرى بالعالم الغربي، أزادت حدة خطاب الاستعداء ضد العرب المسلمين، ووجدها دعاة التطرف والعنصرية فرصة تاريخية نادرة لفتح ملفات تقليدية، وتحقيق مكاسب لصالح نزوعهم العنصري المتطرف، وإذا كان الغاضبون من مسلمي العالم قد انتهوا إلى حياتهم العادية بعد سلسلة من الغضب المتواصل، فإن الله، سبحانه وتعالى، وحده العالم بحال المسلمين المقيمين في أوروبا بعد خمود نار الاضطرابات والمقاطعات.

بل لقد بلغ من حدة هذا الخطاب التحميسي ضد الغرب درجة أنه صار يشكك في مشروعية الخطاب الثالث، ويعتبره خذلانا للمسلمين وتمييعا للمواجهة مع الغرب.

- خطاب ضعيف في رواجه وشعبيته، لكنه قوي في مسوغاته، موضوعي في آليات استدلاله، ومستقبلي في رؤيته، خطاب يعتبر الغضب لشخص الرسول الكريم ﷺ واجبا بالإجماع، وتخلقا بخلق الرسول ﷺ الذي كان يغضب عندما تنتهك محارم الله، لكن تنزيل الغضب في سياق دولي وحضاري يمتاز بخصائص متناقضة، ويستوعب اتجاهات ومواقف

متباينة على المستوى الداخلي والخارجي معا، وبالنظر إلى إرث تاريخي من التجارب والإحباطات والتراجعات فإن تنزيل الغضب في سياق هذه طبيعته وخصائصه، هو الأمر الذي يستوجب قراءة نقدية تتجاوز حدود التفسير العفوي للغضب الإسلامي، وتستحضر أبعادا واعتبارات قد لايكون بمقدور عموم المسلمين استيعابها في لحظة الغضب والانفعال، ولكن من واجب العلماء والمفكرين والدعاة والخطباء أن يتصدروا ميادين الوعظ والإرشاد والتوعية والتوجيه بيانا لحقيقة الوضع، وتوجيها لمختلف المواقف والممارسات.

لقد أظهرت مواقف الغضب الإسلامي في مختلف مناطق العالم، باستثناء بعض الحالات التي لا يقاس عليها، أن الشارع الإسلامي مازال محكوما بخطاب الانفعال، وأن الجماهير هي القائدة له والمتحكمة في إيقاعه، وأن العلماء تبع لهم، منساقون خلف التأثير الوجداني الذي يشعر به كل غيور على دينه، محب لنبيه، بينما الأصل أن يكون الشارع محكوما بتوجيهات العلماء، وأن تكون القيادة الفكرية لمفكري الأمة وعلمائها، إليهم يرجع في مدلهمات الخطوب والأزمات، وهم المؤطرون لإيقاع التفاعل مع القضايا الإسلامية عند الشعوب.

وهذا يقتضي إعادة تربية وصياغة جديدة لبرامج التلقي والتكوين لدى المسلمين. إن ما حدث في أغلب بلدان المسلمين يؤكد أن الغضب أوشك أن يسقط في مثالية، سواء في درجة تقديره للأمور، أو في مطالبه، أو في إجراءاته وردود أفعاله، بينما المسلم مطالب بأن يقدر الأمور ويرجح بين الاحتمالات والأوضاع، وينظر إلى مستقبل الموقف المتخذ ومآله.

وإذا كان العلماء قد نصوا على أن فعل تغيير المنكر، الواجب بنص الكتاب والسنة، يحتاج، في حالته الفردية، إلى فقه دقيق لمعرفة حدود الإقدام والإحجام، واحتمالية التوفيق والإخفاق، وهو ما تكشف عنه فتوى العلامة الشيخ عمر بن عبدالرحيم الحسيني الشافعي جوابا عن سؤال حول الموقف تجاه بعض المنكرات في الدار من مثل مكحلة فضة أو ذهب، أو طبل محرمة، أو تكاسل عن أداء فريضة، يقول نص الفتوى: «نص أئمتنا - رحمهم تعالى - على أنه يشترط للوجوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمن على النفس والمال والعرض، وأن لايزيد المنكر عليه عنادا، أو ينتقل إلى ما هو أفحش منه، ولم يفرقوا في ذلك بين البعيد والقريب من زوجة وغيرها. وأما هجران أرباب المخالفات ومفارقتهم، فمطلوب، بلا شك، لكن إذا غلب على ظنه ترتب شيء من المفاسد على ذلك، فيمكن الترخيص في ذلك بقدر الضرورة والله سبحانه وتعالى أعلم»(١).

وهو ما يذهب إليه الأئمة الأعلام مثل ابن تيمية وابن القيم، وقد حرصت على إيراد هذه الفتوى من عالم متأخر عاش في سياق حضاري بدوي، وانتمى إلى فضاء ثقافي «سلفي» يتهم، عادة، بالتشدد ورفض الاعتدال.

إذا كان هذا حال العلماء مع النوازل الفردية، فإن المسلمين اليوم محتاجون إلى الشروع في تأسيس هذا الفقه الترشيدي وتعميقه وتعميمه على مختلف فئات المجتمع الإسلامي بين يدي تناول النوازل الدولية، لأنه المنطلق الوحيد لإيجاد صيغ ممكنة لتغيير «المنكرات الدولية» في حق الإسلام ورسوله.

إن هذا الفقه يفرض على المسلمين، علماء وجماهير، أن يفقهوا:

- الواقع العالمي بقوانينه ودساتيره ومواثيقه الدولية.
- الواقع الديبلوماسي بآلياته وفعاليته.
- واقع الفقه الإسلامي في العلاقات الدولية.
- واقع القواعد الشرعية والحضارية المنظمة لعلاقة المسلمين بالآخر.

والفقه الأول يفضي إلى معرفة الآليات المتحكمة في صناعة القرار التشريعي والسياسي ببلاد الغرب، وغياب هذا الفقه هو الذي جعل المسلمين يطالبون رئيس الوزراء الدانماركي بالاعتذار، وهو الذي دفع بالعديد من العلماء والدعاة والخطباء الى المناداة بوجوب سن قوانين وتشريعات تجرم الاستهزاء بالرموز الدينية، مع أن المشكلة، في بعدها الأول، أكبر من رئيس الوزراء: إنها مشكلة المظلة الحضارية للغرب، مظلة الحرية التي يشكل المساس بها من قبل أي شخص مساس بأقدس الأقداس (دون أن ننكر أزدواجية المعايير الغربية في هذا الاتجاه)، وقد يكون المساس بها، من قبل أي شخص، ولو كان رئيس الوزراء نفسه، إيذانا بسقوط حكومته، وهو ما لايمكن

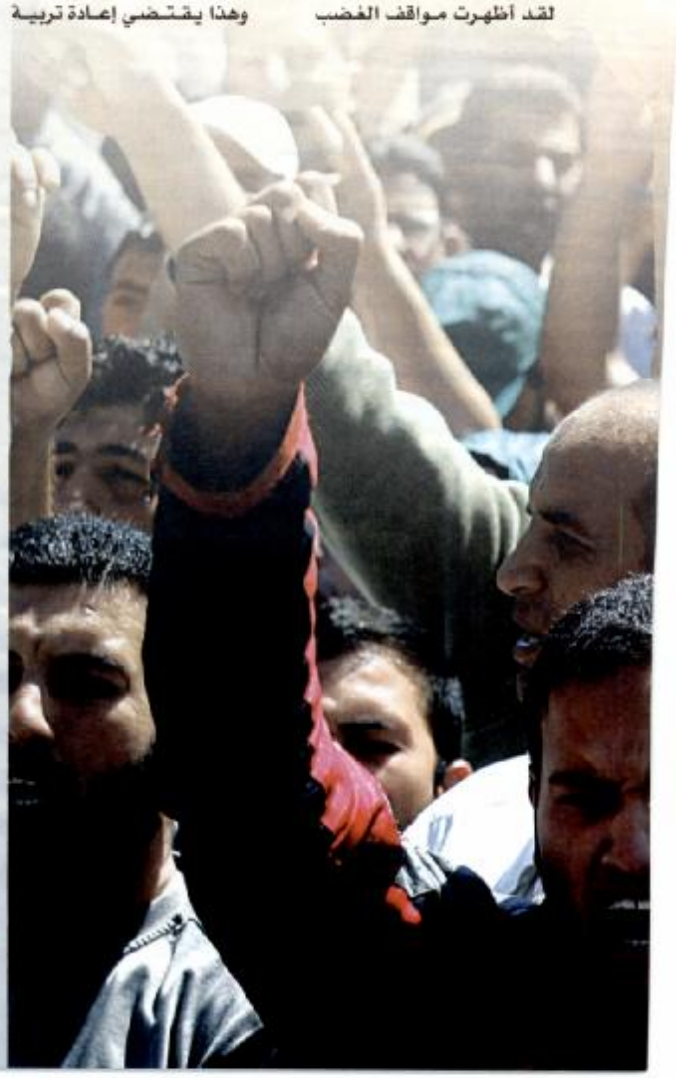

المسلمون اليوم محتاجون إلى الشروع في تأسيس الفقه الترشيدي وتعميقه

الإقدام عليه من قبل مسيحي علماني غير مؤمن برسالة محمد عليه السلام، حرصا على مصالحه ومصالح حزبه وحكومته.

أما المطالبة بسن قوانين وتشريعات، فالذي لايعلمه كثير من المسلمين أن قوانين البلاد الغربية تتضمن بنودا تجرم، بشكل أو بآخر، الاستهزاء بالرموز الدينية، ما بين سجن وغرامة، لكن المشكل هو في كيفية تعرف المسلمين عليها، ورفع دعاوي قضائية بموجبها في جو هادئ ذي نفس حكيم، يدرك أن تغيير المنكر ليس مجالا سياسيا وإعلاميا، وإنما هو دعوة ومنهج واحتساب للأجر من الله، كما أنه ليس خضوعا لمنطق الساسة داخليا وخارجيا، أو استجابة لضغوط الشارع الإسلامي.

وأما الفقه الثاني، فهو إشراك للدولة في تحمل مسؤوليتها الدينية والحضارية، وإذا كانت الديبلوماسية الغربية تستنفر وتتحرك بقوة ويقظة حين يكون أحد رعاياها أو رموزها في وضع حرج، فالأجدر بالديبلوماسية العربية والإسلامية أن تخرج من ضعفها وجمودها لتمارس دورها إلى جانب العلماء والدعاة والخطباء، فقد تكون أزمة جهل الغربيين بحقيقة شخص الرسول الكريم ﷺ راجعة، في بعض أسبابها، إلى تقصير المسلمين في أداء دورهم والقيام برسالتهم. ومن المؤسف أن يقال هذا الكلام في سياق انتشار أحكام بين عموم المسلمين مفادها أن الديبلوماسية العربية والإسلامية ضعيفة، وبعضها لا يتصور أن الحرص على عدم استفزاز الشعور الإسلامي داخل ضمن مهماتها وواجباتها.

وأما الفقة الثالث والرابع، فلعل الأمر يحتاج الى وقفة نقدية طويلة،

على علماء الأمة ودعاتها وخطبائها العمل وفق رؤية يحكمها العقل والتخطيط وبعد النظر

إذ لم يستطع العلماء اليوم أن يعيدوا قراءة التراث الفقهي والحضاري في ميدان العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وأن يجعلوا تلك القراءة زادا فكريا وثقافيا للمسلم المعاصر، وكان من آثار غياب هذا الفقه، بمرتكزاته الأصولية وقواعده الشرعية، أن صار المسلم ينظر إلى الغرب نظرة نمطية واحدة، ويحكم عليه حكما جامدا، بينما الأصل أن الغرب متعدد في تكوينه الثقافي والاجتماعي والديني والحضاري، وليس كل الغربيين، بشهادة الواقع، كارهين لرسولهم، بل من الغربيين، مفكرين وباحثين ومواطنين، من يتفاعل مع قضايا المسلمين، ويحرص على أن تنشأ العلاقات الحضارية معهم على قواعد الإنصاف والقبول والحوار، والخوف، كل الخوف، أن تكون نازلة «الغضب الإسلامي» قد أضعفت من حجم هذه الفئة، أو خلقت لديها نوعا من الارتباك والإحجام، وقد لا يكون بمقدور المسلمين، مستقبلا، استثمار مواقف هذه الفئة في نشر عدالة قضاياهم وموضوعية رسالتهم.

ومهما يكن الأمر، فإن واجب المسلمين اليوم يحتم عليهم أن يستثمروا مظاهر التوحد الوجداني في صياغة برامج دعوية تهدف إلى تنوير الرأي العام الغربي بحقيقة الإسلام ورسوله الكريم عبر مختلف الوسائل والتقنيات التي أضحت متداولة.

وعلى العلماء أن يتجاوزوا التفكير من وحي واقع الضغوط والأزمات، وأن ينتقلوا الى مرحلة جديدة من التفكير والنظر، مرحلة قائمة على اعتماد القاعدة الحضارية الآتية: «لا موقف ولا حركة بدون دراسة علمية للواقع الذي يتنزل فيه الموقف، وتمثل دقيق لاحتمالات النجاح والإخفاق، وإدراك جيد للآثار المترتبة حالا واستقبالا».

وقد تظل هذه القاعدة مجرد حلم إن لم يتناد علماء الأمة ودعاتها وخطباؤها الى العمل وفق رؤية يحكمها العقل والتخطيط وبعد النظر، وإلا فستظل الأمة، في حال غضبها وإنفعالها، أكبر دليل على صدق اتهام بعض الدوائر الغربية لها، ومن تبعهم من دعاة الحداثة المتطرفة، بأنها أمة العاطفة والانفعال والتأثر الوجداني.

ومع كل الذي حدث، فقد كان للغضب الإسلامي، رغم إنزياحاته العاطفية والسلوكية، بعض الآثار القوية على مستويات عدة، أهمها أنه أعاد فتح ملف الحرية بالغرب، وحدود حرية التعبير، والعلاقة بينها وبين احترام القيم الغربية. وعلى المسلمين أن يسهموا في السجال الثقافي الدائر حول الموضوع، إذ من المؤكد أن لهم رصيدا معرفيا وتاريخيا في هذه الإشكالات، كما فتح «الغضب الإسلامي» ملف الصورة التي يرسمها المسلمون عن الغرب، فقد سيطرت الصورة النمطية التقليدية التي تراه كيانا واحدا في المواقف والرؤى والأحكام، بينما الرؤية القرآنية تقوم على ميزان «ألا تزر وازرة وزر أخرى»، كما أن الغرب، في الواقع، تنوع واختلاف. ويمقدور الخطاب الإسلامي، لو امتلك أسباب القوة العلمية والمنهجية، أن يستفيد من حال التنوع والاختلاف، وأن يستثمرها لصالح إيجاد قنوات لمنتدى حواري داخل البيئة الغربية حول مفهوم الإسلام وحقيقة الرسول عليه الصلاة السلام وأهداف المسلمين. وإن كانت هذه غاية صعبة المنال، لأن المسلمين الوافدين إلى الغرب أصناف ونماذج، منها المسيئ للإسلام وحضارته وقيمه، ومنها المغرق في تشدده وتطرفه ونزوعه الإقصائي للحضارة الغربية، ومنها صاحب الرؤية الوسطية، الذي يسعى إلى التفاعل الإيجابي، ويتخذ من نفسه سفيرا للإسلام وحضارته بديار الغرب.

وأما حال المسلمين الغاضبين في العالم الإسلامي، فإنهم لايخرجون عن الأصناف السابقة، وأعجب ما يلاحظه المتأمل في ظاهرة «الغضب الإسلامي» الأخير أن شبابا غافلين عن الالتزام بقيم الإسلام وشعائره، انتفضوا ضد من يسيئ إلى رسول الإسلام، وتحمسوا للدفاع عنه تعبيرا عن حبهم له، مع أن جوهر الانتفاضة والحماس يتمثل في أن يكون كل فرد من المسلمين صورة عن سنة الرسول ﷺ وقيمه ومبادئه، ورحم الله الشيخ أبا عبدالله الساحلي المالقي (ت ٧٥٤هـ) القائل في كتابه «بغية السالك في أشرف المسالك»، متحدثا عن ثمرات حب المسلم للرسول عليه الصلاة والسلام: «واعلم أن نتيجة هذه الثمرة اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة، تنفي عنها إحدى عشرة صفة ذميمة»، ثم شرع في ذكرها، ولايسمح المقام إلا بإيراد بعضها:

- إيثار محبة النبي ﷺ عزما وإخلاصا، وذلك ينفي عن النفس العدول عن العمل في اتباعه.

- محبة الأمة لمحبته ﷺ إياهم، فيستر عيوبهم، ويظهر فضائلهم، ويرعى أخوتهم في الغيب والشهادة، وذلك ينفي عن النفس الحقد والنميمة والحسد والغيبة والبغي وسائر الإذايات الحسية والمعنوية.

- الشفقة، التي من آثارها توقير الكبير ورحمة الصغير، وذلك ينفي عن النفس القسوة التي يكون عنها تضييع حقوق الإسلام والمسلمين(٢).

وللعاقل أن يقارن بين هذه الثمرات الطيبة الناتجة عن شجرة حب المسلم لرسول الله ﷺ، وبين واقع الأمة المعاصر، حيث لا اتباع لسنة الرسول إلا قليلا ولاحرمة لأمة محمد بين أفراد أمة محمد، ولا رعاية لحقوق الأفراد والمؤسسات، مما جرأ على الأمة من يهينها خارجيا، ولا تحمل للمسؤوليات، ولا تواضع ولا شفقة.

إن الدروس المستفادة من نازلة «الغضب الإسلامي» الأخير كثيرة ومتنوعة، ويخشى الغيورون أن يكون الإخفاق قدر الأمة في هذه المحنة الجديدة.

الهوامش:

١- من كتاب: «فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم»، جمع وترتيب: عبدالعزيز العصفور، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠١، ج:١، ص:٢٢٣ .

٢- أبو عبدالله الساحلي المالقي: «بغية السالك في أشرف المسالك»، تحقيق: د. عبدالرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط: ١، ٢٠٠٣، ج:١، ص: ٢٤٤- ٢٤٦ .

حتى لا يكون الحوار الحضاري يداً معلقة في الهواء

د. محسن خضر- مصر

هذا زمن الحوار بامتياز حوار بين الشرق والغرب، وحوار بين الإسلام والمسيحية، وحوار بين الأنا والآخر، وحوار بين أوروبا وبلدان المتوسط، وحوار بين أميركا والعرب، وحوار بين الأشقاء، وحوار بين الأعداء.

هل يؤمن الحوار الحضاري شروطه أم أنه تحول إلى حوار طرشان؟ وبمعنى آخر كيف ننتقل من الحوار إلى وعي الحوار؟

بعد قصف الأفكار الذي احدثته نظريات فوكوياما وهينتجتون وفؤاد عجمي وبرنارد لويس، وردود الأفعال الغاضبة حوله تبنت الجمعية العامة قراراً بأن تكون سنة ٢٠٠١ سنة للحوار بين الحضارات، وكلف كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة مجموعة من عشرين شخصية عالمية بارزة لدراسة أوجه الحوار بين الحضارات، صبتها في تقرير بعنوان «عبور الانقسام» أو Crossing the Divide شارك فيه من المفكرين العرب د.احمد كمال أبو المجد «مصر» ود.حنان عشراوي «فلسطين».

كان هدف التقرير- وبالتالي الحوار - تخطي الفوارق السياسية والدينية والإثنية والثقافية بين الشعوب، بالتركيز على عناصر التشابه بينها، يعترف التقرير بتقصير الأجيال الحالية عندما حملت الأجيال القادمة موروث الخوف من الاختلاف الحضاري، ولذا فعلى الأجيال الحالية التكفير عن هذه الخطيئة بالعبور إلى الناحية الأخرى من الحاجز.

ووجهة النظر الرئيسية في هذا التقرير أن نقطة الانطلاق الحقيقية لأي حوار فعلي وبناء بين الحضارات تتمثل في مبدأ الاحترام المتبادل، والتسامح والوعي بالتعداد الهائل للحضارات في عالمنا، وخطورة انفراد إحداها بإدارة العالم، وأكد التقرير بالإضافة إلى إعلائه من شأن التنوع الثقافي على أن مبدأ التسامح بين البشر هو أساس قيام عملية الحوار وبناء الثقة بين البشر.

هل نقول إنه منذ برج بابل مثل الحوار بين الثقافات المختلفة حلماً بشرياً مجهضاً، وأن الدور الذي قامت به مدرسة الاسكندرية الفلسفية ظل استثناء لم يتكرر!

الدعوة إلى الحوار الثقافي لابد أن تستند إلى أساس أخلاقي: الرغبة في الاعتراف بوجود الآخر وحقه في البقاء.

كما أنه ليس هناك حوار معلق في الهواء، يبقى الحوار عاكساً لموازين القوة الحضارية، وهي غير متكافئة أصلاً، ولذا يفرض الطرف الأخر شروط وتوقيت، ولغة، وبنود الحوار، خذ مثلاً الاضطراب الهائل حول معنى «الإرهاب» والالتباس الناشب بينه وبين مفهوم «المقاومة»، ولذا فإن الجانب المهيمن في الحوار قد يفرض شروطه مقدما طالباً من الأخرين الإذعان لتعريفه ومصطلحاته.

إن هذا التحديد يفرض اختيار الطرف الأخر من الحوار فيستبعد من يستبعد ويختار من يختار.

يرى البعض أن الصراع القائم هو بين العالمية اللاإنسانية والقومية الإنسانية «عبدالله عبد الدايم مثلا»، بينما يذهب فريق آخر إلى أن مستقبل حوار الحضارات سيتوقف على الصراع القائم بين تحالف المثقفين العرب والمسلمين ونظرائهم النقديين في أوروبا وباقي دول العالم لإقامة حلف ثقافي ضد الإمبراطورية الأمريكية الجديدة «السيد ياسين»، بينما يرى البعض الثالث أن الصراع بين مفهوم «صراع الحضارات» الذي يتبناه الغرب ونموذج «حوار الثقافات» الذي يتبناه الشرق القديم كان موجوداً لدينا حتى ظهور الحضارة

يرى الإسلام أن الاختلاف بين البشر، وتدافعهم هو أحد موجبات عدم فساد العالم

العربية الإسلامية، وعرفته اليابان، والصين القديم، وفارس، وحضارات ما بين النهرين وكنعان ومصر القديمة، وهو النموذج الذي أزدهر وتألق في ذرى الحضارة العربية الإسلامية «حسن حنفي» التأكيد على أن حوار الحضارات، وحوار الثقافات الآن لا يعني بالضرورة لا غالب ولا مغلوب.

ويذهب فريق رابع إلى أن الصراع اليوم ليس بين معسكرات سياسية ولا بين مناطق جغرافية، وليس بين آلهة الخير وشياطين الشر، وليس حتى صراع بين داخل وخارج، وإنما بين ثقافتين تتجسدان في الموطن الواحد، بل وعند الفرد الواحد هما ثقافة الحداثة وثقافة التقليد، ذلك أن مواجهة الآخر غدت اليوم أيضا مواجهة مع الذات «عبدالسلام بنعبد العالي».

سبق للإسلام أن قرر الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية حيث خلق الله الناس مختلفين عرقيا لغويا وإن كانوا في الأساس «أمة واحدة» هي أمة الإنسانية الرحبة، وإن هذا التباين لا يلغى أصرة الوحدة الإنسانية، ولذا يشكل احترام ثقافة الآخر، قاعدة أخلاقية إسلامية.

بل يرى الإسلام أن الاختلاف بين البشر، وتدافعهم هو أحد موجبات عدم فساد العالم ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ «البقرة -٢٥١».

صحيح، أن الحوار لا يقوم إلا مع الآخر المختلف، لكننا نستدعي غياب حوار داخلي «حوار عربي - عربي» أو حوار إسلامي إسلامي، أو حوار بين الحاكم والمحكوم»، لكننا سنتخطى هذا البعد موقتا ونركز على الحوار مع الآخر.

يسعى الشرق في حواره إلى تصحيح الصورة المغلوطة التي كونها الغرب عنه، أما الغرب - الأوروبي بالأخص، فسعي إلى تصحيح الصورة السلبية المتكونة عنه في الذهن الإسلامي، وإيجاد حلول لمشاكله مع العالم الإسلامي بقصد إحلال السلام بينهما.

ننبه إلى أن حركة الاحتجاج ضد العولمة، وضد غزو العراق، وضد العدوان الصهيوني على الفلسطينيين، وأخرها المعركة ضد الجدار العازل تمثل بالفعل صورة من صور الحوار الثقافي بين مختلف الأقطار والقوى السياسية، وخصوصا أنها تتم في الشوارع والميادين، كما تم في التظاهرات المعادية لغزو العراق وشلمت ٦٠٠٠ مدينة في ٧٠ دولة، ومن هنا فأهمية ألا يدور الحوار الثقافي بين الحكومات والدول، على المستوى الرسمي فحسب، بل هناك دور للحوار الشعبي، والحوار بين الجمعيات والنقابات والاتحادات والمؤسسات الدينية، ومن الشروط السابقة لنجاح الحوار الحضاري احترام حق تقرير المصير، وعدم الاعتقاد بتفوق ثقافة على ثقافة لأن أحكام القيم لا تصدق على الثقافات، وهناك شرط الكف عن تزييف ثقافات الأطراف الأخرى وتاريخها، أو تحريفها، وهناك الهدف الكبير لهذا الحوار وهو وضع برنامج عمل مشترك، تسترد الإنسانية وجهها البريء، وتتحقق فيه كرامة المستبعدين والمهمشين والمطرودين من جنة السيد الأبيض، والمهم أن يقوم على قاعدة التساوي بين الأطراف.

وحتى لا يتحول الحوار بين الطرفين الى حوار بين الصم أو تبقى يدنا ممدودة في الهواء، ومعلقة في فراغ فظيع، الحوار الثقافي أكثر من كونه عملية تجميل للماضي العنيف أو الظالم أو العدواني، إنه في الأساس ممارسة تجاه المستقبل وبقدر ما يتخلى الطرف الأقوى عن غروره، وبقدر ما يتخلى الطرف الأضعف عن شعوره بالدونية بقدر مائؤمن للحوار نجاحه من موقع «شركاء وأنداد لا أعداء... ولسان الحال يقول: الوطنية والإنسانية واحد في نظري، فأنا وطني لأني إنسان».

الدعوة المشتركة لرئيس الوزراء البريطاني طوني بلير ورئيس الوزراء الاسباني ثبايترو حول إطلاق حوار الحضارات من أجل مكافحة الارهاب لا ينبغي أن يمر من دون تعليق.

بح صوت مثقفي العالم الثالث من أجل إحلال حوار الحضارات محل صدامها، ذلك الحوار الذي ينطلق من موقف الاحترام الكامل لتنوع الثقافات، وحق الحضارات المختلفة في التعايش والتفاعل، والتكافؤ بين ثقافات المجتمعات البشرية.

تجئ دعوة بلير وثبايترو لتوظيف هذا المسعى الإنساني من أجل تهديد ظرفي أصاب البعض، لكنه ينطوي على مسلمة لصق الإرهاب بالإسلام، وهو ما جسدته التهديدات أو العمليات الإرهابية ضد البلدين والتي نفذها أفراد مسلمون، بما يعني أن هذه الدعوة في الحقيقة تفترض أن الثقافة الإسلامية وحدها هي التي تهدد الثقافة والمجتمعات الغربية.

سبق أن أوضحنا، وأوضح مثلنا العديد من الكتاب

والمفكرين المسلمين موقف الإسلام من الصراع أو التصادم بين الحضارات، حيث يحكم العلاقات بينها مبدأ (توازن المصالح) وليس (توازن القوى) بين الحضارات والأمم والشعوب، وهو عدل متوازن، كما أن الرؤية الإسلامية تستخدم مصطلح (التدافع) لا (الصراع) لوصف طبيعة العلاقات بين الحضارات المتباينة وإن كنا لا نسهب في هذه العجالة الحقل الدلالي لمفهوم (التدافع).

في حديث أخير لأحد منظري النيوليبرالية الفيكتورية التي توجه أداء الادارة الأمريكية المعبرة عن أجندة المصالح الرأسمالية والاحتكارات الضخمة حدد فرنسيس فوكوياما، القطب الفكري الأمريكي البارز، صياغته للصراع بين الحضارات بقوله بالحرف: إن «الجهاد» Giladism هو التحدي الأساسي لليبرالية، لأنه نوع مغاير من الأيديولوجيا، وربما الأشرس، لكن أظن في النهاية أنه لم يكتب له النجاح، سياسياً على الأقل.

اختزل فوكوياما مقولة هينتجتون الشهيرة حول «صراع الحضارات» بين الإسلام والغرب، إلى دائرة تشريحية وظيفية داخل الثقافة الاسلامية وهي الحركة الجهادية، ولعنا نلاحظ استخدامه للمقطع Ism في مصطلح الجهاد، في إشارة إلى كونها مذهباً فلسفياً وسياسياً، وهو أنه كان يشير إلى الأيديولوجية الصدامية التي يستخدمها الراديكاليون الإسلاميون مثلما تمثله تنظيمات القاعدة، وجماعة الزرقاوي إلا أنه يعبر عن جهل بطبيعة مفهوم الجهاد في الفقه الإسلامي، وهو جهل معرفي يتناقض مع موقف استاذة الانثربولوجيا الإسلامية كارين أرمسترونج، المفكرة الأميركية التي تعبر في كتاباتها وأحاديثها عن فهم دقيق لوظيفة الجهاد في الحقل الإسلامي، أوسع من مستوى العمليات الاستشهادية ومستوعبة أنه نهج حياة، وأسلوب لحياة المسلم يتجاوز مستوى القوة إلى مستوى أوسع من المجاهدة الحياتية المستمرة.

يفسر المفكر المصري المعروف، د. حسن حنفي مفهوم صراع الحضارات بأن الصراع بين الأيديولوجيات والكتل السياسية والاقتصادية المختلفة (اشتراكية ورأسمالية، شمال وجنوب، شرق وغرب، مركز ومحيط)، قد انتهى لصالح طرف واحد هو الطرف الأقوى الغربي (مركز ومحيط المركز/ الشمال)، وعلى الطرف الثاني أن يعترف، بالهزيمة، لأن المتفوق اقتصادياً وسياسياً بالضرورة متفوق حضارياً، ملمحا أن يكون المقصود إشغال شعوب الأطراف (مثلنا) بالدفاع عن هويتها المهدد، حتى تشيح بوجهها عن الصراع الحقيقي وهو الصراع الاقتصادي في عصر العولمة، وكأن العالم قد انقسم قسمين: المركز للاقتصاد، وللأطراف الحضارة.

ثمة تفرقة بين موقفي فوكوياما وهينتجون، لأن الأول يؤمن بأن الرغبة في العيش في مجتمع حديث هي رغبة كونية، في حين أن الثاني لا يؤمن بوجود نوع من القيم الثقافية الكونية المشتركة، وأنه يقول بوجود حضارات متعددة ذات خصائص كاملة هي غالبا متناقضة ومتصارعة.

ما رؤية المفكر العربي/ الإسلامي لشروط الحوار بين الحضارات، وليست كما طرحها السيدان بلير وثباتيرو بعد تفجيرات مدريد ولندن الشهيرة؟

الشرط الأهم هو التكافؤ، لكن هل يجري حوار متكافئ بين الحضارات؟ الإجابة بالطبع لا، لأن اختلاف القوى العلمية والتقنية في صالح الغرب، والتي تستبطن قيم الحضارات الغربية المتمثلة في العقلانية والفردية والحداثة والمادية، والوضعية لا الميتافيزيقية، على العكس في بقية العالم، وإن كان هناك «الأستاذ السيد يس» من يعتقد أننا على أعتاب بزوغ نظرية جديدة هي التعايش بين الثقافات باعتبارنا نعيش حضارة واحدة في الواقع، وكون قيم حقوق الإنسان في عالمنا الراهن تعبر عن حضارة عالمية واحدة.

لكي يبقى هذا الرأي مقيداً بظاهرة المركزية الإثنية الغربية، وظاهرة عسكرة العولمة، وتفجير العالم وقنبلته، وتنامي الفجوة بين الغرب والآخرين، وأنانية الغرب الذي تحكمه فلسفة قارب النجاة مما يهدد بإقامة حوار متكافئ، ونبيل، وعادل بين الأطراف المختلفة، ولعل مشروع الامبراطورية الأميركية، وما يدور في العراق، لا يبشر بمثل هذا الحوار الذي يبدو بين خصمين يرتدي كل منهما قناعا للتضليل، وهو ما يجعل من دعوة بلير وثباتيرو حول تحالف الحضارات ضد الإرهاب تحت سقف الطموح بكثير.

الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع

مساهمة في التجديد الدعوي

إعداد: د. امحمد جبرون - المغرب

إن الحركة الإسلامية في عمومها تشبعت بقيم الحداثة التقنية والتنظيمية، حتى فاقت في ذلك بعض القوى «الحداثية» وقد مكنها ذلك من الحضور اللافت في الساحة السياسية والثقافية والاجتماعية... في الفترة المعاصر، ومن أبرز مجالات العمل الإسلامي التي استفادت من القيم العصرية (التقنية والتنظيمية) في سعيها نحو التحقق ميدانيا، المجال السياسي والثقافي والاجتماعي، في حين بقيت بعض المجالات أسيرة التقليد والمقلدين، وإن تعصرن الشكل أحيانا، ونعني بالدرجة الأولى المجال الدعوي، ولعل من النتائج المباشرة لهذا الوضع، التباين الموضوعي لإيقاعات عمل مكونات المشروع الإسلامي، ففي الوقت الذي تقدم العمل السياسي والاجتماعي خطوات كبيرة نحو الأمام، فإن العمل الدعوي لازال يرواح مكانه، وأثاره لاتناسب تاريخه وحجم الجهود المبذولة في نطاقه، وهذا أمر من شأن التهاون فيه والغفلة عنه، إفقاد العمل الإسلامي انسجامه الاستراتيجي وهويته الإصلاحية.

فالحركة الإسلامية المعاصرة وإن كانت تحبذ الظهور بمظهر دعوي، فإن فقر الحصيلة الدعوية، مقارنة بالحصيلة السياسية والاجتماعية لا ينسجم مع هذه الرغبة، وحديث البعض عن «التضخم السياسي»[1] ينطلق بالأساس من هذه المفارقة ويشيد عليها، الأمر الذي يدعوها وبإلحاح إلى مراجعة طريقة تدبير الملف الدعوي، وتصحيح العلاقة به، ونعتقد أن المرجعية التي يجب على أساسها إعادة النظر في الفعل الدعوي لا يجوز أن تنفصل عن روح العصر وشعاره، ذلك أن الأزمة الدعوية للحركة الإسلامية تكمن بعض أصولها في التقديم اللاتاريخي للمنتوج الدعوي، فقد اقتصر الدعاة على اختلاف مدارسهم على أساليب البلاغ التقليدية، من وعظ وإرشاد في المساجد، ومنشورات دعوية إعلامية، واتصالات فردية، ومجالس تربوية... وهذه الوسائل مهما اختلفت من حيث الشكل والأدوات المستعملة، فإن القاسم المشترك بينها هو ارتفاع نسبة الفشل الدعوي في إطارها، إذ لم تعد تحقق القصد الدعوي منها، فلتجاوز هذه الحالة لابد من إحداث ثورة حقيقية في الفكر الدعوي الإسلامي، ويمكن اختصار شعارات هذه الثورة في العبارة التالية: «الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع».

الإطار العام للعمل بالمشروع

إن الفعل الدعوي المعاصر فعل مركب ومعقد، سواء من جهة الفاعلين أو من جهة أغراض الفعل ومقاصده، على عكس ما كان عليه في الماضي، حيث كان الخطاب أقوى مظاهر الفعل الدعوي، فإذاً، وقبل تحديد المجال المناسب للعمل بالمشروع لابد من تحليل هذا الفعل، وبيان أنماطه وعناصره، ذلك أن مثل هذه الخطوة ستمكننا من تحديد النمط الذي يصل معه خيار المشروع.

فالعمل الدعوي هو سلوك أو موقف أو قول، أو بنية عمليات متعددة ومختلفة... يقصد من ورائها الإصلاح، وإشاعة قيم التدين والاستقامة الأخلاقية في واقع المسلمين، سواء بالدلالة على الخير والمعروف، أو بالنهي والتحذير من المنكر، وعواقبهما في الدنيا والآخرة، يصدر عن شخص أو أشخاص أو مؤسسة مدنية أو سياسية... فإذا كان ما يبادر به الشخص أو الأشخاص من أعمال دعوية بسيط في أوله وآخره شكلاً ومضمونا، ناهيك عن انتمائه إلى ثقافة دعوية تقليدية متمركزة حول الذات، فإن ما تبادر به المؤسسة في مجال الدعوة فعل مركب ومعقد، أو لنقل بلغة العصر فعل مؤسساتي تسهر على إخراجه منظومة متداخلة العناصر ومتكاملة الوظائف، وأهم عناصرها: العنصر البشري، التنظيم والهيكلة، المشروع الدعوي والإمكانات التقنية والمادية، والفعل الدعوي بهذه الصورة ينسجم تماما مع طوارئ العصر ومستجداته الحضارية في «خيار العمل بالمشروع» في المجال الدعوي هو خيار المؤسسة، ولا يمكن أن يكون خيار الفرد أو الأفراد غير أن الواقع الدعوي بمختلف تجلياته يظهر تمكن ثقافة «الدعوة الفردية» من المجال الدعوي، وتحديداً في الشق المؤسساتي منها (التنظيمات الحركية)، وتبعا لذلك يعاني الفعل الدعوي الإسلامي المعاصر الذي تسهر عليه المؤسسة من عوائق كثيرة، يمكن اختصارها في اثنتين: عدم استيعاب

مبدأ «العمل بالمشروع»، وعدم مراعاة اشتراطات هذا المبدأ وثقافته.

عدم استيعاب مبدأ «العمل بالمشروع»: ففي مرحلة التأسيس، اختزلت الحركة الإسلامية مشروعها في مطلب سياسي واحد، هو إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة، وكانت جل مبادراتها الدعوية والثقافية تندرج ضمن هذا المشروع، وتخالطها معاني السياسة وأهدافها. لكن ونتيجة حركة الوعي بالذات والمحيط، التي دشنها الفكر الحركي في العقود الأخيرة تحت عناوين مختلفة: النقد الذاتي، المراجعات...، وأيضا بسبب درجة الرشد العالية التي بلغتها الحركة الإسلامية، لم تعد مطالب من قبيل الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة سليمة وواقعية، وتجسد حقيقة «المشروع» في العمل الإسلامي المعاصر، فجاهرت عدد من فصائل الحركة الإسلامية بهذا الأمر، وأعلنت تخليها عن هذه المطالب، أو في حالات أخرى قامت بتعديلها وتدقيق النظر في دلالاتها، وحركة التوحيد والإصلاح المغربية من هذه الناحية، من أولى الحركات وأبرزها التي استفادت من «حركة الوعي بالذات والمحيط» هاته، وأعلنت انتمائها إلى إطار أوسع عرف بالاختيار الحضاري.

ومن الآثار المباشرة لهذا التحول والمراجعات المصاحبة له، دخول المشروع الإسلامي حالة من الغموض والفراغ غير مسبوقة، اختل إثرها الفعل الدعوي وتراجع مفعوله في الواقع، خاصة بعدما أصبح الشأن الدعوي نتيجة هذه المراجعات شأنا مدنيا في معظمه، يتسع لعدد من المبادرات والمشاريع وهو الذي كان قبل سنوات قليلة شأنا سياسيا بامتياز لايسعه إلا ثوب السياسة ومعطفها، وتبعا لذلك عاشت عدد من فصائل الحركة الإسلامية «أزمة مشروع» أضرت برصيدها الجماهيري وحصيلتها الدعوية: واقتصر الفكر الدعوي إزاء هذه الأزمة على التذكير بالمبادئ الدعوية المطلقة، مثل «مشروعنا إقامة الدين في النفس والمجتمع والدولة...» كلما ووجه بسؤال في هذ الباب، مع العلم أن مثل هذا التذكير قاصر عن ملأ الفراغ التصوري والعمل الكبير الذي يحدثه غياب المشروع الدعوي «الزمني» التاريخي.

- ثقافة العمل بالمشروع: هناك حالات كثيرة استوعب أصحابها مبدأ «العمل بالمشروع» من الفعل الدعوي، غير أن محاولاتهم لإدماج عناصر ثقافة المشروع في الأدبيات الدعوية، وتأهيل الكوادر في هذا المجال، لم تكن موفقة وبالقوة اللازمة.

فمشاريع الوقاية من الميوعة والانحلال الأخلاقي في صفوف الشباب، وحملة العناية بالقرآن...، التي اشتغلت وتشتغل عليها بعض الحركات الإسلامية، لن تؤتي أكلها الطيب، إذا لم تحترم ثقافة المشروع في أثناء التخطيط والتنزيل من ناحية، وإذا لم يكن الإطار البشري مهيأ فكريا ومهاريتا للتعامل مع مثل هذه المشاريع من ناحية ثانية، ومما يلاحظ في هذا السياق أن معظم مساهمة قوافل الدعاة في مجال المشاريع تتم بأسلوب الدعوة «الفردية»، التي تختلف كثيرا عن أسلوب الدعوة في إطار المشروع، فهذا الأخير، وعلى خلاف الأسلوب الأول، يتميز بالأداء الجماعي، والحرص الشديد على تحقيق أهداف المشروع وبلوغ نتائجه.

المبادرة الدعوية وثقافة العمل بالمشروع

إن مظاهر التجديد والإبداع في المجال الدعوي ضعيفة ومحدودة، رغم طول تجربة الحركة الإسلامية في هذا المجال، ولعل أكبر شاهد على ذلك هو الرؤى الدعوية لأكثر الحركات تمسكا بشعار التجديد والاجتهاد في عملها، حيث تخلو أوراقها تماماً من الإشارة إلى ثقافة المشروع ومفرداته النظرية، فالأدبيات الدعوية للحركة الإسلامية عموما، تقف عند وجوب الدعوة وحقيقة وجودها الواقعي، ومواصفات الخطاب الدعوي وأولوياته، من دون التطرق إلى مبادئ وشروط المعاصرة الدعوية «٢»، وقد أثبتت التجارب أن زادا من هذا القبيل عائده على الدعوة ضعيف جدا، فالتحول نحو ثقافة المشروع في العمل الدعوي يبدو حاجة أساسية ومستعجلة لإيقاف الهدر المادي والمعنوي وتجديد العمل الإسلامي، ونتصور أن العناصر التالية: دراسة الحاجة، المنتوج الدعوي، التسويق والدعاية الدعوية، تقويم الحصيلة الدعوية (الربح)، نقط العبور الرئيسية نحو هذه الثقافة.

أ- دراسة الحاجة: تعتبر دراسة الحاجة من المقدمات الضرورية التي ينبني عليها انتخاب المشاريع في الفكر الاقتصادي المعاصر، وفي غيابها يفقد المشروع حظوظه في النجاح، ويتسع حجم الصدفة والمفاجأة على مستوى النتائج المنتظر منه، فدرجة القابلية للاستهلاك والنفاذ، يتوقف قياسها على هذه الدراسة وفعالية الأدوات التي استعملتها، ومن ثم الموافقة على مشروع معين في غياب درجة معقولة من القابلية للاستهلاك لدى المستهدفين ضرب من العبث في الاقتصاد المعاصر، والعمل الدعوي من حيث الشكل يحاكي النموذج الاقتصادي في نقاط كثيرة، الأمر الذي يجعل الاستفادة من الثقافة الاقتصادية أمرا محبذا إن لم يكن ضرورياً.

إن الممارسة الدعوية المعاصرة تعتريها اختلالات كثيرة من هذه الناحية، فعدد من المناطق تعاني من آفات وانحرافات أخلاقية ظاهرة، غير أن ردود الفعل الدعوية وفي غالب الأحيان تبقى بعيدة عن هذه الانحرافات ولا تعالجها. فهناك من بين المناطق في المغرب مثلا من تكثر فيها الدعارة إلى درجة لم يعد من بين الناس من يجهر بالإنكار ويعمل على معالجتها ومحاربتها، كما أن هناك مناطق أخرى تشتهر بتعاطي الخمور والمخدرات، وأخرى تشتهر بتفشي الجريمة والغش...، ففي مثل هذه المناطق من التفاهة والعبث الدعوي أن يقفز الدعاة عن هذه الآفات/ الحقائق ويهتموا بغيرها. فمنطق الحاجة يقتضي تجنيد جميع الإمكانات البشرية والمادية والسياسية من أجل وضع حد لهذه الكبائر المدمرة، فالارتكاز على الحاجات الواقعية للمجتمع في صياغة أهداف ورهانات الفعل الدعوي أحد المداخل الرئيسية في هذا المجال، وأيضا مقدمة لتغيير أساليب التخطيط للفعل الدعوي وتقنياته من ناحية أخرى.

ب-المنتوج الدعوي: هو فكرة مجسدة في فعل (حركة) أو موقف أو شيء، ومرفقة بدليل للتنفيذ والاستعمال، في صيغة برنامج محدد وكيفية معنية، وتهدف في نهاية المطاف لتلبية حاجة من الحاجات الأخلاقية للمجتمع، وباعتبارها كذلك لابد فيها من قدر وافر من الإبداع. ولابد لهذه الفكرة من الناحية الفنية أن تحترم مجموعة من الضوابط والمفاهيم، التي اتفق عليه أهل الميدان، فكلما فكرت هيئة من الهيئات الدعوية في تلبية حاجة دعوية (محاربة آفة تربوية وأخلاقية) كان الطريق الأقرب والأقصر نحو هذا الهدف إصدار «مطوية» أو شريطاً في الموضوع وحركة التوحيد والإصلاح المغربية على سبيل المثال، عمدت وفي أكثر من مناسبة، إلى إصدار بعض المنتوجات الدعوية بالمواصفات السالفة مثل «مطوية الصلاة»، شريط صوتي حول آفة الخمر، طبع بعض الكتيبات...، غير أن هذه المنتوجات على أهميتها أصبحت تقليدية ونفعها ليس مطلقاً ومجردا من الأحوال.

فمن الأمور التي لابد من مراعاتها في المنتوج الدعوي التناسب بين المنتوج والمقصود الدعوي منه، إذ العلاقة بين الطرفين ليست دائما حتمية وضرورية، ولهذا لابد من تحليل العلاقة بينهما والتحقق فيما إذا كان المنتوج يؤدي إلى المقصود منه وبفعالية عالية. ف «المطوية» على سبيل المثال، قد تكون فعالة على مستوى التحسيس والإعلام، ولكن أثرها الدعوي من حيث إقناع المستفيدين بتبني سلوك معين أو الإقلاع عنه، يبدو واستنادا إلى التجربة ضعيف ومحدود، وكذلك من الأمور التي لابد من مراعاتها في هذا الباب أيضا التنوع والإبداع، فالدعوة كلما تعددت مداخلها، وخرجت عن المألوف وسائلها، كلما كان

آثرها قويا وملموساً.

ج- التسويق والدعاية الدعوية: من أهم عوامل نجاح المشاريع عموماً بما في ذلك المشاريع الدعوية، الدعاية وتقنيات التسويق والترويج، والملاحظ أن استفادة الدعوة من هذه التقنيات والأساليب لا زال ضعيفا ومحدوداً، ففي بعض الأحيان تستطيع الدعاية وحدها أن تغطي على عيوب ونواقص عناصر المشروع الأخرى، سواء فيما يتعلق بدراسة الحاجة، أو قيمة المنتوج، فالإشهار اليوم آلة حرب إيديولوجية فتاكة، ففي فرنسا وحدها يتعرض الفرد يومياً إلى أكثر من ٢٥٠٠ عملية قصف إشهاري أو إعلامي، في الشارع، في وسائل النقل، وفي وسائل الاتصال.

وفي المجال العربي قليل من أبناء الحركة الإسلامية وقادتها الذين انتبهوا إلى إحدى الوصلات الإشهارية حول الصلاة التي كانت تبثها إحدى القنوات العربية، وإن كنا لا نعلم على وجه الدقة مدى التأثير والتجاوب الذي كانت تلقاه هذه الوصلة، لكن ومهما يكن فإنها إحدى الأمثلة الحية عن الدعاية الدعوية، التي ولا شك تحمل قدرا من الإثارة لا يقارن بغيرها من الوسائل التقليدية، وإحساسا من الأزهر الشريف بأهمية الدعاية والتسويق في العمل الدعوي نظم ندوة حول إصلاح الدعوة والوعظ من خلال تدريس «التسويق».

فالانفتاح على هذه المجالات الجديدة وتأهيل الكوادر الدعوية في تقنياتها وعلومها، سيعود على المشروع الدعوي بفوائد كثيرة وخبرة الحركة الإسلامية بتقنيات التسويق والدعاية لا زالت ضعيفة، الشيء الذي أعاق تنفيذ عدد من المشاريع أو في أحسن الأحوال لم يساعدها على بلوغ المقصود من هذه المشاريع بنسب معقولة، فتوظيف هذه التقنيات في العمل الدعوي أصبح ضروريا وجزء من أي حل ممكن للأزمة الدعوية في مجتمع الإعلام والاتصال.

د- تقويم الحصيلة الدعوية: إن هذا العنصر لا يقل أهمية عن العناصر السالفة إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ففي غياب التقويم يصبح المشروع الدعوي ومن ورائه المشروع الإسلامي نشاطا ترفيهيا وثانويا، فاقدا معانيه الاستراتيجية، ومكانته الأخلاقية، فلن يكون بوسع القائمين على المشاريع الدعوية التحقق فيما إذا كانوا قد حققوا أهدافهم أم لا، وبأية نسبة، في غياب تقويم علمي لنتائج المشروع وآثاره الواقعة، ففي حالات كثيرة يجتهد الدعاة في ضبط واتقان كل شيء من الدراسة والتخطيط للفعل الدعوي، وانتهاء بالإنجاز والترويج، ويغفلون عن التقويم.

نماذج وأمثلة

لقد انتبه عدد من المهتمين بالفعل الدعوي في العالم الإسلامي إلى هذه العيوب القاتلة التي تسكن الذهنية الدعوية، فبدؤوا يبتعدون في مبادراتهم الدعوية قدر المستطاع عن هذه الآفات وما يقرب منها من قول أو عمل، ومن هؤلاء الذين حازوا قصب السبق في هذا المجال، الداعية الأستاذ «عمرو خالد»، من خلال مشروعه الرائد «صناع الحياة»، فمبادرته في هذا المجال تعتبر ثورة حقيقية في الفكر الدعوي المعاصر، ففكرة هذا البرنامج/ المشروع في تقديرنا أخذت من سلسلة الحلقات الوعظية الناجحة التي استغرقت مدة من الزمان، وعبر مجموعة من المحطات الفضائية، التي على نجاحها لم تقنع طموح الأستاذ «عمرو خالد» الذي يتطلع لأكثر من ذلك، فدشن من خلال هذا البرنامج ثقافة جديدة في الفعل الدعوي ألا وهي ثقافة المشروع.

لقد تجاوب مع هذا المشروع عدد كبير من المهتمين والفاعلين وفي مختلف البلاد العربية وبلدان العالم، حتى تلك التي يشكل فيها المسلمون أقلية، ومما يلاحظ أن هؤلاء في معظمهم حديثي الصلة بالعمل الدعوي أو لا صلة لهم به إطلاقا، وعلى الرغم من ذلك فقد اقترحوا مشاريع دعوية كثيرة ومختلفة تمس في عمومها الحاجات الأساسية للمجتمع المسلم، ومن هذه المشاريع «ورشة المستقبل لإنتاج الرسوم المتحركة»، ومشروع «أصدقاء الطفل» الذي يهدف إلى إنتاج لعب الأطفال «٣»، ... إلخ.

والواقع أن هذا الذي ندعو إليه ليس فكرة مبتكرة لا نظير لها في الحياة المعاصرة، بل سبقنا إليها الغرب بمدة ليست بالقصيرة فثقافة المشروع في الغرب مستهلكة على نطاق واسع وفي مختلف الميادين، بما فيها تلك التي تدخل في المجال الأخلاقي، وقد وقفنا على مثال طريف في هذا الباب من الولايات المتحدة الأميركية، لقد ظهرت في هذا البلد، في المدة الأخيرة، حركة تطلق على نفسها اسم «الاختام الفضية»، مشروعها الأساسي والحيوي هو الدفاع عن العفة والدعوة إليها في صفوف الشباب، وتحريم الاتصال الجنسي قبل الزواج، وقد استطاعت هذه الحركة أن تستقطب إلى صفوفها نحو عشرين ألف شاب تتراوح أعمارهم ما بين خمسة عشر وعشرين سنة، يحملون رسالة الحركة ويبشرون بها في المحافل العامة ودور السينما «٤».

أثر العمل بالمشروع على بنية الحركة

إن البنية الحالية للحركة الإسلامية المعاصرة بجميع

مكوناتها، هي تصميم تقني وفني، روعي في وضعه واقراره أهداف «الحركة» وأسلوب عملها، وبالتالي أي تغيير يطال هذين الجانبين أو أحدهما، لا شك سيطال هذا التصميم أو بعض أقسامه.

فخيار العمل بالمشروع في العمل الدعوي باعتباره صيغة مستحدثة وجديدة، يقتضي مجموعة من التعديلات على صعيد البنية تنظيميا وتربويا وتكوينيا... وسنحاول فيما يلي الإشارة إلى أهم هذه التعديلات:

- تنظيميا: نظرا لكون الهيكلة التنظيمية الحالية المعتمدة لدى الحركات الإسلامية، غير مهيأة للتجاوب مع هذا الخيار في الفعل الدعوي، فإن مسألة إحداث تعديلات قانوية وتنظيمية على صعيد «الحركة» حتى تستجيب لهذا الخيار مسألة حيوية، وعلى رأس هذه التعديلات، إغناء اختصاصات الهيئات المسيرة للحركة الإسلامية، وجعل مهمة اقتراح المشاريع وإداراتها ومراقبة ومتابعة تنفيذها مهمة أساسية في هذه الهيئات، ومن المقتضيات الأساسية لهذا التعديل، إحداث قسم أو أقسام خاصة بالمشاريع، وتوزيع الأعضاء حسب استعداداتهم ومؤهلاتهم على هذه المشاريع الدعوية (فرق المشاريع).

ومن طرائف هذا الأسلوب السماح للهيئات حسب نفوذها الجغرافي باختيار أولوياتها الدعوية تبعا للحاجة المحلية والمشاريع المبرمجة لتلبيتها، وكذلك توفيره بيئة عملية تسمح بامكانية ظهور تخصصات دعوية خالصة، من قبيل مؤسسات خاصة بالعفة، وأخرى بالحجاب، وتشجيع الزواج، وانقاذ العاهرات وادماجهن في المجتمع.

- تكوينيا: يحتاج العمل بالمشروع إلى مجموعة من المهارات والفنيات التي يصعب بدونها تحقيق مقاصد هذا الخيار، والواقع أن محتويات التربية والتكوين في الحركة الإسلامية لا زالت متخلفة عن هذه الآفاق، وتستقي قضاياها من النموذج العملي السائد... فتأهيل الكوادر الدعوية في هذا المجال، وتمكينهم من الأدوات والتقنيات الضرورية للعمل بالمشروع مسألة ملحة، وأحد الشروط الأساسية لكسب هذا التحدي الدعوي.

- ماليا: إن نموذج العمل بالمشروع بحكم درجة الشفافية والوضوح التي يسمح بها ماليا وإداريا، يحرر العمل الدعوي من عدد من الصعوبات المالية، ويرفع عنه الحرج القانوني، والاجتماعي، فإقبال الناس على تمويل بعض عمليات أو أنشطة المشروع الدعوي أمر ميسر، وراسخ في الثقافة الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي، كذلك ومن الناحية القانونية لا يثير هذا النوع من العمليات أي إشكال، سواء في العلاقة مع أطراف وممولين داخليين أو خارجيين.

- العلاقات الخارجية: إن إمكانات التنسيق والتعاون مع الأشخاص والهيئات ذات الاهتمام المشترك، وعلى أساس مشروع دعوي كبيرة جدا، سواء كانت هذه الجهات مدنية أو شعبية أو رسمية، فالاختناق الذي تعاني منه الحركة الإسلامية في مجال العلاقات الخارجية ترجع بعض أسبابه إلى أسلوب عمل «الحركة»، ونتصور أن العمل بالمشروع سيجعل الطريق سالكا أمام الدعاة نحو عدد من القوى والجهات، لتطوير علاقات التعاون وتبادل الدعم.

أخيراً يعتبر العمل بالمشروع مكمنا جديداً للطاقة الدعوية، لا زال خاما لم يستغل بعد، يمكن التعويل عليه في النهوض بأعباء الدعوة وفرائضها، خاصة بعد أن استنفذت المكامن الأخرى طاقاتها، والصعوبات الكبيرة التي أخذت تطرحها والنتائج الهزيلة التي باتت تحصل استنادا إليها، بالإضافة إلى أن هذا الخيار أحد واجهات الكفاح ضد قيم التخلف في الجسد الإسلامي، وإطار عملي لترسيخ ثقافة الإنجاز وتطوير كفاياتها لدى الفاعل الإسلامي فقدرة الإنجاز- الضعيفة الأثر في حياتنا العصرية، والتي تعبر عن الفعالية الحضارية للأمة لن يتسنى كسبها وتطوير حضورها الواقعي إلا من خلال خيار المشروع وثقافته ●.

الهوامش:

١ د. فريد الأنصاري، البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، سلسلة اخترت لكم، ط ١/ ٢٠٠٣، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط.

٢- انظر على سبيل المثال الرؤية الدعوية لحركة التوحيد والإصلاح المغربية، ط. ١/ ٢٠٠٣ .

٣- من أهم اللعب المبرمجة في هذا المشروع لعبة محمد الفاتح التي يراد من خلالها ابتكار لعبة تحاكي خطة محمد الفاتح في دخول القسطنطينية وترك الأطفال يتصرفون ويبتكرون في خطط الدخول، كذلك لعبة «العرائس الإسلامية»، والتي يهدف من ورائها المصممون الخروج بمجموعة من الدمى الإسلامية التي يمكن أن نوجه بها رسالة للأطفال، (www.geocities.com/tamer_nada/kids).

٤- Rosa Montero,Anillos de plata contra el sexo,EL Pais Semanal.

أخوة المؤمنين وأخوة المنافقين كما تصورها سورة الحشر

بقلم: د. عطية فياض- القاهرة

إن التماسك الاجتماعي بين أفراد الأمة من الأسس الهامة التي تقوم عليها وتتحدى بسببها كل الخصوم، وتلك سنة كونية أن الخصم لا يتغلب إلا بانهيار البنيان الاجتماعي وتفكك أوصاله، وأن يكون بأس أفراد المجتمع فيما بينهم شديداً، ومن هنا كان الحرص مبكرا في تأسيس الدولة الإسلامية على تحقيق الأخوة بين المهاجرين والأنصار ونزع فتيل الفرقة والعصبية والحزبية بينهما بل سبق ذلك أخوة المهاجرين مع بعضهم مع اختلاف البطون والقبائل، وكذلك أخوة الأنصار أوسهم وخزرجهم وأصبحوا جميعا معتصمين بحبل الله غير متفرقين متآلفين عباد الله إخوانا، وسجلوا أسمى وأقدس الصور في معاني الأخوة الصادقة الحقيقية.

هذا التآخي لم يكن مجرد شعار للمزايدة ودغدغة العواطف والالتفاف حول المعاني السامية بالأكاذيب والتدليس والتلبيس، لكنه معنى خالط قلوبهم ومشاعرهم، لحمهم ودمهم، برز ذلك في سلمهم وحربهم، وفقرهم وغناهم، مستضعفين وممكن لهم، أفرادا وجماعات.

ويصور القرآن الكريم هذا الوضع غير المسبوق في أبلغ عبارة وأجزلها فيقول سبحانه: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(الحشر ٨-٩)

هذا أنموذج الأخوة الصادقة، والبنيان الاجتماعي السليم بعيدا عن الشعارات البراقة، وترفعا عن القبلية التي كانت سائدة متناحرة، وعن معايير التفاضل البشري التي يحتكم إليها الكثير من أجل الاستعلاء والتسلط والنهب.

وتظهر الآيات الكريمة صدق الأخوة بين المهاجرين والأنصار، لا تلوثه أطماع ولا حب دنيا، ولا أثرة، ولا شح أو حرص، ولا حاجة إنماهو أخوة تدور بين سلامة الصدر والإيثار.

وتأتي هذه الآيات الكريمة بعد موقف قد يذل أعناق الرجال ويغير المبادئ والثوابت عند البعض فقد فتح الله على المسلمين وأخرج بني النضير وأفاء عليهم بأموالهم، وقد دعا رسول الله ﷺ الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم في أموالهم ثم قال: ﴿إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم. وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم﴾. فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل نقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار). وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً إلا ثلاثة ذكروا له لفقرهم(١).

لم يكن ما تقدم تسجيلا لموقف سياسي من الأنصار ينتظرون بعده مغنما أكبر، أو أضمروا في أنفسهم شيئا أخفوه حرجا من رسول الله ﷺ وإنما أخبر من يعلم السر وأخفى أنه لا يوجد في صدورهم حاجة من ضغينة أو حسد، وأنهم آثروا على أنفسهم وليس مرتبطا بحال يسرهم لكنه مع الحاجة الشديدة التي تختل بها الحال.

وهكذا تبرز لنا تلك الآيات معالم الأخوة الصادقة:

- أخوة العقيدة والإيمان، لا أخوة المصالح والمغانم، وإنما قوم تلاقوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، أحبوا في الله وأبغضوا في الله، وأعطوا لله ومنعوا لله، فدامت وأثمرت، واستحق المهاجرون وصف الصادقين واستحق الأنصار وصف المفلحين.

وقد تواترت الأدلة على وجوب قيام الأخوة على العقيدة والإيمان وآثر ذلك في الدنيا والآخرة منها:

- في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار(٢).

- وفيهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه(٣).

- وفي مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي(٤).

- وعنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟

قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه(٥).

- وعند الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب(٦).

- وعنده عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال

الله عز وجل: ﴿المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء﴾ وفي الباب عن أبي الدرداء وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي مالك الأشعري قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح(٧).

- وعند أبي داود أن عمر بن الخطاب قال قال النبي ﷺ إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾(٨).

- وعنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله(٩).

فهذه الأدلة تبرز أهمية الالتقاء على العقيدة وهي التي صنعت هذا النسيج القوي من المهاجرين والأنصار وكانوا من قبل متناحرين أعداء، فالمهاجرون أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا، والأنصار تبوءوا الدار والإيمان، فكان من فضل الله عليهم هذا التآخي ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾(آل عمران، ١٠٣).

إن التآخي الاجتماعي إذ يقوم على غير عقيدة كمصالح، أو قوميات أو حدود جغرافية أو إقليمية أو غير ذلك سرعان ما يصيبه العطب ويصبح إخوان اليوم أعداء الغد، ويتحول الإخوان إلى فرقاء تتحول سهامهم إلى صدور بعضهم بدلا من صدر عدوهم.

أخوة تقوم على الحب والود

وهذه ثمرة للأخوة التي تقوم على العقيدة والإيمان ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

والحب ليس كلمة أو أنشودة تقال وإنما له ضوابطه العملية التي تظهر صدقه وآثاره فبدايته سلامة الصدر من الحسد والظلم والضغينة والغل والغش والأثرة والتعالي والتكبر واصطياد الأخطاء ونهايته الإيثار وأن يرى المسلم إخوانه أولى بنفسه من نفسه لأنه إن لم يكن بهم فلن يكن بغيرهم وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره.

وفي هدي النبي ﷺ ما يوضح سلامة الصدر وأنه ليس مجرد معنى نفسي أو شعار يقوله الأخ أنه سليم الصدر وإنما له ما يفصح عنه في القول والعمل.

في الصحيحين عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث(١٠).

عند البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا(١١).

وعند مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا تهجروا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا(١٢).

وعنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض

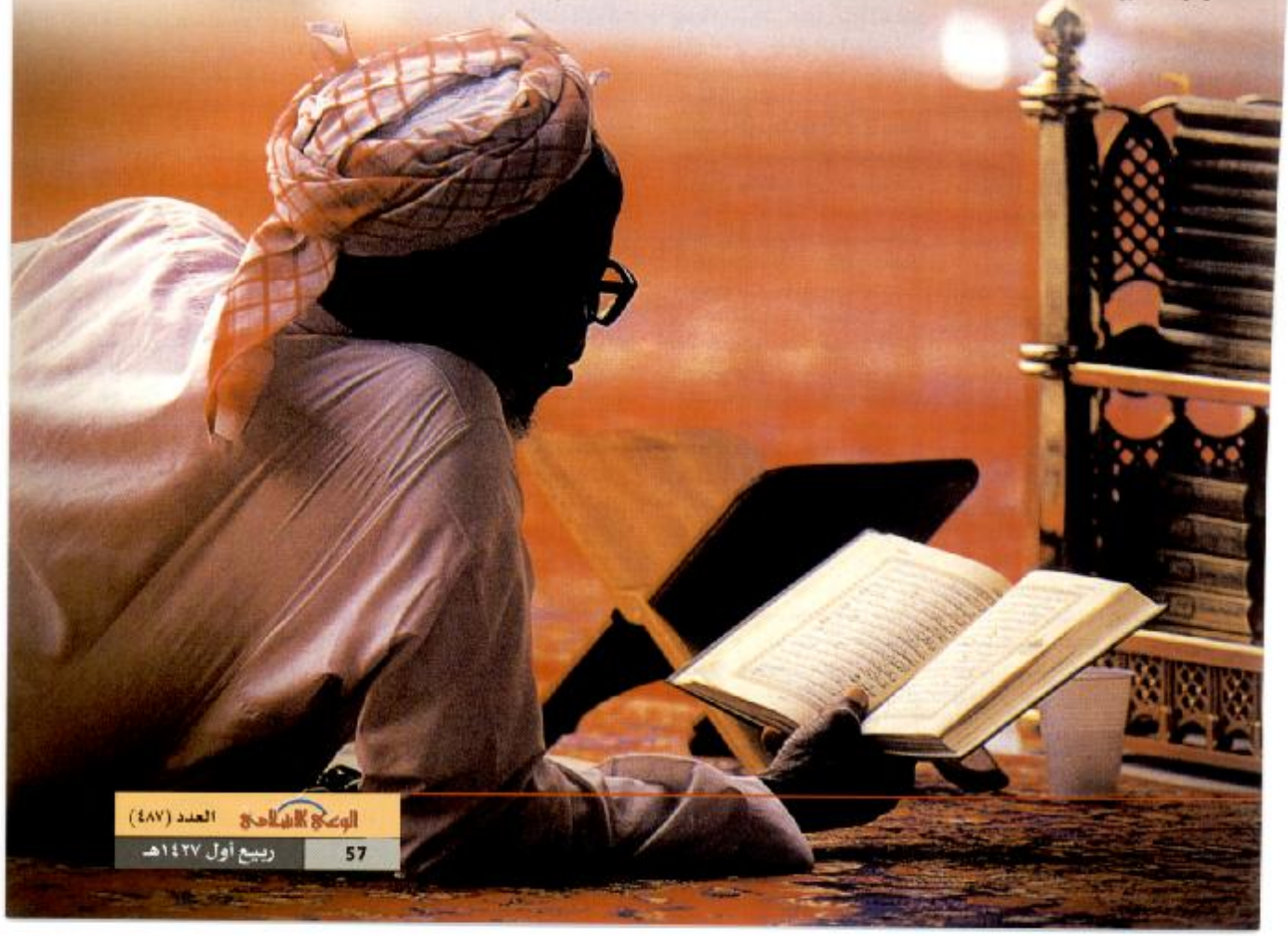

وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه(١٣).

وعند الترمذي «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله.. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب (١٤). وفيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه(١٥).

وفيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. قال أبو عيسى هذا حديث حسن (١٦) وفيه عن أنس عن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه قال هذا حديث صحيح (١٧).

هذه التوجيهات الحكيمة توقفنا على أهمية المحافظة على العلاقة الأخوية من أن تكدرها كلمة نابية أو فاحشة أو سوء ظن أو تنافس غير مشروع في المعاملات المالية أو على خطبة امرأة أو غير ذلك، ومجاوزة هذه التوجيهات تقضي عليها مهما كانت متانتها وقوتها ومن هنا كان هذا التشديد ووضوح الضوابط التي تيسر القضاء على الخلاف قبل أن يستعر ويشتعل.

أما الإيثار الذي هو تقديم الغير على النفس وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة. فسطر التاريخ في أنصع صفحاته أروع الأمثلة التي ضربها المهاجرون والأنصار ومن تبعهم بإحسان في الإيثار لا بالمال فقط بل بأنفسهم من أجل إخوانهم وقائدهم.

في الصحيح قال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن

الربيع فقال سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها قال فقال له عبدالرحمن لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة(١٨).

وعند مسلم عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ماعندي إلا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء فقال من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني قال فعللبهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ فقال قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة(١٩).

ويذكر الترمذي أن قوله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» نزلت مع هذه الواقعة(٢٠). فهي أخوة بذل وعطاء لا أخوة أخذ، أخوة مغرم لا مغنم، أخوة عفة، فالأخ يعطي ولا ينتظر المقابل، ولايمن بعطاء، ومن يعط يستعف أولا إن كان عنده أو في مقدرته العمل (هل من سوق)

وهذا الحب والصفاء بمعانيه الكاملة أثمر التراحم فيما بينهم والتواضع والعفو وذلة بعضهم لبعض كما قال تعالى «والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»(الفتح، ٢٩) «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»(المائدة، ٥٤) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا إنك رؤف رحيم»(الحشر،١٠).

ثالثا: الوحدة والاعتصام

وحري بمن جمعتهم العقيدة والإيمان، وتلاقوا على حب وصفاء أن يجتمعوا ولا يتفرقوا، وأن يتحدوا ولا يتمزقوا مهما اختلفت البطون والألسنة ومهما باعدت بينهم الأماكن، فهم جنود مجندة متعارفون متآلفون، لا يشق وحدتهم منصب ولا جاه ولا مغنم، ولم يعرفوا ما يسمى باصطلاحنا «الشللية والجيوب»، وإنما هم كما أراد الإسلام منهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، بنيان مرصوص متين، بعضهم أولياء بعض يعرفون أن الذئب يأكل من الغنم القاصية، يستوعبون جيدا قوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها»(آل عمران،١٠٣).

كانت هذه صورة وضيئة للأخوة قدمتها الآيات الكريمة، وفي مقابلها صورة مظلمة للإخاء تقوم على الغش والخداع والكذب والتضليل والمزايدة والشعارات كالزيد ليس له أصل، مظهرها العناق الطويل وبسط الكف ثم تدبير المكائد والمصائب، أصحابها لهم أكثر من وجه يقابلون هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، إذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، يحسبون كل صيحة عليهم، عند الجد والنزال وطلب المعونة يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا، تشغلهم أموالهم وأهلوهم، يفرحون بتخلفهم، كثيروا الاعتذارات، يحزنون لمسرة غيرهم ويفرحون لمصابهم، قولهم معسول وجميل تحب سماعه ولا تمل منه، وصورهم وضيئة وداخلهم قبيح، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون»(الحشر ١١-١٢).

يقول الطبري:«يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك يامحمد، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذكر عبدالله بن أبي ابن سلول، ووديعة، ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ للحرب أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب... «٢١».

لقد قالها من قبل هؤلاء إبليس عليه اللعنة عندما هيج قريشا في بدر ووعدهم بالمؤازرة «وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان

نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾ «الانفال -٤٨».

تلك هي الصورة الممقوتة للعلاقات الاجتماعية التي تقوم على الزيف والكذب والتغرير، وتفتقد الصدق والوضوح، فريق أو أمة أو جماعة هذا شأنها جدير بها أن تلقى الهوان والصغار، وأن تخرب دورها وحضارتها وبناؤها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقد حدث.

إننا عندما نقارن بين الصورتين الأولى التي تنضح صدقا وحبا وصفاء وسلامة قلب والثانية المبنية على الكذب والزيف نجد أن الفارق بينهما هو الفرق بين البناء والهدم، بين السلامة والعطب، بين الاستقرار والاضطراب، بين التقدم والرقي والنهضة وبين التخلف والتأخر.

نسأل الله الصدق في القول والعمل والإخلاص في السر والعلن إنه على كل شيء قدير.

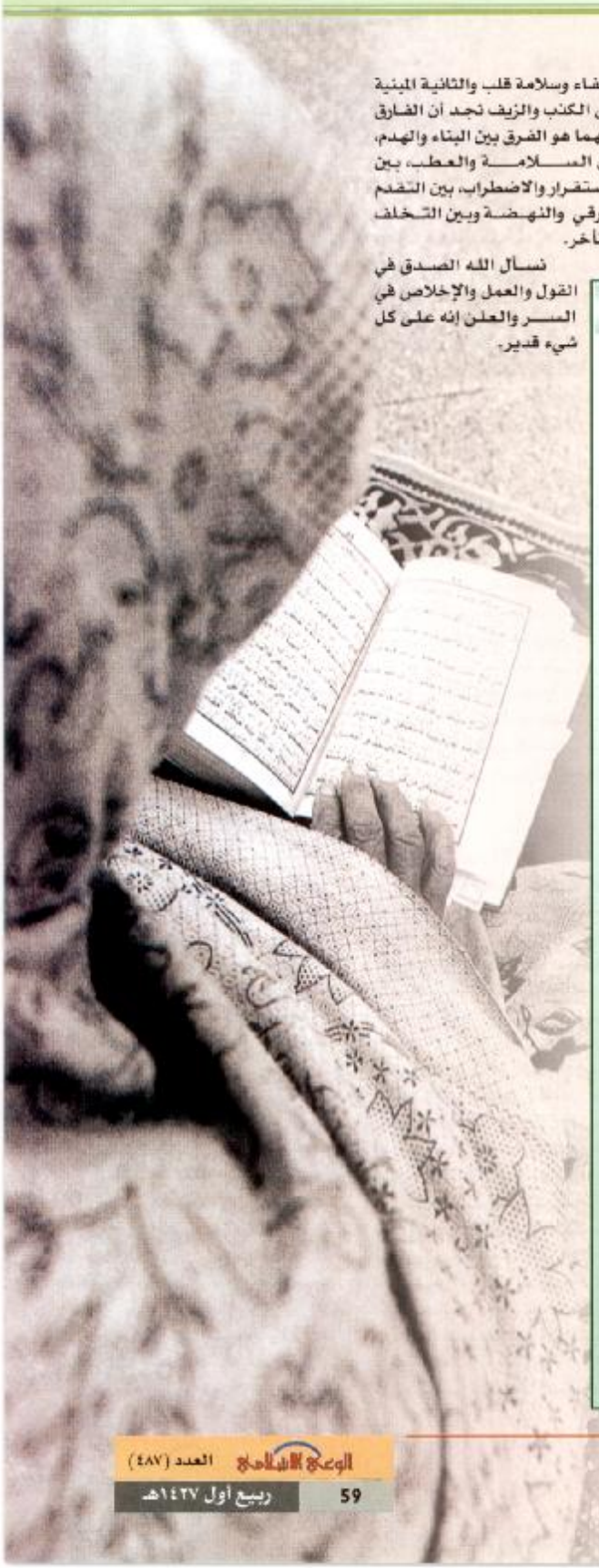

الحواشي

١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - تفسير سورة الحشر - مناهل العرفان بيروت، وانظر سنن أبي داود - كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب صفايا رسول الله ﷺ من الأموال - رقم ٢٩٧١ .

٢ - الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان رقم ١٦ ترقيم فتح الباري، ومسلم - كتاب الإيمان- باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان - رقم ٤٣ ترقيم عبدالباقي.

٣- البخاري - كتاب الأذان - من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد رقم ٦٦٠، مسلم- كتاب الزكاة - فضل إخفاء الصدقة - رقم ١٠٣١ .

٤- مسلم - كتاب البر والصلة والأداب - باب فضل الحب في الله -رقم ٢٥٦٦، المسند للإمام أحمد - مسند المكثرين - مسند أبي هريرة - رقم ٩٠٣٦ ترقيم دار إحياء التراث.

٥ - مسلم- كتاب البر والصلة- باب فضل الحب في الله - رقم ٢٥٦٧ .

٦- الترمذي - كتاب البر والصلة - باب زيارة الإخوان - رقم - ٢٠٠٨ ترقيم أحمد شاكر، ابن ماجه - كتاب الجنائز - باب ثواب من عاد مريضا - ترقيم عبدالباقي.

٧- مسلم - كتاب البر والصلة- باب الحب في الله - رقم ٢٥٦٦، أحمد - مسند المكثرين - مسند أبي هريرة - رقم ١٠٤٠١ .

٨- أبو داود- كتاب البيوع - باب الرهن رقم ٣٥٢٧ ترقيم محي الدين، وقد ذكر صاحب عون المعبود أن لاوجه لذكر هذا الحديث في هذا الباب، ولعل الوجه : ذكر الأموال التي يتعاطونها.

٩- أبو داود- كتاب السنة - باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم - ٤٥٩٩ .

١٠- البخاري - كتاب الأدب- باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر - رقم ٦٠٦٥، مسلم كتاب البر والصلة والأداب - باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر - رقم ٢٥٥٩ .

١١- البخاري- كتاب النكاح - باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح او يدع - رقم ٥١٤٤ .

١٢ - مسلم - كتاب البر والصلة والأداب - باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش - رقم ٢٥٦٣ .

١٣- مسلم - كتاب البر والصلة والأداب - باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر - رقم ٢٥٥٩ .

١٤- الترمذي - كتاب البر والصلة - باب شفقة المسلم على المسلم - رقم ١٩٢٧ .

١٥- الترمذي - كتاب البر والصلة - باب شفقة المسلم على أخيه المسلم - رقم ١٩٢٩ .

١٦- الترمذي - كتاب البر والصلة - باب التستر على المسلم - رقم ١٩٣٠، أبو داود كتاب البر والصلة - باب المعونة للمسلم- رقم ٤٩٤٦ .

١٧- البخاري - كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - رقم ١٣، مسلم - كتاب الإيمان- باب الدليل على أن خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - رقم ٤٥ .

١٨ - البخاري - كتاب البيوع - ما جاء في قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ - رقم ٢٠٤٨ .

١٩ - مسلم - كتاب الأشربة - باب إكرام الضيف وإيثاره - رقم ٢٠٥٤ .

٢٠- الترمذي - كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة الحشر - ٣٣٠٤ .

٢١ - جامع البيان عن تأويل القرآن - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تفسير سورة الحشر - دار المعارف - مصر.

«الكارثة» .. كتاب العبر .. والنذر

اليوم ومن صميم الدوامة الهائلة التي تعصف بكوكبنا من كوارث بيئية وطبيعية تنادي بكل قوة وعنف وغضب للعودة إلى منطق التقوى والعقل المتبصر المحب للخير المنسجم مع النواميس التي أبدعها الخالق عزّ وجل.. نلاحظ بعض دعوات للوقوف والتأمل والاعتبار مما حدث للقرون الخالية وما نراه الآن بتتابع كاسح..

ومنها ما يعرضه كتاب «CATASTROPHE» أي «الكارثة» بقلم ديفيد كيز DAVID KEYS الذي يستعرض فصولاً من «غضب وجزاء» وقعت على البشر عبر التاريخ لعلهم يعتبرون..

تحولات مناخية رسمت مسار التاريخ وخريطة القوى العالمية..

لاينقطع السيل الجارف من أخبار الكوارث الطبيعية المتلاحقة هذه الأيام من زلازل وأعاصير مدمرة.. وبراكين مرعبة إلى أوبئة مهلكة تحصد البشر.. والتي أحدثها وأكثرها عظة.. تلك الأوبئة التي راحت تفتك بلقمة عيش البشر.. تحاصرهم في قوت يومهم.. تصيب البقر والضأن.. فلا لحم.. ولا حليب.. ولا حتى صوفاً ولا شعراً.. بل.. ولا حتى الروث منها لتخصيب الأرض فتنبت من جديد!! فكأنما المراد هنا أن يقف الإنسان المندفع بجنون الجشع والاستسلام للبهيمية.. صاغراً جائعاً ذليلاً.. من حوله كل شيء بات مخيفاً.. لا تستطيع الأساطيل المسلحة بالقوة النووية.. ولا دروع حرب النجوم أن ترد بعض هذا الجند المسخر..

أترى تأتي لحظات تحفظ فيها المتاحف بعدنا مومياءات لمحاربين من عصرنا ممددين بين أزرار إطلاق صواريخ حرب النجوم.. وقد ماتوا جوعاً وأصابعهم على بعد قراريط فقط من أزرار الإطلاق القادرة على محو الأرض بما عليها مرات.. ومرات.. لكنها لم تكن قادرة على حمايتهم.. أو إطعامهم لقمة مأمونة أو جرعة من لبن مخيض.. ولا شريحة من شواء.. فلا «إستيك» ولا هامبورجر؟؟!!

هذا كتاب صدر بالإنجليزية عام ١٩٩٩ في لندن عن دار سنشري Century بعنوان (الكارثة) -CA TASTROPHE بقلم ديفيد كيز. لكن الآن (في عام ٢٠٠٦) نجد في ما طرحه الكاتب قدراً كبيراً جداً من الإثارة.. المخيفة بل المرعبة.. وأيضاً منطقية الترابط بين سلسلة التغيرات الطبيعية المناخية وما واكبها أو ترتب عليها من تشكيلات جديدة أو خرائط لتوزيع القوى والتجمعات البشرية على الأرض ونشوء البؤر الحضارية.. ما رأه جيل واحد فقط أو جيلان من البشر خلال القرن العشرين يمنح قدراً كبيراً من القبول العقلاني لرؤى هذا الكاتب.

التغير الأعظم

يرى الكاتب أن التغير الأعظم في سجل الوجود البشري المسجل تاريخياً هو ما جرى من أحداث طبيعية مناخية وحيوية بيولوجية في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وعبر القرن السابع أي فترة ميلاد محمد ﷺ وإشراق رسالة الإسلام، وفي استعراض وتحليل منطقي أسر يستحوذ الكاتب على القارئ بأسلوب سلس.. فلا تنتهي من فصل الا وجدت نفسك مشدوداً إلى الفصل التالي.. وبالتالي طرفاً في نقاش وتقييم لقضية حميمة جداً تلامس أعمق ما يدور في ذات الإنسان المسكون بالخوف في عصرنا القلق المخيف هذا..

ربما.. لو لم ينشر هذا الكتاب عام ١٩٩٩ .. بل عام ٢٠٠٦م لكان اكتسب قدراً هائلاً من المصداقية والرواج أكثر مما حصد وخاصة بعد عرضه لمسلسل على تلفزيون القناة الرابعة البريطاني.. إذ كان سيكتب فصلاً مثيراً حافلاً عن .. الموجة الكاسحة من الكوارث الطبيعية من زلازل.. اسطنبول وسلفادور والهند وإيران والصين وأفغانستان وباكستان إلى البراكين الجهنمية.. والفيضانات أو الطوفان في شرق أفريقيا وأوربا وأميركا.. الى الحرائق الهائلة في أميركا وأستراليا.. تعجز أمامها أساطيلُ الإطفاء.. إلى الإيدز فجنون البقر.. ومن ثم الحمى القلاعية.. والسارز.. وانفلونزا الطيور.

وربما كان سيكتب فصلاً خاصاً عن مشاهد حقيقية تجري «هنا في عاصمة أوسع وأقوى إمبراطورية عرفها تاريخ البشرية قرب لندن».. صورة لقاعدة جوية بريطانية سابقة.. تجرف الجرافات مدارج طائراتها وقاذفاتها الجبارة التي دكت برلين بالأمس القريب.. وأخضعت وأرعبت شعوباً وقبائل.. تجرفها لتحضر مكانها مدافن هائلة.. لتدفن فيها الآلاف من الأبقار والأغنام.. أو بلغة العصر.. القناطير المقنطرة من الذهب والإسترليني.. أو بلغة الحقيقة الأكثر مرارة.. القناطير من الشواء اللذيذ.. والحليب والزبدة والقشطة المترفة.. من تلك النعم التي كانت.. أو كأن لم تكن!! ومقابلها صور لبعض القوم يذرف الدمع.. حزناً.. وكمداً.. وخوفاً من جوعة مقابلة.. بعد أن ينضب الضرع.. ولا حول ولا قوة بجيوش.. وأسلحة نووية.. ولا حجر بيطري.. في وجه النوازل المتلاحقة!! كان سيكتب ذلك ليقارنه بما أورده التاريخ عن إمبراطور القسطنطينية جوستنيان في مواجهة انتشار الطاعون وأمره بحفر قبور جماعية هائلة لدفن الاف الجثث المتراكمة في ساحات وشوارع وبيوت أعظم وأغنى عاصمة على الأرض في أيامه.. كل قبر منها يتسع لسبعين ألف جثة.. وأمره كبير مستشاريه تيودور بأن يدفع من الذهب (أكواماً).. أجوراً لمن يقبل العمل «حمالاً» في تجميع الجثث من الساحات والشوارع والبيوت وجرها.. وإلقائها (أكواماً) دون أية طقوس أو أكفان في «حفر» الدفن العملاقة.. عشرة دنانير ذهباً أجر العامل عن كل حمل من الجثث.. يلقيه..!!

بقلم: عوض علي محمد محاسنه
- الأردن

(جون إفسوس) وفي شهادته عن الكارثة.. يقول إنه لم يجد أن بإمكان الكلام تصوير هول الأكوام والجبال من جثث الموتى، وأنه اعتقد في لحظة ما أنه لن يكون بعد جيله من بقية تأتي لتقرأ ما يكتب.. لكنه عاد وعدل عن رأيه وكتب قائلاً.. «سأكتب لعله يبقى أو يأتي بعدنا من يتعظ ويعتبر ويتقي غضبة الرب.. وعقابه وبطشه.. من غضب الله.. مفرمة رهيبة.. أو مطحنة.. أو هراسة هكذا يسمى هذا الشاهد تلك الغضبة.. إنها آلة غير مرئية تفرم البشر كما تفعل مفرمة العنب (المعصرة) إذ تفعل بالعنب الناضج الطري.. تهرسه بكل العنف والجبروت.. تسحقه.. تماماً.. لا تبقي ولا تذر.. من أين.. جاء البلاء..؟

يرى الكاتب أن تغيراً طرأ على مناخ الأرض والغلاف الجوي نتيجة لقدر هائل من تلوث الجو سببته في تقديره انفجارات براكين

جبارة نفثت في الجو مقادير هائلة من الغازات والأبخرة والغبار.. ترتب عليها تضاؤل دور أشعة الشمس في تنظيم دورة المناخ على سطح الأرض فبدت الحادثة كما يراها أشبه بما يسميه خبراء الفيزياء النووية اليوم «الشتاء النووي» الذي قد يغلف الكرة الأرضية لفترات طويلة بسحابة هائلة مظلمة من الدخان والغازات الكثيفة والوحل والأبخرة إذا ما وقعت حرب نووية كبيرة.. مما قد يعني انقراض الحياة على سطح الأرض أو على الأقل انقراض الكائنات الحية العليا..

ويربط الكاتب بهذه الظاهرة بداية ظهور جرثومة مرض (الطاعون) الذي راح يفتك بالإنسان على مدى العصور.. ويرى أن افتك ظهور لتلك الجرثومة بدأ في شرق أفريقيا وتحديداً في منطقة جنوب كينيا قرب مدينة كانت عامرةً مزدهرةً كمركز للتجارة.. إسمها (رابطة) وكان ذلك في مطلع القرن السادس الميلادي وعلى امتداد القرنين السادس والسابع.. وكانت أهم سلعة تصدرها العاج أو أنياب الفيله والتوابل والطيوب والأصباغ.. وأن نوعاً من الجرذان كان الناقل الحي لهذا الوباء على سفن التجار من سواحل شرق أفريقيا عبر موانئ اليمن والبحر الأحمر ثم عبر مصر وقناة تراجان التي كانت في موضع قناة السويس الحالية.. إلى موانئ البحر المتوسط فالقسطنطينية.. عاصمة القوة العظمى آنذاك.. وعاصمة المال.. والفسق والفجور كذلك..

اليوم نرى على شاشة الأخبار.. الجنوالات البريطانيين يشرحون.. عن مدافن تحضر في قلب قواعدهم الجوية.. تحت مدارج قاذفات القنابل الجبارة.. يتسع أحدهم لرقم (٧٠ ألف) جثة من البقر.. والضأن.. المصاب.. ويأتي الرقم مطابقاً للرقم الذي أورده المؤرخ عن «مدافن» القسطنطينية قبل خمسة عشر قرناً.. ونرى أيضاً القوة العظمى على الأرض.. تتنصل من التزاماتها في معاهدة كيوتو لحماية غلاف الأرض من «تلوث» له نتيجة مرعبة محتومة.. هي كارثة مماثلة أو أعظم من تلك التي سببت طاعون القسطنطينية.. وكوارث عصره الأخرى ونرى حالة السقوط والتردي الأخلاقي هناك أيضاً.. ونخشى.. وعلينا أن نعي.. ونتقي.. ونتضرع.. ونسأل القاضي العدل.. الجبار.. اللطف بنا.. وبالأرض جميعاً ومن عليها.

هذا الكاتب.. صدر بالإنجليزية في ٣٦٨ صفحة وهو جدير جداً بالقراءة.. وما ورد آنفاً مجرد فصل منه.. وفيه أكثر من ذلك.. عبر وقرون خلت.. ذاق البشر ويلاتها.. ذاقوا وبال أفعالهم.. وفيه أن النذر التي بين يدينا اليوم.. تشير بقوة إلى عودة رهيبة.. مرة أخرى.. لمثل ذلك الكابوس.. إلا إذا تداركتنا رحمة الله..!

كذلك يحيى الله الموتى

بقلم: محمد مكين عبدالعليم - سوريا

قلب الأستاذ (راشد) المحامي أوراق الملف بين يديه وقال:

- (اسمع يا (بوجاسم) القضية صعبة جداً.. ولدك لم يدع دليلاً ضده إلا وأهداه للنيابة.. فوق شهادة الشهود وسلاح الجريمة!).

هز (بوجاسم) رأسه وقال في أسى:

- (أدري يا أستاذ.. أدري! ولكنه ولدي ولا أقدر أن أتركه هكذا يفلت من يدي.. أرجوك يجب أن تفعل المستحيل!).

- (المستحيل نفسه لايملك شيئاً يفيد ولدك.. وليس إلا أن يعفو أهل القتيل).

- (وهل يعفون؟.. أرجوك!)..

- (دعني أفاوضهم.. وإن كنت أحسب أن الثمن سيكون باهظاً)

- (ولايهمك يا أستاذ.. ولايهمك.. المهم فكني من هذه الورطة).

وكان على (بو جاسم) أن يصبر على لوعته أسابيع أخرى.. أسابيع طويلة لا يزوره فيها النوم ولا راحة البال.. ولده في السجن.. والمشنقة تقترب.. وليس أمامه إلا شريكه وصديق عمره (بوناصر) يشكو إليه ما يجد ويبثه أشجانه:

- ولدي يا (بوناصر) ولدي يكاد يضيع واكاد أجن.. ماذا أصنع؟.. المحامي قال انتظر وها أنذا الجمر يفلي من تحتي وليس في يدي إلا أن أنتظر!).

- (إصبر عسى الله ما يخيب رجاءك ولا يفجعك بولدك.. وإن كنت لا أدري ماذا فعل الذين فجعهم ولدك!).

- (المحامي قال سيفاوضهم كي يعفوا مقابل مبلغ.. تدري والله أدفع ثروتي كلها).

- (وماذا لو كلفك الأمر أكثر من ثروتك؟!)

- (لا تصعبها بالله عليك.. ترى أنا متفائل ونجاة ولدي باتت قريبة بإذن الله).

- ما هكذا ينجو ولدك يا (بوجاسم)!

- (إذاً كيف؟!)

- (أنت أدرى يا صاحبي)..

ولم يزد (بوناصر) رغم أن لديه كلاماً كثيراً.. فهو لايريد أن يصعبها على شريكه كما قال.. فتركه ينتظر أياماً قبل أن يهتف له المحامي بالبشارة:

- (مبروك يا (بوجاسم) مبروك... فدينا ولدك بمئة ألف!).

ولم يرد (بوجاسم) بشيء.. لم يستطع!.. الدموع طفرت من عينيه ونسي كل ما يجب أن يقوله أو يفعله.. نسي أن يتصل بالأم.. أو أن يهرول إلى السجين كي يخلصه.. وليس إلا أن انكب على شريكه يقبله ويبكي!..

في الاحتفال الذي امتلأ بأهل الديرة تغيب (بوناصر) كما لا ينبغي له.. تعب مفاجئ ألم به منعه أن يغادر بيته.. ولما أحس قوة في نفسه اتصل بصديقه يعتذر منه ويستأذنه في الغياب لأسبوع يقصد فيها مكة المكرمة علّه يرتاح.. ولم يكن صاحبه السعيد يود أن يعتب عليه أو أن يؤخره عن سفره فاكتفى بالقول:

- (بالسلامة إن شاء الله .. بالسلامة.. لا تنسنا من دعواتك.. ونراك حين تعود!)..

لكن (بوناصر) حين عاد لم ير شريكه! كل ما استطاعه هو أن يذرف على قبره بضع دمعات.. وعندما هدأ التفت إلى ولده وقال:

- (يا لهذه الدنيا يا ولدي.. الأب الملتاع ينفق مئة ألف كي يرى ولده طليقاً لأسبوع واحد!.. ياه! يا لشقوتنا بمن نربي!).

- (وهل كان يملك غير ما فعل يا أبي؟.. انه ولده!).

- (كان يملك الكثير دون أن يتكلف ما دفع، ولكن ليس الآن بل من زمان، من يوم كان ولده صفحة بيضاء خالية وقال له المولى اكتب!)

وبرغم الحزن.. وبرغم الوفاء إلا أن (بوناصر) أبى أن يحل (جاسم) مكان أبيه.. قال له: (إسمع يا ولد أخي.. لك أن تنصرف إلى العمل الذي تشاء، وأنا كفيل أن تصلك حصة المرحوم كما كانت .. أما الشراكة فلا!).

ذهل الولد.. كان هذا آخر ما يتحسب منه.. جرب أن يعترض.. أو أن يعرف السبب على الأقل.. لكن (بوناصر) قطع عليه الطريق وقال: (ليس لدي كلام أضيفه)! وهذا ما جعله يفقد صوابه!.. ماذا يفعل؟ كيف يتصرف؟.. من يحل له هذه المشكلة؟ ولم يجد إلا صديق طفولته وصباه (ناصر) فالتجأ إليه فاعترى الصديق الذهول عينه، لا يمكن أن يكره أبوه

(جاسم)، فلماذا؟!

- (يا ولدي نبينا الكريم أوصانا إذا مررنا بدار الظالمين أن نسرع الخطو وندعو أن لا يصيبنا الله بما أصابهم.. فكيف لو جالسناهم أو شاركناهم!).

- (ولكن المحكمة أطلقته يا أبي.. وأهل القتيل عفوا!).

- (ذلك حكم محكمة الأرض وأهل الأرض.. أما السماء فلها قول آخر!).

- (وهل سيحاكم مرتين على فعل واحد يا أبي!).

- (لو تمكن كل من أزهق روحاً أن ينجو بملئ ألف لهانت نفوس الخلق عليهم.. ماذا لو أصابت طلقات الطائش صدرك؟! أكنا نسكت بمثل هذا الحكم؟! أكنت أقبل فيك مئة ألف؟!)

- (وماذا على الجاني أن يفعل أكثر مما فعل يا أبي؟).

(هذا ما لم أصل فيه إلى قرار.. لكن.. الله يستر!).

ولم يكن ممكناً أن يحدث (ناصر) صاحبه بما سمع.. ولكنه لم يستطع أن يخفي قلقه عن صديقه الأثير.. وأطل السؤال ذاته من عيني (جاسم) الذي استبد به المخاوف بشده وقال: (تقصد أنني ممكن أدفع الثمن ثانية؟!.. هذه كارثة!).

(الله يستر! ولكن قم معي الآن فلابد أن لدى الشيخ إمام المسجد الكبير علاج!)..

ومضيا.. وقصا عليه ما يخيفهما فأطرق الشيخ ملياً ثم رفع رأسه وقال:

(أنتما محقان في مخاوفكما.. ووالدك محق أيضاً.. من شفقته قال ما قال.. إن ربنا يقول: (من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً).. وهذا ما يشغل بال والدك، وقتل مؤمن أشد عند الله من زوال الدنيا بأسرها كما أخبرنا الحبيب المصطفى)..

(.. ألا يوجد حل؟ أليس هنالك علاج؟).

(بلى!.. العلاج في تتمة الآية: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً..).

(كيف؟!)..

(امضيا إلى العم (بو يعقوب) فلديه العلاج إن شاء الله).

وعند العم (بو يعقوب) وجدا العلاج:

(من لجاننا رجال ارتحلوا إلى مناطق نائية.. هناك حيث يقتل الناس الجوع والعطش والجهل.. فهم يزرعون لهم ليأكلوا ويحفرون الآبار ليرتووا. ويعلمونهم دينهم.. انطلق إليهم يا ولدي.. إنطلق لعل الله أن يكتب على يديك أن تحيا نفوس تكاد تموت..واسمع.. إذا فعلت فلا تعد قبل أن يأذن لك الرجل الطيب والد صديقك هذا!).

وارتحل.. ترك كل ما لديه وراءه وارتحل.. قال لأمه الملتاعة: (دعيني أرتحل بإرادتي فأنجو قبل أن أرتحل قسراً فأهلك!).

ولم يسمع به أحد بعدها.. وكاد أن ينسى.. لولا أن (بوناصر) أحس أنه لن يعيش طويلاً فبعث في طلبه وهو يحس أنه أدى الأمانة مع شريك عمره.. وتحامل على والده إلى المطار ليلقاه.. وليشهد كيف يحيي الله الأنفس بعد موتها!.

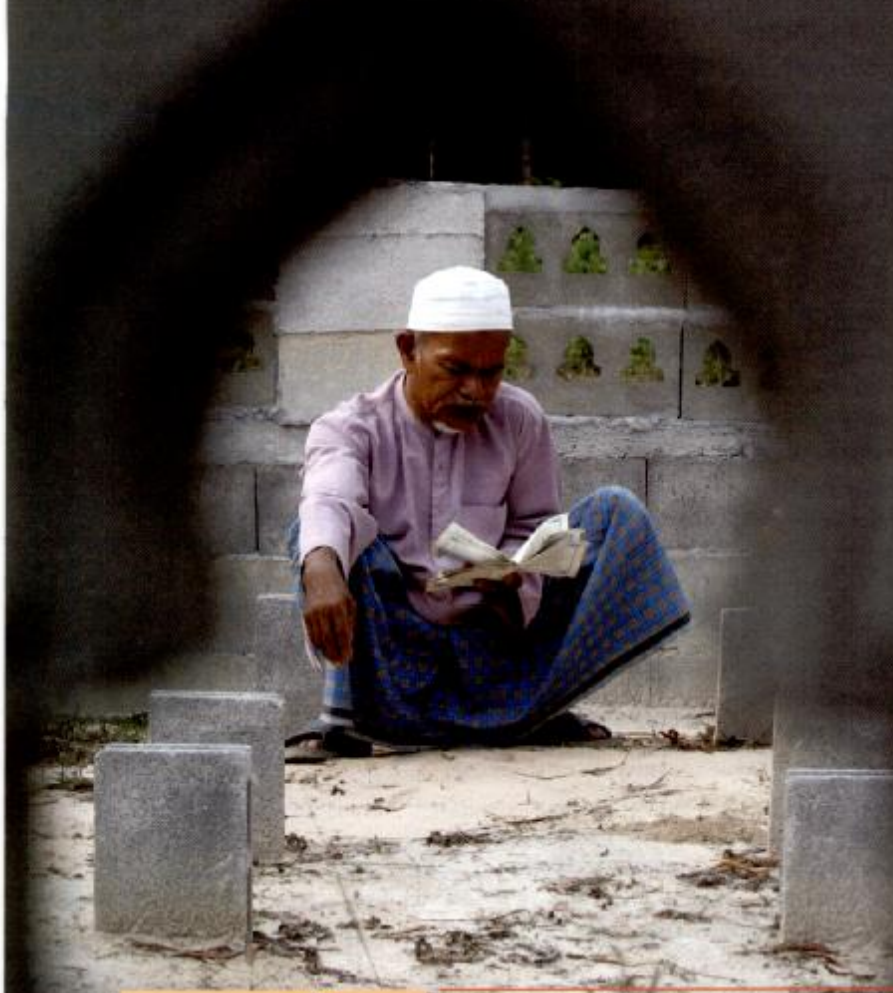

خلايا الدم الحمراء

يحتوي جسم الإنسان البالغ على حوالي خمسة لترات من الدم أي ما يقرب من ثمانية في المائة من إجمالي وزن الجسم، وتضخ الدم إلى سائر خلايا الجسم مضخة فريدة من نوعها تعمل ليل نهار دون توقف هي القلب، أما الأنابيب (الأوعية) التي يمر فيها الدم فتسمى الأوعية الدموية، ومن هذه الأوعية ما يحمل الدم من القلب إلى خلايا الجسم ويسمى شرياناً ومنها ما يعود بالدم إلى القلب ويسمى وريداً، ومن مجموع القلب والدم والأوعية الدموية، يتكون (الجهاز الدوري) أحد أجهزة الجسم الرئيسة.

والجهاز الدوري هو أسطول المواصلات في جسم الإنسان، والدم أنشط أعضائه، أو بالدقة فإنه العضو المتحرك الوحيد في هذا الأسطول، لهذا يعتبر الدم، تجاوزاً وسيلة المواصلات داخل الجسم البشري ويقوم الدم بنقل غاز الأكسجين من الرئتين إلى سائر خلايا الجسم كما ينقل الغذاء من الجهاز الهضمي (المعدة والأمعاء وملحقاتهما) إلى كل خلية في الجسم، ثم ينقل الفضلات (نواتج العمليات الحيوية) إلى الكليتين لإفرازها إلى خارج الجسم، وهو الذي يحمل غاز ثاني أكسيد الكربون من الخلايا إلى الرئتين، لطرده خارج الجسم أثناء الزفير، كذلك فإنه ينقل الهرمونات من الغدد الصماء (سميت بذلك لأنه لا قناة لها، إذ تصب إفرازاتها في الدم مباشرة) إلى الأنسجة التي تعمل عليها هذه الهرمونات، وفوق كل ما تقدم فإنه ينقل الحرارة من الأجزاء الدافئة من الجسم إلى الأجزاء الباردة. ألا يستحق الدم بعد كل هذا أن يسمى سائل الحياة؟

هذا ويبدو الدم سائلاً متجانساً ولكنه في الحقيقة غير ذلك، إذ لو ترك واقفاً في أنبوب فإن ينفصل إلى شقين متميزين، أحدهما يرسب نحو القاع، والآخر يطفو على السطح، أما الراسب فيتكون من خلايا الدم المختلفة وهي تشكل حوالي (٤٥٪) من حجم الدم، وأما الشق الذي يطفو فهو البلازما. وهي سائل أصفر اللون يكون حوالي خمسة وخمسين في المائة من حجم الدم.

تكون الخلايا الحمراء:

يبدأ تكون جميع خلايا الدم، ومن بينها الخلايا الحمراء قبل أن يرى الإنسان نور الحياة، بل إن تكون الخلايا يبدأ مع تكون الجنين البشري في رحم أمه، فأثناء الشهر الأول من حياة الجنين في الرحم تتكون الخلايا الحمراء من خلية تعرف باسم (مولدة خلايا الدم) وتوجد في محفظة المخ التي يتغذى منها الجنين.

وفي الشهر الثاني من حياة الجنين داخل الرحم يقوم الكبد بدور رئيسي في تكوين خلايا الدم، وعلى رأسها الخلايا الحمراء، ومع حلول الشهر الخامس من الحياة في الرحم، يتسلم الطحال المسؤولية فيقوم بتكوين خلايا الدم، وفي الوقت نفسه (أي في الشهر الخامس) يبدأ نخاع العظام في الاستعداد للقيام بنفس المهمة.

وعند خروج المولود إلى نور الحياة يكون الطحال قد أعفي من مسؤولية تكوين خلايا الدم، ويحملها عنه نخاع العظام، ويعاونه في ذلك الكبد على نطاق محدود.

وفي البداية تكون الخلايا المولدة لخلايا الدم في مراكز نخاع العظام فقط، لكنها سرعان ما تنتشر لتشغل كل أماكن وجود النخاع في طول عظام الجسم، ويستمر نخاع العظام في النهوض بمسؤوليته تقريبا حتى سن السادسة عشرة إلى الثامنة عشرة.

ويبلوغ هذا العمر يكون معظم نخاع العظام قد اكتظ بالدهون وتناقص فيه عدد الخلايا النشطة للإنتاج، لذلك تقع المسؤولية على عاتق (نخاع العظام الأحمر) وحده، وهذا النخاع الأحمر موجود في العظام المسطحة مثل الجمجمة وعظمة القص (في وسط الصدر) والضلوع، وعظام العمود الفقري، وعظام الحوض، ويستمر النخاع الأحمر في إنتاج خلايا الدم إلى آخر عمر الإنسان، وإن كان النشاط الإنتاجي يتناقص مع التقدم في العمر.

لقد اكتشف مؤخرا أن تكون الخلايا الحمراء في نخاع العظام يخضع لتأثير مادة حاثة (منبهة) أطلق عليها (العامل الحاث لتكوين الخلايا الحمراء)

بقلم: د. عبدالرحمن عبداللطيف
النمر - مصر

ويعرف اختصاراً بالحروف (ESF)، ويتكون هذا العامل الحاث في الدم بتأثير أنزيم تفرزه الكليتان بصفة أساسية، وتزيد نسبة العامل الحاث في الجسم كلما تناقص عدد الخلايا الحمراء والعكس صحيح.

عدد الخلايا الحمراء:

عادة يقدر عدد أي نوع من خلايا الدم بالموجود منها في ملليمتر مكعب واحد (مم٣)، وفي هذا الحجم الضئيل الذي لا يزيد عن قطرة دم في حجم رأس دبوس الإبرة، توجد خمسة ملايين خلية حمراء (في المتوسط).

ويبدو أن الإنسان في عصر الملايين لا يدرك بسرعة كم هو كبير رقم خمسة ملايين، وتقريبا للأذهان فإن الإنسان إذا أخذ يعد الأرقام بمعدل رقم واحد كل ثانية واستمر يفعل ذلك ست عشرة ساعة متواصلة كل يوم فإنه يحتاج إلى ثلاثة شهور ليبلغ الرقم خمسة ملايين.

ولما كان الملليمتر المكعب

يساوي (ميكروليتر واحد) (الميكروليتر جزء من مليون جزء ينقسم إليها اللتر الواحد). فإن عدد الخلايا الحمراء في ليتر واحد من الدم يساوي خمسة ملايين مليون!

ويجب أن ننوه إلى أن لتر الدم الواحد لا يحتوي فحسب على هذا الحشد الهائل من الخلايا الحمراء بل يحتوي كذلك على خلايا الدم الأخرى، عدا عشرات المركبات الكيميائية الأخرى! فتبارك الله أحسن الخالقين.

خصائص الخلايا الحمراء:

الخلية الحمراء قرص مقعر من سطحين متقابلين، وفي الحقيقة فإنها لا تحتوي على نواة (١) في وسطها مثل باقي أنواع خلايا الجسم، وهذا هو السبب في أن بعض المراجع العلمية تشير إليها باسم (كريات الدم الحمراء) على اعتبار أن كلمة (خلية) تستوجب وجود (نواة).

وعلى الرغم من أن كلمة كرية، أدق من جهة التعبير العلمي من كلمة خلية، إلا أننا سنستمر في استخدام كلمة خلية، منعاً من التباس المعنى.

ونظرا لتناهي الخلية الحمراء في الصغر، فإن أبعادها (القطر والسمك) تقدر بوحدة قياس اسمها الميكرون. (Micron) والميكرون جزء من ألف جزء ينقسم إليها المليمتر الواحد، أو هو جزء من مليون جزء ينقسم إليها المتر الواحد ووفقاً لوحدة القياس المذكورة فإن قطر الخلية الحمراء يساوي (٧,٢ ميكرون)، أما سمكها فيساوي (٢,٢ ميكرون).

ولكي يسهل تصور حجم الخلية الحمراء ومدى صغرها، فإننا نعاود القول بأن قطرة دم لا يزيد حجمها عن حجم رأس دبوس الإبرة تحتوي على خمسة ملايين خليه حمراء!

وهذه الخلية الحمراء المتناهية في الصغر، تحتوي على الصبغ المعروف باسم (هيموجلوبين) hemoglobin الذي يعطيها اللون الأحمر، كما تحتوي على الأنزيم المعروف (نازع الهيدروجين من حامض الكربونيك) Carbonic anhydrase enzyme (كاربونيك انهيدريز) والعجيب بشأن الخلايا الحمراء أمران:

الأول: أن تقعر سطح الخلايا الحمراء يزيد من مساحة السطح الكلية أضعافاً كثيرة مما يخدم وظيفة الخلايا الرئيسة وهي نقل الغازات (الأكسجين، وثاني أكسيد الكربون) بين الرئتين وسائر خلايا الجسم، ويقدر أن مساحة سطح الخلايا الحمراء في جسم إنسان واحد، تساوي ٣٢٠٠ متر مربع! وهذه المساحة تساوي ألفا وخمسمائة ضعف مساحة سطح الجسم.

الثاني: أن الخلية الحمراء الواحدة تحوي مائتين وثمانين مليون جزيء (٢) من صبغ هيموجلوبين على وجه التقريب، أما كيف يمكن أن تسع خلية متناهية الصغر ذلك العدد الهائل من جزيئات مادة ما فهو إعجاز في الصنعة ليس له نظير.

وظيفة الخلايا الحمراء:

كلنا يتنفس وكلنا يدري أن التنفس ضرورة من ضروريات الحياة، فإذا انقطع التنفس لدقائق قليلة، انقطع معه حبل الحياة.

لكن لماذا كان التنفس ضرورة للحياة؟

الإجابة ببساطة أن خلايا الجسم تتنفس، إنها تحتاج إلى غاز الأكسجين (الموجود في الهواء) لكي تقوم بوظائفها الحيوية، وينتج عن هذه الوظائف الحيوية غاز ثاني أكسيد الكربون، وهذا الغاز عند تركيز معين يكون سماً للخلايا ويعوقها عن القيام بوظائفها لذا يلزم التخلص منه أولاً بأول.

وعن طريق التنفس، وهو عملية لا إرادية يتم تزويد خلايا الجسم بحاجتها، فمع كل شهيق (شهقة هواء إلى داخل الرئتين، وهي عضو التنفس) يصل الأكسجين إلى خلايا الجسم، ومع كل زفير (زفرة هواء الى خارج الجسم) يتم طرد ثاني اكسيد الكربون إلى خارج الجسم وغاز الأكسجين يذوب بمقادير قليلة في بلازما الدم ليكون محلولاً بسيطاً، ولكن هذا المقدار القليل يقصر كثيراً دون الوفاء بحاجة الجسم من غاز الأكسجين، وإذاً فلابد من وسيلة أخرى لنقل غاز الأكسجين بمقادير وفيرة إلى خلايا الجسم.

هنا يأتي دور الخلايا الحمراء، وقد أسلفنا القول بأن كل خلية حمراء تحوي مائتين وثمانين مليون جزء (MOLECULE) هيموجلوبين الذي يعرف كذلك باسم (اليحمور) أو (خضاب الدم) (HAEMOGLOBIN) وإن تعجب للبراعة في التصميم والبناء، فاعجب لتركيب هذا الصبغ العجيب داخل خلية متناهية الصغر! فالجزيء الواحد من الهيموجلوبين يتكون من شقين: شق اسمه (هيم) (Haem) وهوصبغ أحمر يعطي الخلايا الحمراء لونها المميز، وشق اسمه (جلوبين)(Globin) وهو بروتين.

وشق (هيم) يتكون من أربع وحدات، تحوي كل وحدة ذرة من الحديد (في صورته الثنائية) أما شق (جلوبين) فيتكون من أربع سلاسل من البروتين، اثنتان من هذه السلاسل تسمى (ألفا) تحوي كل منها مائة وواحداً وأربعين حامضاً أمينياً (amino acid) (الأحماض الأمينية هي الوحدات التي يتكسر إليها

بروتين الطعام، وهي الوحدات التي يبنى منها بروتين الجسم) وسميت (أمينية) لاحتوائها على مجموعة (أمين)(amin) الكيميائية NH2.

أما السلسلتان الأخريان من بروتين (جلوبين) فتسمى (بيتا) وتحوي كل منهما مائة وستة وأربعين حامضاً أمينياً، وتلتف كل سلستين على شكل حلقي لولبي (helix) وتوجد وحدة واحدة من وحدات الشق (هيم) في مركز كل سلسلة من سلاسل بروتين (جلوبين) في تناسق ليس يناظره تناسق.

وعند وصول الدم، وفيه الخلايا الحمراء، إلى الرئتين تتحد كل ذرة حديد في جزيء هيموجلوبين مع جزيء أكسجين، ولما كان جزيء هيموجلوبين محتوياً على أربع ذرات حديد فإنه يحمل أربع جزيئات أكسجين، ولما كانت الخلية الحمراء الواحدة محتوية على قرابة ثلاثمائة مليون جزيء هيموجلوبين فإنها تحمل حوالي ألفاً ومائتي مليون جزيء أكسجين. ترى كم يكون عدد جزيئات الأكسجين التي تحملها كرات الدم الحمراء الموجودة في ملليمتر مكعب واحد؟ وكم يكون عدد جزيئات الأكسجين التي يحملها الدم كله؟

يحدث هذا كله دون شعور من الإنسان ودون إرادة منه، ويتكرر هذا الصنيع الطيب من الخلايا الحمراء عشرين مرة في الدقيقة الواحدة (هي عدد مرات التنفس) وفي كل ساعة وكل يوم من أيام عمرالإنسان.

فهل هناك إحكام في الصنعة، يناظر هذا الإحكام؟

على أن قصة الإبداع في صنعة خلايا الدم الحمراء لم تتم فصولها بعد، فالهيموجلوبين الذي (تشبع) بالأكسجين في الرئتين فيما يسمى عملية (أكسجة) (oxygenation) (٣) سرعان ما يعطي الغاز إلى خلايا الجسم بمجرد وصوله الى الشعيرات الدموية (٤) وهي النهايات الدقيقة للأوعية الدموية، ويبقى أن تحمل الخلايا الحمراء غاز ثاني أكسيد الكربون من الخلايا إلى الرئتين لطرده خارج الجسم وهنا يتطوع الهيموجلوبين مرة ثانية للقيام بدور نشط فيعمل حوالي عشرين في المائة من ثاني أكسيد الكربون الموجود في الخلايا بعد ارتباط الغاز بشق البروتين (جلوبين) مكوناً المركب المسمى (كاربامينوهيموجلوبين)(carba minohaemoglobin).

وهناك عشرة في المائة من ثاني أكسيد الكربون تذوب في بلازما الدم لتكوين محلول بسيط. وعلى الرغم من هذا النشاط يبقى حوالي سبعين في المائة من ثاني أكسيد الكربون في الخلايا.

وحيث إن الدم القادم من القلب إلى الشعيرات الدموية يبقى فيها مدة ثانية واحدة قبل أن يغادرها من جديد عائدا إلى القلب فيجب أن يتم نقل المتبقي من ثاني أكسيد الكربون في الخلايا على جناح السرعة. وهنا يتجلى جانب آخر من جوانب الإبداع والإعجاز في الصنعة، فكل خلية دم حمراء تحوي الأنزيم المسمى (كاربونيك انهيدريز) وهذا الأنزيم يساعد التفاعل المؤدي إلى تكوين (حامض الكربونيك) من اتحاد الماء مع ثاني أكسيد الكربون، هكذا:

ماء كاربونيك ثاني أكسيد الكربون + انهيدريز حامض الكربونيك

ومصدر الماء في هذا التفاعل هو الدم، فالماء يكون حوالي تسعين في المائة من البلازما (بالوزن) وحامض الكربونيك الناتج من هذا التفاعل حامض ضعيف سرعان ما يتحلل إلى أيونات بيكربونات وهيدروجين (الأيون ion هو ذرة أو مجموعة من الذرات تحمل شحنة كهربائية، وتكون عنصراً في محلول). وتدخل الأيونات الناتجة، وهي بيكربونات وهيدروجين، في عمليات كيميائية حيوية في الجسم، تعرف باسم (توازن الحامض القوي) (acid-base balance).

بقي أن نقول: إن ثاني أكسيد الكربون يمكن أن يتحد مع الماء في ظروف عادية لتكون حامض الكربونيك، ولكن مثل هذا التفاعل يتم في بطء شديد، أما أنزيم (كاربونيك انهيدريز) فيزيد من سرعة التفاعل خمسة آلاف ضعف، وبذلك تتمكن خلايا الدم الحمراء من تخليص خلايا الجسم من ثاني اكسيد الكربون في ذلك الزمن الوجيز: ثانية واحدة.

دورة الحياة:

تعيش خلية الدم الحمراء ما بين ثمانين إلى مائة وعشرين يوماً تؤدي خلالها عملها في أمانة مطلقة دون كلل أو فتور، وعندما تهرم الخلية الحمراء ويحين أجلها تقوم بتكسيرها خلية أخرى أسمها (الخلية الملتهبة) (macrophage) والخلية الملتهبة خلية كبيرة تلتهم الخلية الحمراء الهرمة وغيرها من الخلايا، وهي تتبع (الجهاز الهادم. الباني) (reticulo-endothelia system) الذي يعتبر (الطحال) أهم أعضائه.

ما بين اثنين إلى عشرة ملايين خلية دم حمراء يتم تكسيرها بواسطة خلايا الدم الهادم الباني كل ثانية. وعلى الرغم من ذلك يبقى عدد الخلايا الحمراء في الدم ثابتاً وحتى عند تكسيرها خلايا الدم الحمراء فليس هناك بعثرة للموارد بل يستفيد الجسم من عناصر كل خلية، لتكوين خلايا ومركبات جديدة، في أعجب نظام للاقتصاد، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

الحواشي

١- النواة: nucleus جسم مستدير الشكل غالبا، يكون في وسط الخلية، ويتكون من البروتوبلازم protoplasm.

البروتوبلازم: كلمة من أصل إغريقي معناها: أول المتكون.

٢- الجزيء: molecule تجمع لعدد قليل من الذرات، يشكل أصغر وحدة من وحدات مركب ما، يمكن أن يظهر فيها جميع الصفات المميزة لذلك المركب.

٣- الأكسجة: oxygenation تشبع بالأكسجين أو اتحاد غير دائم معه، وهي غير الأكسدة oxidation التي هي اتحاد ثابت مع الأكسجين.

٤- الشعيرات الدموية: blood capillaries تفرعات دقيقة تشبه الشعر في نهايات الشرايين وبدايات الأوردة، تسمح جدرانها الرقيقة بتبادل الغازات، ومواد أخرى بين الدم وخلايا الجسم.

البيت المسلم

هذا ما أوصلتهم إليه تشريعاتهم الإباحية 80

الخرس الزوجي

72

علامات الطريق 79

74
كيف نتجنب عصبية الطفل؟

أطفالنا والتربية النفسية 76

هل طفلك مبدع؟ 68

شكراً .. صديقتي الوفية 71

هل طفلك مبدع؟

بقلم: أحمد أبو الدهب محمود - مصر

إن الإبداع والإبتكار هما دليل على وجود الموهبة الفعلية لدى الشخص، وتؤكد الدراسات التي أجريت على الموهوبين في مجالات عديدة أن أي عمل ممتاز فيه ابتكار لابد أن يكون صاحبه على مستوى عال من القدرة العقلية، ومن المعتقد أن هناك دافعاً داخلياً قوياً يؤثر تأثيراً شديداً في التوجيه للوصول بالعمل إلى مستوى الكمال، ولابد أن نأخذ في الاعتبار بعض الصفات والشروط التي تؤثر في العمل وقد يقال إن وجود ذكاء مرتفع ومهارات خاصة ليس أساساً للابتكار فقد يفشل عدد من الموهبين في التعرف على كامل طاقاتهم واستغلالها.

ولإنتاج عمل مبتكر لابد وأن تصحبه إثارة الفرد ودفعه لاستغلال قدراته ومواهبه، وعليه أن يبذل جهده للوفاء بواجبه نحو مجتمعه ويشارك في الصالح العام أكثر من غيره من العاديين، وسمات الشخصية هي خصال الأفراد التي نستنتجها من سلوكهم، تتسم بالدوام النسبي ويشترك في الاتصاف بها مختلف الأفراد بدرجات متفاوتة، وغالباً ما يعجز العلماء والمخترعون والفنانون والمبدعون عن وصف العمليات الذهنية والفكرية التي قادتهم إلى أعمالهم الإبداعية.

ومع ذلك فقد حاول العلماء معرفة السمات والخصائص والقدرات التي يتمتع بها المبدع سواء في مجال الفن أو الأداء أو العلوم الطبيعية أو اتخاذ القرار، على أن المبدع هو إنسان مثل باقي البشر إلا أن الله قد حباه ببعض الصفات التي ينفرد بها عن سائر البشر.

وقد قدم عالم النفس الشهير تيلور العام ١٩٦١ وصفاً للشخص المبتكر، وهو يفرق منذ البداية بين الشخص المبتكر وبين الموهوب عقلياً... وقد صنف تيلور السمات التي يتميز بها المبتكر في الفئات التالية:

١- سمات عقلية
٢- سمات الدافعية
٣- سمات الشخصية

هذا وكانت هناك أسباب تدفع الباحثين إلى الاهتمام بدراسة شخصية المبتكر، ولعل من أوائل هذه الأسباب هو إدراك المهتمين بهذه الظاهرة أن الإنتاج الابتكاري أمر لا يتوقف فقط على عملية التفكير الابتكاري، فنحن بصدد ظاهرة متعددة الجوانب ينتج عنها تقديم ناتج يختلف عما هو معروف لدى الناس.

وتقديم الجديد عمل يتطلب نوعا معينا من التفكير ويحتاج مثل هذا العمل الى أسلوب معين في الإدارك وحساسية خاصة بنواحي القصور والضعف فيما يوجد لدينا من ثقافة، ثم هو يحتاج في ذات الوقت إلى عمل جاد وشاق ومستمر، ثم هو يحتاج

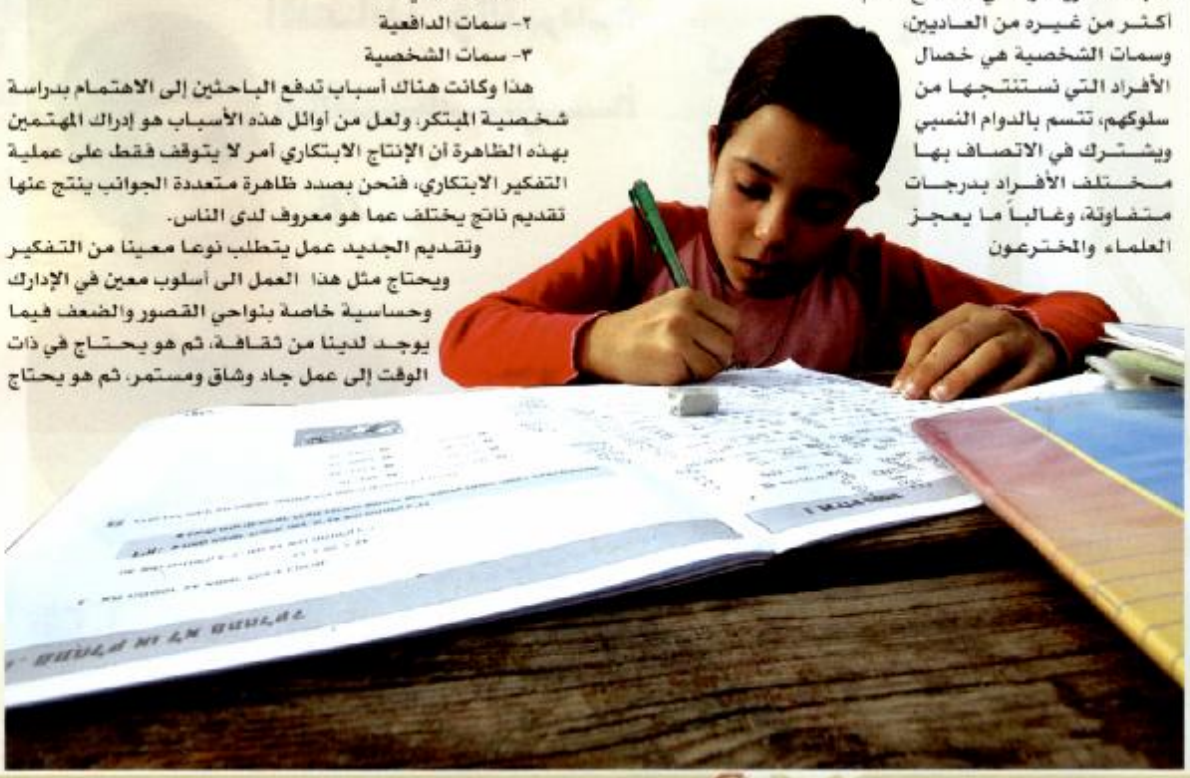

الى أسلوب معين في التعبير عما ينتهي إليه المفكر، وذلك جميعاً بالإضافة إلى قدرة على التفكير بأسلوب معين، ومثل هذا العمل لا يستطيع أن يقوم به الفرد من دون أن تتوافر في شخصيته صفات معينة.

وعلى الرغم من وجود فروق طفيفة في الشخصية بين العاملين في المجالات المختلفة من علم وأدب وفن فإن الشخصية الابتكارية في أي مجال من المجالات تتميز بالسمات الآتية:

تبدو هناك علاقة بين الذكاء والتفوق العقلي الذي يتمتع به المبتكرون وبين الابتكار من ناحية أخرى، مما استدعى العلماء إلى استخدام كلمة عبقرية أو عبقري للدلالة على التفاوت في المستويات.

• السمات العقلية للمبتكرين:

إن المبتكر لابد أن تتوافر فيه مجموعة القدرات العقلية العادية مثل القدرة التذكرية، القدرات التقويمية، عناصر الإنتاج التباعدي مثل الأصالة والمرونة والحساسية للمشكلات.

وسنرى هذا الجانب «السمات العقلية» بنوع من التفصيل عن باقي الجوانب الأخرى لأنه يتعلق بمكونات التفكير الابتكاري التي سيتناولها البحث بعد ذلك.

١- الحساسية للمشكلات: إن قدرة الباحث أو المبتكر على أن يحس بالمشكلات إحساساً مرهفاً فيتعرف على مواطن الضعف أو الأخطاء، ويدرك نواحي النقص والقصور، ويعي الثغرات أو المشكلات أو الفجوات القائمة تعتبر من أهم سمات التفكير الابتكاري.

فالشخص المبتكر قادر على أن يرى من المشكلات ما لا يراه غيره من الناس فهو يرى الفوضى فيما يراه الآخرون نظاماً، ويرى في موقف ما مشكلة، بينما يرى الآخرون نفس هذا الموقف واضحاً، ولا يدعو إلى التساؤل، وهكذا يختلف الناس فيما بينهم في حساسيتهم للمشكلات وفي مدى وعمق ما يدركون، وإذا ما أدرك المبتكر ذلك فإن احتمال الابتكار سوف يزداد.

٢- المعرفة: ينبغي على المبتكر أن يكون حاصلاً على ثقافة واسعة ليس فقط في ميدان بحثه، بل أيضا في الميادين الأخرى المتصلة أو غير المتصلة بالبحث.

- ويجب على الباحث أن يلم بكل ما كتب عن موضوع بحثه، لأن هذه المعرفة هي التي سيبني على أساسها المعرفة الجديدة التي سيقدمها، وكذلك عليه أن يلم بالقوانين والنظريات التي توصل إليها العلم في مجال تخصصه وعليه أن يتزود باللغات سواء حديثة أم قديمة حتى يأخذ منها العلم على أصله، ويدرك ما أراد أصحابها أن يقدموا للبشرية.

٣- النقد: لاحظ «لارون» أن المبتكرين يتمتعون بقدرة على النقد البناء، غير أنهم لا يصلحون كرجال أعمال، والنقد هو فن دراسة ما تحت يد المبتكر من مادة علمية أو نظرية أو مشكلة فينقدها ليختبرها، ويدرك كيف يراها ويصفها ليميز جيدها عن رديئها.

ويقال نقد النثر ونقد الشعر أي أظهر ما فيها من عيب أو حسن.

٤- التذكر:

يعرف التذكر بأنه العملية العقلية التي تمكن الفرد من استرجاع ما تعلمه سابقاً أو التعرف عليه، وهكذا تصبح عملية التذكر عملية ارتباطية لإنها تصل الماضي بالحاضر، ويتطلب الابتكار قوة ذاكرة المبتكر إلى المدى الذي يمكنها من الاحتفاظ بتلك الكميات الكبيرة من المعلومات بحيث إذا احتفظ به المبتكر فإنه سوف يعاود الظهور بسرعة يبدو معها كما لو أن ما استظهر يسترجع بصورة تلقائية.

٥- القدرة على التركيز: وهي ضرورة ملحة ينبغي توافرها للمبتكر، فقد ذكر «فرتهيمر» أن «أنشتاين» ظل معنيا بمشكلته العملية الرئيسية لمدة سبع سنوات.

٦- التحليل: وهي القدرة على تفتيت المركبات إلى عناصرها الأولية أي عزل هذه العناصر بعضها عن بعض وتفسير ذلك أننا لا نسمي موضوعاً ما مشكلة إلا إذا كان أمراً معقدا مؤلفا من أجزاء

بعضها غامض ملتبس في البعض الآخر، وأول ما ينبغي عمله هو تحليل المادة المجمعة، أي تقسيم المشكلة في موضوع الدراسة، إلى مجموعة متغيرات أو عناصر أو قضايا أكثر بساطة.

والتحليل نوعان: تحليل عقلي، تحليل تجريبي

٧- التركيب «التأليف Synthesis وهي القدرة على تنظيم الأجزاء التي سبق أن حللناها أي تنظيمها في كل، ما ينجم عنه نسق منظم من الأفكار يبدو في صورة إنتاج كل من أجزاء لم تكن من قبل منتظمة بالطريقة التي انتظمت بها أخيراً.

٨- التجريد: هو التصورات والاتجاهات التي تعمل على تقوية القدرة على توليد الحلول وإثارة وجهات نظر جديدة للمشكلة، ويختلف هذا الأسلوب عن الأسلوب العياني المحسوس.

فالشخص ذو الأسلوب العياني يعجز عن تجريد المثل والاتجاهات من الواقع الجزئي الذي تكونت من خلاله، وقد وجد أيضا أن ذوي الأساليب العيانية يميلون إلى التراخي في البحث عن المعلومات الكافية والملائمة مما يحول دون نشوء التصورات والاتجاهات الإبداعية وهكذا فإن الأساليب الاعتقادية المجردة هي من أكثر أساليب الاعتقاد لدى المبدعين شيوعاً.

٩- الطلاقة: الطلاقة هي القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار خلال وحدة زمنية معينة، ويرتبط التفكير في الابتكار ارتباطاً كبيراً، فالمبتكر يتمتع بدرجة كبيرة مرتفعة من سيولة الأفكار وتوليدها.

وتتخذ الطلاقة أشكالاً متعددة هي:

١- الطلاقة الفكرية
٢- الطلاقة اللفظية
٣-الطلاقة التصنيفية
٤-الطلاقة الارتباطية
٥-الطلاقة التعبيرية
٦-الارتباط المتشعب.

١٠- المرونة: وهي الاتجاه المرن نحو حل المشكلات، بمعنى القدرة على تغيير التفكير أو الحالة النفسية أو العقلية أو الذهنية وسهولة تحويل المعلومات، أو سيولة المعلومات المختزنة في ذاكرة المبتكر، والمرونة هي عكس التصلب العقلي، الذي يتجه الفرد بمقتضاه إلى تبني أنماط فكرية محدودة يواجه بها مواقف الحياة مهما تنوعت واختلفت، وترتبط المرونة بالإبداع ارتباطاً وثيقاً، وهي تتوقف على مدى مرونة شخصية المبتكر وقدرته على الجمع بين المتضادات أو السمات المتعارضة.

١١- الأصالة: كثيرا ما ينظر إلى الأصالة على أنها مرادف للإبداع، أو انها مفتاح إساسي له والأصالة هي القدرة على تفرد الإجابة أو العمل على استنباط ما هو جديد أو نادر أو إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار غير الشائعة، أو اكتشاف الارتباطات البعيدة للمواقف المثيرة.

ويحكم على الفكرة بالأصالة في ضوء خضوعها للأفكار الشائعة وخروجها عن التقليد وتميزها.

ومن جانب آخر لخص بعضهم صفات الشخص صاحب التفكير الابتكاري بأنه:

١- يقدم أفكاراً جديدة أو أصيلة
٢- يقول ما يقدر دون اعتبار للنتائج
٣- يستطيع تقديم احتمالات لا نهاية لها لمختلف المواقف أو استعمالات الأشياء
٤- مفكر نابغ، ولكنه لا يعبأ كثيراً بالتفاصيل، أو المكان أو الزمان
٥-يهتم بشغف بموضوع أو مجال يحتاج إلى جهد شاق.
٦- قد تكون لديه موهبة في مجال الفنون.
٧- لديه طلاقة في إنتاج الأفكار والحدس الباطني.
٨- قادر على تفصيل الأفكار وتوضيحها.
٩- يميل إلى التجريب من خلال الأفكار والحدس الباطني.
١٠- ذو خيال واسع، كثيراً ما يستغرق في أحلام اليقظة.
١١- يفضل الأمور غير المألوفة سواء في المظهر أو الأفكار وغير ذلك.
١٢- قد يحصل على درجات في الاختبارت المقننة تفوق كثيراً مستوى أدائه في الفصل.

● السمات الشخصية والانفعالية: ذكر التربويون أن من بين الصفات الشخصية التي يتميز بها المبتكر: الاستقلال وحب المخاطرة، الانبساط، المرونة وعدم التصلب إلا أنه لا يعطي بعض الملامح العامة التي يتميز بها المبتكرون، وهناك الكثير من العلماء من يتفق معه في هذا التصنيف.

وحدد التربويون خصائص الشخص المبدع فيما يلي:

١- الجرأة في التعبير عما يعتنقه من أفكار أو مبادئ
٢- الجدية
٣- فهم الأمور جيداً قبل القيام بأدائها
٤- متفائل وذو خيال واسع.
٥- لديه استعداد لتحمل المسؤولية
٦- يستخدم بديهته في تناول الأمور
٧- غير مستعد لتقبل الأشياء من أجل شيوعها.

شكراً.. صديقتي الوفية

شعر أ. د. عبدالمنعم عبدالله
حسن - مصر

شكراً.. أخذت إلى الهدى بيميني
وأعدتني لعقيدتي ويقيني
إني غفوت عن الهداية برهة
حتى لقيتك بعد طول سنين
عشنا معاً زمن البراءة تحتسي
من نبعها في فترة التكوين
ثم افترقنا.. والدروب تشعبت
ومسيرة الأيام كم تطويني
وإذا ذكرتك مرة بغمارها
أجد الليالي بعدها تنسيني
وأعود لليوم الذي أحيا به
والمغريات تألقت بعيوني
أبدى لكل الناظرين مفاتني
ومباهج الأيام تستهويني
ثوبي .. يشفُّ، مقصّر، ومضيّق
والشعْر أرسله بكل فنون
أما الخمار.. فلستُ أعرف لبسه
وأراه خلف حجابه يخفيني
وزخارف الدنيا تقود مسيرتي
وبكل زيفٍ بارق تغريني
أهلمتُ شيئاً من صلاتي غفلة
واللهو عن درب الهدى يعميني
حتى رأيتك، فاستعدتُ طفولتي
ولطهرها قد فاض كل حنيني
وعليك من حلل الهداية والتقى
ما فاق كل وسائل التزيين
قد غرتُ من ألق الهداية والرضا
وعفاف حُسن طاهر مكنون
وعجبتُ من طيشي ومن سفهي ومن
هذا السلوك الشائن المجنون
وخجلتُ من نفسي.. وددتُ لو أنني
أصبحت مثلك والهدى يحويني
فضممتني في صدرك الحاني الذي
أفرغتَ فيه تحسري وشجوني
وشعرتُ فيه براحة وسكينة
ورضا عميق بالغ وسكون
وهمست في أذني بنصح نافع
ينساب عبر مشاعري.. يرويني
ناديت: حي على الفلاح.. فأشرقتْ
في خاطري أنوارها تهديني
ورجعتُ ألقى في ضميري صيحة
دوّتْ بنبضي.. للهوى تدعوني
الله أكبر.. قد أراد لي الهدى
الله أكبر بالتقى يحميني
حمداً لربي ادركتني رحمة
من عفوه ورضا الإله يقيني
قد هيّأ الأسباب منه تكرّماً
فأتيتني في يومي الميمون
قد كنتِ لي سبب النجاة صديقتي
والله خير موفق ومُعين
شكراً.. صديقتي الوفية .. إنما
أسعدتِ نبض فؤادي المحزون
وأخذتِ يا أختي بيدي إلى العلا
فسموتُ أرقى .. والهدى يُعليني
والله يجزي من يدلّ على الهدى
خيراً، ويدعو مخلصاً للدين

الخرس الزوجي

بقلم/ د. خالد سعد النجار - مصر

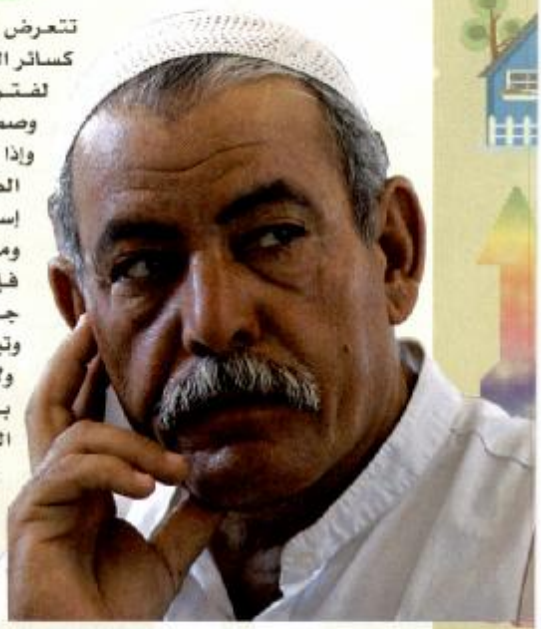

تتعرض الحياة الزوجية كسائر العلاقات الأخرى لفترات فتور وبرود وصمت بين الزوجين، وإذا لم يتنبه أحد الطرفين ويحاول إسعاف الوضع ومعالجة الخلل، فإن النتيجة هي جفاف عاطفي وتباعد وجداني، ولا نبالغ لو قلنا بأن (الخرس الزوجي) قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى طلاق روحي بين الزوجين!!! وإن استمرا في العيش معا.. فنجد كلا من الزوج والزوجة يعيشان تحت سقف واحد ولكنهما منفصلان معنويا. وقد تزداد الفرقة إلى حد استعمال الأبناء كسفراء دائمين أو متجولين بينهما.

حين يذكر الخرس الزوجي يتبادر إلى الذهن الكثير من المعاني السلبية مثل فتور المشاعر والملل والإهمال، وغيرها، ويغيب الجانب الآخر لهذا الصمت وهو الجانب الذي لا يحمل هذه الرؤية التشاؤمية، لذلك يمكن أن نقسم أسباب ودوافع الصمت الزوجي إلى قسمين.

• أسباب ودوافع إيجابية:

١- معرفة كل طرف لرأي الآخر في كثير من الأمور نظرا لطول العشرة.

٢- النضج العقلي والعاطفي لكلا الطرفين بحيث تستخدم كلمات قليلة في الحوار بينهما ولكنها تحمل معاني ومدلولات ومشاعر أكثر عمقا وثراء.

٣- نمو العديد من وسائل التواصل غير اللفظي مثل النظرة الودود أو الابتسامة الحانية أو اللمسة الرقيقة أو الحضن الدافيء أو نظرة العتاب.... إلخ.

٤- الاقتراب العاطفي والروحي بين الزوجين لدرجة لم تعد تحتاج إلى تأكيدات لفظية.

٥- الاقتراب لدرجة التوحد بينهما وبالتالي فمن المنطقي أن لا يحتاج الإنسان أن يكلم نفسه بصوت مسموع.

• أسباب ودوافع سلبية:

١- فتور المشاعر الذي قد يكون موقتا أو مزمنا حيث تنطفيء جذوة الحب وتصبح المشاعر باردة باهتة.

٢- فراغ العقل لأحد الطرفين أو كليهما بحيث لا يجد (أو لا يجدا) مادة متاحة للحديث.

٣- عدم القدرة على التعبير عن المشاعر سواء بوسائل لفظية أو غير لفظية، أو التعبير بلغة غير مفهومة.

٤- الملل.

٥- عدم وجود مساحات مشتركة للاهتمام.

٦- تصور الرجل للمرأة بأنها في مستوى أدنى وبالتالي لا يجد مبررا للتحاور معها فهو يريدها لخدمته (أو متعته) وقتما يريد فقط.

٧- العدوان السلبي لدى أحد الطرفين أو كليهما مما يؤدي إلى مايسمى «صمت العناد والتجاهل».

٨- وجود حالة اكتئاب لدى أحد الطرفين، والاكتئاب يجعل الشخص غير راغب في الحديث أو التواصل مع الآخرين بأي شكل وحين يشعر أحد الطرفين أن صمت الطرف الآخر يزعجه أو يؤرقه عليه أن يصارحه بذلك ليعرف معنى ودوافع صمته فربما تكون إيجابية أو سلبية وفي الحالين يتم النقاش والتحاور للوصول إلى صيغة تفاهم تعيد سريان معاني المودة والرحمة بين الطرفين لكي ترتوي منهما العلاقة الزوجية وتستمر ويستمر معها السكن والأمن والطمأنينة.

إن الزوجين اللذين يفتقدان لغة الحوار بينهما هما في الحقيقة غريبان في بيت واحد يجهلان عن بعضهما أكثر مما يعرفان بكثير، وإذا كان المثل الحكيم يقول: تكلم حتى أراك فإننا نقول: تكلم حتى يشعر بك شريكك، وتشعر به، إن حاجتنا شديدة وماسة لتعلم فنون الكلام، وحاجتنا أكثر ربما لتعلم فن الإصغاء، وحتى تنجح عملية الحوار بين الزوجين علينا أن نصحح المفاهيم

الخاطئة أولاً ثم نتعلم تقنية الحوار:

• تصحيح المفاهيم:

- أن لا تضغط المرأة على زوجها ليتكلم، أن لا تصبح دائمة الشكوى من أنه لا يكلمها؛ أن لا تسيء تفسير موقفه من عدم الكلام، أن تتقبل صمته.

- أن يتفهم الزوج حاجة الزوجة للكلام والشكوى، ويفهم حاجتها لأذن صاغية، أن يعرف كيف يستمع لها دون أن يعطي الحلول.

- الصراحة التامة والمناقشة الهادئة الموضوعية.

- احترام رغبات وخصوصيات الطرف الآخر.

- عدم التصريح بالنقض وإظهار العيوب أثناء الحديث.

- الامتداح والتقدير واستخدام الدعم العاطفي المتبادل أثناء الحديث.

- أن يتفهم الطرفان طريقة استخدام اللغة الخاصة بكل منهما، وأن يفهم ما يقصده الطرف الآخر بمنظار المتكلم.

- عدم المقاطعة والسخرية أو الاستهزاء أو استخدام عبارات الشتم واللوم أثناء الحديث.

- عندما يتحول الحوار إلى شجار، الأفضل إنهاؤه والاتفاق على موعد لاحق للمناقشة.

- غير مكانك.. إذا لم يهدأ الغضب.. حاول أن تبتعد عن مكان النقاش حتى تهدأ الأمور ثم ليقبل أحدهما إلى الآخر وليقبل رأسه.

- عدم الاستعلاء أثناء الحديث وإبراز تقصير الآخر أو ضعف الآخر في النقاش أو الحوار.

• تقنية الحوار الناجح: ماذا تستعمل في الحوار؟ الأذن، اللسان، النظر، حركة اليدين، نبرة الصوت، اللمس، السكوت، مكان الحوار... لذلك عندما نتحاور علينا أن ننظر بشمولية للمتحدث.. أن نصغي إليه ليس لحديثه فقط إنما نصغي للغة جسده، وإن حسن اختيار المكان للحوار والزمان لهما الأثر الكبير في تحقيق الانسجام بين الزوجين.

• كيف ينجح الحوار؟

١- الإصغاء، للمتكلم.

٢- تقبل كل ما يطرحه الآخر من دون تعليق على ذلك.

٣- اطرح سؤالا مناسباً للإطلاع على كل الجوانب.

٤- ابتعد عن استعمال «أنا» واستبدلها بـ «نحن».

٥- تأكد من أن الطرف الآخر استطاع أن يعبر عن كل ما يعانيه بصراحة وحرية.

٦- استخدم جمل المتكلم نفسها للتأكد من فهم قصده أو للاستفسار عن ما يعنيه.

٧- لا تستعمل تعابير تدل على انعكاسات ذاتية لما تراه أنت مناسبا من الطروحات.

٨- لا تسع لتحقيق أهدافك أنت أو ما ترضاه أنت.

٩- إذا أصر الآخر على موقفه حاول أن تتفهم دوافعه وبين له إيجابية وسلبية قراراته.

١٠- اكسب دعمه لا تأمره، امنحه التقدير والثناء والعاطفة.

١١- لا تعط رأيك أو النصيحة إلا إذا سئلت وبعد أن تستوفي كل الجوانب.

١٢- أفضل نتائج للحوار هو أن يستنبط الطرف الآخر النتيجة المستحبة من ذاته من دون أن تفرض عليه فرضاً.

وتوجد وسائل كثيرة لتعلم فن الحوار مثل: قراءة كتب مختصة بذلك، حضور الدورات التدريبية، الحلقات الحوارية.. وليس المهم فقط أن نتعلمه بل الأهم أن نمارسه ونصحح أخطاءنا في ذلك، ولا يلق أحد اللوم على التربية؛ من دون أن يتغير؛ فهذا أنا! فإن أردت أن يتغير وضعك أو أن يتغير الطرف الآخر فابدأ أنت بنفسك أولاً، فاقاقد الشيء لا يعطيه.

إن فعل الكلام علامة على التواصل، بينما عدمه دليل على الانقطاع، والتواصل يشمل كل أشكاله سواء كان فكريا أو روحيا. كما أن الحوار - حتى الصاخب - علامة من علامات الحياة؛ حياة العلاقة، ودفئها، وتدفقها، ومعناه أن الشريك يأنس بشريكه، ويهتم بأمره- ولو شغباً أو اعتراضاً، ويحب الحديث معه، يتبادلان الضحكات أو الآراء، أو حتى الاتهامات ثم يصفو الجو أو يتكدر فيتجدد الحب حين يتحرك تيار التواصل، أما الصمت حين يسود يقتل الحب ومن ثم يفنى التفاهم وتنهار الحياة الزوجية.

كيف نتجنب عصبية الطفل؟

بقلم: د محمد محمد عيسوي الفيومي- مصر

إن أبناءنا فلذات أكبادنا وأمل المستقبل، ولاشك أننا نريد لهم حياة سعيدة مستقرة، آمنة خالية من التوتر والقلق والصراع ويستدعى ذلك من الآباء والمربين توفير العناية اللازمة لهم، وخصوصا في مراحل النبت الأولى، حيث يرى علماء النفس أن السنوات الأولى في حياة الطفل هي التي تحدد سمات شخصيته وتشكيل أسلوبه في مواجهة مشوار حياته الطويل وتحدد مدى قدرته على مواجهة مختلف المواقف.

بعض عوامل الانفعال:

إذ يكتسب الطفل بعض العادات المفضلة وبعضها غير المفضل كسرعة الغضب والثورة ويصبح حاد الانفعال عصبي المزاج، والعصبية حالة جسدية ونفسية ثائرة يضطرب لها الإنسان كله جسميا ونفسيا وعصبيا، ويحدث الانفعال والعصبية في جميع الأعمار عندما يحدث للفرد تغيير في حياته في السنة الأولى عند الفطام، وعند مجيء مولود جديد في الأسرة، وعند الانتقال من حياة الحضانة المنزلية إلى المدرسة وعند دور المراهقة والبلوغ وفي سن اليأس.

مراعاة الفروق الفردية:

ويختلف الموقف المثير للغضب والعصبية من فرد لآخر وكذلك تختلف أساليب التعبير عنه وإن كانت بعض الدراسات تؤكد أن البنين أكثر ميلا للغضب من البنات وقد يكون الانفعال ضرورة حتمية في بعض الأحيان عندما يسلب حق من الحقوق وفي هذه الحالة قد يكون أمراً طبيعيا أما إذا اتجه اتجاها

هداما فينبغي سرعة علاجه، ولا سيما أن الإسلام اهتم بتربية النفوس على الصبر وتقوية الإرادة ليتغلب الفرد على الصعاب ويتجلى ذلك في فريضة الصيام، حتى لا يشوه انفعال الفرد وعصبيته إدراكه للأمور فيقع في الأخطاء عملا بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ «الحجرات- ٦»، والرسول ﷺ نهى عن الغضب لأضراره الجسيمة بالفرد والمجتمع.

أسباب الانفعال والعصبية الحادة لدى الأطفال:

قد يرجع سبب الانفعال عند الطفل إلى حالة الجسم لأن أي نقص في الجسم يؤدي إلى سرعة الغضب أو الشعور بفقدان الأمن والحنان وعدم استقرار المناخ المنزلي وشجار الوالدين الدائم أمام الطفل فتهتز ثقة الطفل بالجو المنزلي وقد ينحاز الطفل إلى أحد الوالدين ضد الآخر مما يجعله ناقما على الجو المنزلي كله وتنتقل معه هذه النقمة إلى المجتمع الخارجي وقد يرجع سبب سرعة الغضب إلى التقليد حيث يشاهد الطفل ثورة الوالدين لأتفه الأسباب، وقد يرجع السبب إلى المعاملة غير الحكيمة من قبل الآباء أو إلى درجة حرارة الجو حيث أكدت بعض الدراسات أن أطفال المناطق الحارة أكثر ميلا للثورة والغضب من أطفال المناطق الباردة وقد يكون السبب هو تأخر التلميذ في دراسته أو إخفاقه في التقرب من والديه أو معلميه أو نتيجة لمناخ الكبت في المدرسة فيثور الطفل عند العودة إلى المنزل، ويصبح كثير المطالب قليل الصبر كثير النقد شديد التدقيق لغير سبب جوهري، وقد يرجع السبب إلى شعوره بالغيرة نتيجة قدوم مولود جديد للأسرة ويخشى أن ينتزع منه الوافد الجديد اهتمام الآباء أو أن السلطة المحيطة بالطفل تحابي غيره، أو في حالة تعدد السلطات كالأب والأم، والجد والخالات والأخوات الأكبر سنا ومن الطبيعي أن وجود أخوة كثيرين في منزل واحد ربما تسبب في إحداث شقاق بينهم لأسباب عديدة، وخصوصا إذا أراد الأخ الأكبر أن يفرض سلطته على الأصغر فيهيج.

ينبغي عدم التفرقة في معاملة الأبناء:

وقد يكون الابن الأصغر معززا من الوالدين أو أن الآباء يميلون إلى بعض الأبناء من دون الآخرين ويكون مدللاً منهم مما يخلق جو صراع، وقد يفضل بعض الآباء البنين على البنات بحجة أنه ذكر لأربع إناث أو أكثر أو العكس فتكون بنت لأربع ذكور مما يجعل الآخرين يثورون، وقد يرجع سبب الغضب عند الطفل إلى تقييد حرية الحركة الجسمية أو

اللعب الحر، أو تقيد حرية التعبير عن الرأي أو تقيد إثبات الذات وخصوصا عند المراهقين والكبار وقد يستغل الطفل الغضب كسلاح لتحقيق أغراضه فإذا طلب من أمه شيئاً ولم تجبه ولجأ إلى الغضب والصراخ وتحقق له طلبه فإنه بذلك يلجأ إلى الصراخ وخصوصا إذا شعر بضعف السلطة، وبذلك يمارس بعض الأطفال هذا السلوك مع الأم إذا استشعر منها الضعف بينما لا يمارسه مع والده.

ينبغي المرونة في المعاملة:

يلجأ الطفل إلى الغضب إذا كانت السلطة شديدة، في حضور أحد أقارب الأسرة لأنه يضمن في هذه الحالة شفيعاً له وقد يصل الأمر إلى التظاهر حيث يجتمع أفراد الأسرة جميعا حوله وكل منهم يحاول أن يقدم مساعدة له، ويظهر الكل خوفه وقلقه عليه وغالبا ما يكون ذلك في حالة التدليل ثم تعقبها شدة، وفي الطفل الأول وكذلك في حالة تذبذب المعاملة وقد يكون الغضب نتيجة الاعتداء على ممتلكات الطفل سواء من الإخوة أو الآباء ويقل هذا الميل مع التقدم في السن لأنه غالبا ما يكون التشاجر دليلاً على عدم اكتمال النمو الاجتماعي ويحتاج إلى حسن التوجيه.

الوقاية والعلاج:

قد يكون الغضب تعبيراً عن خيبة أمل أو إخفاق اجتماعي أو شعور بظلم الكبار ولهذا ينبغي على الآباء والمربين أن يبحثوا عنه ليزيلوا أسبابه لأن الطفل في حاجة إلى توجيه لمعرفة الحسن والرديء مع عدم تقييد حريته بإرغامه على اتباع نظام معين محدد التفاصيل وأن تتسم معاملته بالاتزان وأن تتضمن شدة بغير عنف وليناً في غير ضعف، كما لا ينبغي الإكثار من التدخل في أعمال الأطفال أو تحديد حركتهم أو إرغامهم على الطاعة لمجرد الطاعة وإنما يكون التدخل بمقدار وتبعا للمواقف التي فيها خطر على حياة الطفل أو صحته مثل النار الحارقة أو الماء المغرق أو السم القاتل أو الطعام غير الصالح حتى لا يلحق به أضرارا، كما أن هناك بعض المواقف يستحب التدخل فيها لسلامة الذوق العام كإرشاد الطفل لعدم الشرب بصوت أو وضع رجل فوق أخرى بحيث يواجه حذاؤه وجه الآخرين وكذلك عندما يثير الطفل ضجيجاً ليقلق الآخرين اذ يخطئ بعض الآباء في تدخلهم لحل بعض الألغاز المستعصية على الطفل مما يحرمه لذة المحاولة الذاتية والنجاح الذاتي وقد يريد بعض الآباء من أبنائهم أن يحققوا ما أخفقوا هم في تحقيقه وقد لا تساعد الطفل إمكاناته مما ينتج عنه بعض الاضطرابات النفسية، كما لا ينبغي إظهار الأطفال بمظهر العجز أو السخرية منهم أو إذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة والسماح لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة أحياناً أمر صحي.

مراعاة ممتلكات الطفل:

كما ينبغي عدم اغتصاب ممتلكات الأطفال أو تخريب أدواتهم خصوصا في ساعة غضب وعدم استثارة الأطفال لتسلية أنفسنا أو إثارة غضبهم بمنع امتياز معين عنهم ثم التنازل لهم خوفا منهم وعليهم إذ لا ينبغي أن يسمح للطفل أن يحصل على ما يريد بطريقة الصراخ ولا يجوز محايلته وتدليله في هذه الحالة ولا ينبغي الظهور أمام الطفل بمظهر الضعف والقلق ولا بمظهر الإهمال له وعدم الاهتمام به بل يجب أن يكون موقف توجيه وتربية في الاتجاه الصالح مع عدم مناقشة سلوك الطفل مع غيره على مسمع منه أو اثارة الغيرة بين الأطفال وعدم الاكثار من الموازنات العلنية بينهم وعدم خلق جو يشعر بالتفريق بينهم وينبغي أن يكون جو المنزل جو عطف وهدوء وتقدير وعدل وثبات في المعاملة وأن يكون الطفل مشغولا في وقت فراغه بنشاط مفيد منتج كاللعب أو هواية أو عمل وأن تعطى له فرصة اللعب العنيف أحيانا حيث يجب أن تكون التربية لوقت الفراغ.

توجيه نشاط الطفل للعمل المثمر:

ينبغي توجيه الطفل لاستغلال وقت الفراغ استغلالاً حسنا وهو هدف مهم من أهداف التربية كما ينبغي أن يوجه نشاط الناشئ لخدمة المجموعة التي ينتمي إليها وللنواحي الخلقية والإبداعية الإيجابية وادماج الطفل في جماعات الرياضة مع حسن توجيهه ومعالجة الطفل إن كان من النوع العنيف بشغله في عمل يحتاج الى جهد كالحركة واللعب الذي يتطلب تحريك الجسم كله لأن الألعاب الجسيمة أفضل لهذا النوع من الألعاب العقلية وأن يسير في الهواء الطلق مع تناول كوب من اللبن. ويفضل عدم توجيه انتباه الطفل إذا قام بثورة غضب لسبب غير معقول وينبغي أن نضبط أنفسنا قدر الإمكان أمام الأطفال، بل يجب أن يتعود الآباء الانشراح سيما عند عودتهم من العمل وعلى الآباء والمعلمين ان يتريثوا فلا يقابلوا غضباً بغضب إذ يحتمل أن يكونوا هم مصدر المشكلة كلها فعليهم أن يدرسوا دائما تصرفاتهم مع أبنائهم في مثل هذه الحالات وعليهم أن يصلحوا من أنفسهم أولا، وإلا تعذر عليهم إصلاح أبنائهم وعلى الآباء أن يتسلحوا بقدر من الوعي النفسي والتربوي ليمكنهم من المساهمة في خلق جيل صالح لنفسه ولأمته العربية العريقة.

أطفالنا والتربية النفسية

حسام فتحي أبوجيارة- دبي

تؤثر الخلافات بين الأب والأم على النمو النفسي السليم للطفل، ولذلك على الوالدين أن يلتزما بقواعد سلوكية تساعد الطفل على أن ينشأ في توازن نفسي، ومن هذه القواعد:

- أولاً: الاتفاق على نهج تربوي موحد بين الوالدين

● إن نمو الأولاد نمواً انفعالياً سليماً وتناغم تكيفهم الاجتماعي يتقرر ولحد بعيد بدرجة اتفاق الوالدين وتوحد اهدافهما في تدبير شؤون أطفالهم. على الوالدين دوماً إعادة تقويم ما يجب أن يتصرفا به حيال سلوك الطفل، ويزيدا من اتصالاتهما ببعضهما خاصة في بعض المواقف السلوكية الحساسة. فالطفل يحتاج إلى قناعة بوجود انسجام وتوافق بين أبويه.

● شعور الطفل بالحب والاهتمام يسهل عملية الاتصال والأخذ بالنصائح التي يسديها الوالدان إليه.

مثال على ذلك الاضطراب الانفعالي الذي يصيب الولد جراء تضارب مواقف الوالدين من السلوك الذي يبديه: زكريا عمره أربعة أعوام يعمد إلى استخدام كلمات الرضيع الصغير كلما رغب في شد انتباه والديه، وبخاصة أمه إلى إحدى حاجاته فإذا كان عطشاً فإنه يشير إلى صنبور الماء قائلاً: «أمبو.. أمبو» للدلالة على عطشه.

ترى الأم في هذا السلوك دلالة على الفطنة والذكاء لذا تلجأ إلى إثابته على ذلك، أي تلبي حاجته فتجلب له الماء من ذاك الصنبور.

أما والده فيرى أن الألفاظ التي يستعملها هذا الولد كريهة، فيعمد إلى توبيخه على هذا اللفظ الذي لا يتناسب مع عمره. وهكذا أصبح الطفل واقعاً بين جذب وتنفير، بين الأم الراضية على سلوكه والأب الكاره له ومع مضي الزمن أخذت تظهر على الطفل علامات الاضطراب الانفعالي وعدم الاستقرار على صورة وسهولة الإثارة والانفعال والبكاء، وأصبح يتجنب والده ويتخوف منه.

- ثانياً: أهمية الاتصال الواضح بين الأبوين والولد

● على الوالدين رسم خطة موحدة لما يرغبان أن يكون عليه سلوك الطفل وتصرفاته.

شجع طفلك بقدر الإمكان للإسهام معك عندما تضع قواعد السلوك الخاصة به أو حين تعديلها، فمن خلال هذه المشاركة يحس الطفل أن عليه أن يحترم ما تم الاتفاق عليه، لأنه أسهم في صنع القرار.

على الأبوين عدم وصف الطفل بـ (الطفل السيء) عندما يخرج عن هذه القواعد ويتحداها، فسلوكه السيئ هو الذي توجه إليه التهمة وليس الطفل، كي لا يحس أنه مرفوض لشخصه مما يؤثر على تكامل نمو شخصيته مستقبلاً وتكيفه الاجتماعي.

مثال على المشاركة في وضع قواعد السلوك: هشام ومحمد طفلان توأمان يحبان أن يتصارعا دوماً في المنزل، وهذه المصارعة كانت مقبولة من قبل الوالدين عندما كانا أصغر سناً (أي: في عمر السنتين من العمر) أما في عمر أربعة أعوام فإن هذا اللعب أضحى مزعجاً بالنسبة للوالدين.

جلس الوالدان مع الطفلين وأخذا يشرحان لهما أن سنهما الآن يمكنهما من أن يفهما القول، ولابد من وجود قواعد سلوكية جديدة تنظم تصرفاتهما وعلاقاتهما ببعضهما.

بادر الولدان بالسؤال: هل يمكننا التصارع في غرفة الجلوس بدلاً من غرفة النوم؟ هنا وافق الأبوان على النظام التالي: المصارعة ممنوعة في أي مكان من المنزل عدا غرفة الجلوس.

• عندما يسن النظام المتفق عليه لابد من تكرار ذكره والتذكير به، بل والطلب من الأطفال أو الطفل بتكراره بصوت مسموع.

• كيف تعطي الأوامر الفعالة؟

- «أحمد، أرجوك.. أجمع لعبك الملقاة على الأرض وارفعها إلى مكانها» عندما تخاطب ابنك بهذه اللهجة فمعنى ذلك أنها طلب.

أما عندما تقول له: «أحمد، توقف عن رمي الطعام أو تعال إلى هنا وعلق ملابسك التي رميتها على الأرض» فإنك تعطيه أمراً ولا تطلب طلباً.

• يتعين على جميع الآباء إعطاء أوامر أو تعليمات حازمة وواضحة لأطفالهم، وبخاصة العصبيين منهم إزاء سلوكيات فوضوية أو منافية للسلوك الحسن، وليس استجداء الأولاد والتوسل إليهم للكف عنها.

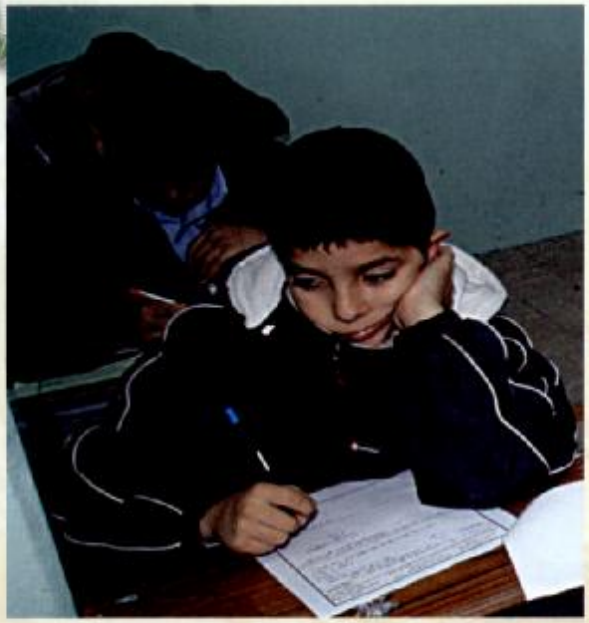

• إذا قررت الأم أن تطبق عقوبة الحجز في غرفة من غرف المنزل لمدة معينة (وهذه عقوبة فعالة في التأديب وتهذيب السلوك) عليها أن تأمر الولد أو البنت بتنفيذ العقوبة فورا وبلا تلكؤ أو تردد.. الأمر الذي نعنيه ليس معناه أن تكون عسكرياً تقود أسرتك كما يقود القائد أفراد وحدته العسكرية، وإنما أن تكون حازماً في أسلوبك.

• متى تعطى الأوامر للطفل؟

تعطي الأوامر للطفل في الحالتين التاليتين:

١- عندما ترغب أن يكف الطفل عن الاستمرار في سلوك مرغوب، وتشعر أنه قد يعصيك إذا ما التمست منه أن يتخلى عنه.

٢- إذا وجدت أن على طفلك إظهار سلوك خاص، وتعتقد أنه سيعصيك لو التمست منه إظهار هذا السلوك.

كيف تعطي الأوامر للطفل؟

لنفترض أنك دخلت غرفة الجلوس فوجدت أحمد، ابنك الصعب القياد، يقفز على مقاعد الجلوس القماشية قفزاً مؤذياً للفراش الذي يغلف هذه المقاعد، وقررت إجبار الولد على الكف عن هذا اللعب التخريبي.

هنا تعطي تعليماتك بالصورة التالية:

١- قطب وجهك واجعل العبوس يعتلي أمارة الوجه.

٢- سدد إليه نظرات حادة تعبر عن الغضب والاستياء.

٣- ثبت نظرك في عينيه وناده باسمه.

٤- أعطه أمراً حازماً صارماً بصوت قاس تقول فيه: «أحمد.. أنت تقفز على المقاعد، وهذا خرق للنظام السائد في البيت.. كف عن هذا السلوك فوراً ولا تقل كلمة واحدة».

٥- يجب أن يكون الأمر واضحاً وغير غامض.

مثال: إذا أمرت طفلك بالصيغة التالية: «سميرة تعالي إلى هنا وضعي هذه الألعاب على الرف» فإنها بهذا الأمر الواضح لا عذر لها بالتذرع بأي شيء يمنعها من التنفيذ.

أما لو قلت لها: «لا تتركي الألعاب ملقاة هكذا» فإنها ستتصرف وفق ما يحلوا لها عكس مرادك ورغبتك، لأن الأمر كان غير واضح.

٦- لا تطرح سؤالاً ولا تعطي تعليقاً غير مباشر عندما تأمر ابنك أو ابنتك، فلا تقل له: «ليس من المستحسن القفز على المقاعد» ولا «لماذا تقفز على المقاعد؟» لأنه سيرد عليك، وبذلك تعطي لطفلك الفرصة لاختلاق التبريرات، فالقول الحاسم هو أن تأمر طفلك بالكف عن القفز دون إعطاء أي تبرير أو تفسير.

٧- إذا تجاهل الطفل أمرك وتمادى في سلوكه المخرب عندها نستخدم وسائل مناسبة للتأديب حسب عمر الطفل.

- ثالثاً: الأطفال يحتاجون إلى الانضباط والحب معاً

الانضباط يعني تعليم الطفل السيطرة على ذاته والسلوك الحسن المقبول وطفلك يتعلم احترام ذاته والسيطرة عليها من خلال تلقي الحب والانضباط من جانبك.

لماذا لا يتمكن بعض الآباء من فرض الانضباط على

أولادهم؟

يجب أن يكون هناك الوعي الكافي لدى الآباء في الأخذ بالانضباط لتهذيب سلوك أطفالهم وإزالة مقاومتهم حيال ذلك، وهذا يتحقق إذا باشروا برغبة تنبع من داخلهم في تبديل سلوكهم.

يمكن إيجاز الأسباب المتعددة التي تمنع الآباء من تبديل سلوكهم بالآتي:

١- الأم الفاقدة الأمل (اليائسة): تشعر هذه الأم أنها عاجزة عن تبديل ذاتها، وتتصرف دائماً تصرفاً سيئاً متخبطة في مزاجها وسلوكها.

مثال: في اليوم الأخير من المدرسة توقفت الأم للحديث عن ولدها أحمد مع مدرسه، هذه الأم تشكو من سوء سلوك ولدها أينما سنحت لها الفرصة لكل من يستمع لها إلا أنها لم تحاول قط يوماً ضبط سلوك ابنها الصغير، وعندما كانت تتحدث مع المدرس كان ابنها يلعب في برميل النفايات المفتوح.. قالت الأم: أنا عاجزة عن القيام بأي إجراء تجاه سلوك ابني.. إنه لا يتصرف أبداً بما يفترض ان يفعل وبينما كانت مستغرقة في الحديث مع المعلم شاهد الاثنان كيف ان أحمد يدخل إلى داخل برميل النفايات ويغوص فيه ثم يخرج، توجه المعلم نحو أمه قائلا لها: أترين كيف يفعل ابنك؟! فأجابت الأم: نعم إنه اعتاد أن يتصرف على هذه الصورة، والبارحة قفز الى الوحل وتمرغ فيه.

الخطأ هنا: أن الأم لم تحاول ولا مرة واحدة منعه من الدخول في النفايات والعبث بها، ولم تسع الى أن تأمره بالكف عن أفعاله السلوكية السيئة حيث كانت سلبية، متفرجة فقط.

٢- الأب الذي لا يتصدى ولا يؤكد ذاته، مثل هذا الأب لا يمتلك الجرأة ولا المقدرة على التصدي لولده، إنه لا يتوقع من ولده الطاعة والعقلانية، وولده يعرف ذلك، وفي بعض الأحيان يخاف الأب فقدان حب ولده له إن لجأ إلى إجباره على ما يكره، كأن يسمع من ابنه: أنا أكرهك أنت أب مخيف. أرغب أن يكون لي أب جديد غيرك.

مثل هذه الأقوال تخيف الوالد وتمنعه من أن يفعل أي شيء يناهض سلوكه وتأديبه.

٣- الأم أو الأب الضعيف الطاقة: ونقصد هنا الوالدين ضعيفي الهمة والحيوية، اللذين لا يملكان القوة للتصدي لولدهما العابث المستهتر المفرط النشاط، وقد يكون سبب ضعف الهمة وفقدان الحيوية مرض الأم والأب بالاكتئاب الذي يجعلهما بعيدين عن أجواء الطفل وحياته.

٤- الأم التي تشعر بالإثم: ويتجلى هذا السلوك بالأم التي تدم نفسها وتشعر بالإثم حيال سلوك ابنها الطائش، وتحس أن الخطيئة هي خطيئتها في هذا السلوك وهي المسؤولة عن سوء سلوكه، ومثل هذه المشاعر التي تلوم الذات تمنعها من اتخاذ أي إجراء تأديبي ضد سلوك أطفالها.

٥- الأم التي تواجه باعتراض يمنعها من تأديب الولد: في بعض الأحيان يعترض الأب على زوجته تأديب ولدها أو العكس، لذلك لابد من تنسيق العملية التربوية باتفاق الأبوين على الأهداف والوسائل المرغوبة الواجب تحقيقها في تربية سلوك الأولاد، ويجب عدم الأخذ بأي رأي أو نصيحة يتقدم بها الغرباء فتمنع من تنفيذ ما سبق واتفق عليه الزوجان.

٦- الزوجان المتخاصمان: قد تؤدي المشاكل الزوجية وغيرها من المواقف الحياتية الصعبة إلى إهمال مراقبة سلوك الأولاد نتيجة الإنهاك الذي يعتريهما- مثل هذه الأجواء تحتاج الى علاج أسري، وهذه المسألة تكون من اختصاص المرشد النفسي الذي يقدم العون للوالدين ويعيد للأسرة جوها التربوي السوي.

قصة

علامات الطريق

بقلم: ايمان عبده فاضل - مصر

راحت تتأمل الأرض وهي تطوى تحت عجلات السيارة المسرعة تارةً، وتتأمل الأشجار وهي تمرق أيضاً هي وأية علامات على الطريق، تذكرت كم كانت تسعد لهذا المشهد وهي طفلة، إذ إنه يقربها من ديار الأحباب هي الآن تتأمله بحزن وشجن، إنه يشبه العمر يمضي هو الآخر سريعاً تطوى أيامه كما تطوى هذه الطريق، وتمر أفراحه وأتراحه كما تمر هذه الأشجار ويقربنا أيضا من الديار فلعلها أن تكون ديار الأحباب.

تنهدت «سلمى» وتمتمت (لعلها تكون ديار الأحباب) سمع همسها رفيق دربها وابن عمها (زوجها أسامة) فسألها بهدوئه المعهود: أتقولين شيئاً؟

ردت عليه سائلة: كم سنة مرت لم نزر خلالها بيت عمنا؟ رد قائلا: واحد أو اثنان وعشرون سنة تقريباً. قالت: يالها من مدة طويلة.

تظن لم انقطعنا كل هذه الفترة عن المجيء لزيارة عمنا؟ أولا تكون تلك قطعية رحم؟ لم أظن يوماً أن أقع في هذا الإثم- رد عليها مطمئناً: إن أبناء عمي كانوا غالباً يحضرون إلى بلدتنا كل عيد، علاوة على الحضور في المناسبات والمواسم المختلفة فكل أقاربهم موجودون في بلدتنا.

وكان ذلك تواصلاً فعليا إذا لم يكن يتخلف منهم أحد، إلا عندما كبرت أمهم في السن، وما إن علمنا حتى عزمنا على زيارتها، فلا قطيعة إن شاء الله ونعوذ بالله من شر القطيعة.

ردت: نعم نعم إنها كانت أيضاً سيدة فاضلة واصلة للرحم. ورجعت تتأمل الطريق مرة أخرى وطَيُ الأرض يُثير شجنها فشعرت ببعض الدوار فأسندت رأسها للخلف وأغمضت عينيها تريحهما بعض الوقت، وتذكرت هذه السيدة كم كانت شابة مرحة تفيض حيوية ونشاطاً يحبها جميع الأهل ويؤم بيتها الجميع خاصة الفتيات فهي على لطفها وحلو حديثها كانت دائماً توجههن وتعلمهن أشياء كثيرة في بساطة ويسر. فلا يكاد يخرج أحد من بيتها إلا وتعلم شيئاً أو اكتسب مهارة. ظلت كذلك إلى أن نقل عمها إلى تلك المدينة واقتصرت الصلة على زيارات متباعدة ومقتضبة.

ها هي اليوم بعد مرور السنين والأعوام تذهب لزيارتها تدق الباب فتفتح لها حفيدتها التي تشبه جدتها كثيراً وتستقبلهم بنفس البشاشة وحلو الحديث ثم تأخذهم إلى حيث تكون جدتها حجرة صغيرة باردة، كل شيء فيها موضوع في مكان كأنما وضع من عشرات الأعوام لم يتحرك والسيدة المسنة تجلس على مقعد، عابس وجهها، تطرق في حزن، ولا تهتم بمن فتح باب غرفتها، ولا يكاد يسمع ردها على السلام، تناديها الفتاة: جدتي سلمى جاءت تزورك يا جدتي. ترفع السيدة بصرها فتمد سلمى يدها لتصافحها، تمد السيدة يدها في استثقال وتشعر سلمى ببرودة كفها وتضع كفها الأخرى فوقها في شفقة. فتنتزع العجوز يدها من بين كفي سلمى بغرض، تفزع سلمى هي الأخرى لكن على صوت زوجها يناديها: سلمى استيقظي لقد وصلنا. أجابته بسرعة: حمداً لله على السلامة أهذا هو بيت عمي؟ أشار بيده الى باب البيت قائلاً: نعم اسبقيني إلى الدرج.

صعدت سلمى وطرقت الباب ولم تفتح الحفيدة الشابة بل فتحت لها زوجة عمها يعلو وجهها البشر والحبور وكانت كما هي لم يتغير فيها شيء إلا شعرات بيضاء أطلت من تحت خمارها أضفت عليها وقاراً وجلالاً، وضمت سلمى في حنان ومودة وأمطرتها قبلاً، ودخلا معاً إلى غرفة واسعة، كانت أشعة الشمس تغمرها من نافذة واسعة، وكل شيء في الحجرة ينبض بالحياة والنباتات الخضراء في كل الأركان.

كانت جلسة رائعة سألتهم خلالها عن كل فرد من أفراد العائلة لم تنس صغيراً ولا وليداً، وتشبثت بهم أن يبقوا للغداء إلا أنهم تمكنوا من الإعتذار بلباقة فالطريق طويلة ويودون قطعها بالنهار. سلكوا نفس الطريق غير أن سملى تأملتها هذه المرة بلا حزن ولا شجن فقد رأت الطريق كأنه العمر وقد زانه جميل العمل فصار مضاءاً بعلامات، وقطعه محتم، فلابد من زاد، وقد أثلج صدرها رؤية تلك السيدة الفاضلة لم تزل في نظرها شابة بطيب نفسها وحسن معاملتها وفوق كل ذلك صلة رحمها فكأن قاطع المفازات وسالك الدروب قد يظل بنفس قوته من أول الطريق إلى نهايتها إذا أحسن وضع العلامات.

هذا ما أوصلتهم إليه تشريعاتهم الإباحية!!

بقلم: أحمد بن أحمد حمادة - سوريا

إحدى إشكاليات خطابنا الإعلامي المعاصر أننا قد سلّمنا بواقع أن الآخرين يجب أن يعرفوا عنا وعن ديننا وتشريعاتنا كل شيء، لا حبا بمعرفتها، ولكن معرفتها بهدف مهاجمتنا من خلالها، وما زالت ردة فعلنا هي نفسها، فإما أن ندافع عن أنفسنا وننفي عن أنفسنا ودينا وتشريعه ما يلصقون به من تهم وأباطيل، وإما أن نصمت عن اتهاماتهم لأننا كمسلمين مقتنعون ببطلانها، وبذلك صار الاستشراق تيارا متنامياً في الدراسات الغربية منذ قرون مع ما يحمله تناميه من عداء وخبث وتشويه لحقيقة الإسلام والمسلمين والتشريع الإسلامي، ودون أن نوفق حتى الآن في الرد، ولا أعني هنا الرد بأن نكرر على أنفسنا ما نعرفه عن ديننا وشريعتنا، بل الرد بما يمكن أن أسميه (الاستغراب)، بمعنى العمل على معرفة الآخرين وما لديهم، والرد على تهجمهم علينا وعلى ديننا بمحاججتهم بما لديهم، وتبيان أن ما لديهم لايمكن أن يشكل حقا البديل الممكن عن الإسلام وتشريعاته.

● في ظل التشريع الإسلامي تتحقق سعادة الأسرة المسلمة

هذا التيار الاستشراقي الخبيث الذي تتنامى عدائيته ضدنا يزداد اتساعا مع اتساع الفضاء الإلكتروني حيث يوفر أعداء الإسلام المواقع الالكترونية الكثيرة جدا والمخصصة لتشويه حقيقة الإسلام والمسلمين، وسأتوقف عند مثال مما تنشره هذه المواقع الخبيثة والرد عليها، ففي الفترة الأخيرة كثّف أعداء الإسلام من حملتهم التي تطالب بإلغاء العقوبات الواردة في التشريع الإسلامي على فعل الزنا كالجلد والرجم معتبرين أن هذه العقوبات تمس حقوق الإنسان ولم تعد بأي حال تتناسب والعصر الحديث، كما أنها تقف ضد حقوق المرأة وتقيد من حق الزوجين في الممارسات الجنسية بأي شكل أراداها كالوطء من الدبر.. الخ، ولذلك - والقول لأصحاب المواقع الالكترونية الخبيثة - يجب على الدول الإسلامية أن تغير تشريعاتها بما يتناسب والعصر الحديث حول جرائم الزنا وانتهاك حرمات الأسرة، وبالطبع لا نستغرب أن أصحاب هذه الحملة المغرضة يظهرون اطلاعا واسعا على التشريع الإسلامي من خلال إيرادهم للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مع أسانيدها ويأتون بشواهد من السيرة النبوية وسير الصحابة حتى لانشك بسعة اطلاعهم على كل ما يتعلق بالإسلام والتاريخ الإسلامي، ولكنه اطلاع المغرض الذي يريد تسخير اطلاعه بما يسيء للإسلام والمسلمين

الإشكالية ليست في هذا التهجم الحاقد، ولكن الإشكالية تتبدى في أن الكثير من علمائنا الأفاضل ينبرون للرد على هذه الحملة، ولا نشك في مدى نياتهم الطيبة وغيريتهم على الإسلام والمسلمين، ولكنهم في ردودهم يعيدون ما نعرفه نحن ويعرفونه هم ويعرفه أعداؤنا أنفسهم، ودون أن يتساءل أحدهم إن كانت التشريعات التي يطالبنا أعداؤنا بتطبيقها بدلا من التشريع الإسلامي هي فعلا البديل أو تصلح أن تكون بديلا عن التشريع الإسلامي، وهل نجحت تلك التشريعات في الدول التي تطبقها؟

المؤسف أن أحدا من علمائنا نادرا ما يفعل ذلك، وربما بسبب عدم اطلاع علمائنا على تشريعات الغرب تلك التي يحثونا على تطبيقها علينا، وهنا نقطة الضعف في خطابنا الدفاعي الإعلامي، وتتبدى كما هو واضح في أننا نناقش قوما يعرفون عنا كل شيء، ويجيدون تحريف الحقائق في تشريعاتنا الإسلامية، بينما نحن لا نعرف عن تشريعاتهم أي شيء، وبالتالي نبقى ندور في إطار الدفاع عن تشريعات ديننا الحنيف دون أن نقترب من محاججتهم في تشريعاتهم، ومن المؤكد أن تجاوز نقطة الضعف هذه تتطلب منا جرأة في (الاستغراب) توازي تهجمهم وحرصهم على الاستشراق.

الإباحية.. هذا هو مقصدهم

لست هنا في صدد استعراض التشريع الإسلامي حول تحصين العلاقة الزوجية بمحصنات قوية وتجريمه للزنا ووضع العقوبات الرادعة على الزنا، فهذا التشريع نعرفه كما قلت، ولا نشك كمسلمين في نجاعته، ولكن ضمن منهج الاستغراب يحق لنا أن ننقب في التشريعات الغربية التي يطالبنا أعداء الإسلام باستبدال التشريع الإسلامي بها والتي يدّعون أنها تتناسب وحقوق الإنسان وحرية العلاقة الزوجية وتصون حقوق المرأة؟

بالتأكيد لن نستغرب كثيرا إذا علمنا أنهم يقصدون التشريعات التي لا تجرّم الزنا نهائيا ولو كان طرفاه متزوجين مادام قد تم بالرضا في غير علانية، والتيارات المتشددة في هذه التشريعات تقرّ بوجوب إيقاع الجزاء المدني في حال ثبوت الزنا، والجزاء المدني يتمثل في حق انفصال الزوجين.

ولنوضح أكثر نتوقف عند بعض هذه التشريعات بشيء من التفصيل، وسنجد أن اكثر من نصف الولايات الأمريكية لا تعاقب على زنا المتزوجين، ولا تعاقب جميع الولايات الأمريكية على زنا غير المتزوجين، وكذلك التشريع الإيطالي الذي يعاقب على زنا المتزوجين دون أن يعاقب على زنا غير المتزوجين، وقد فرّق التشريع الإيطالي بين زنا الزوج وزنا الزوجة، فعاقب على زنا الزوج إذا ارتكب على فراش الزوجية ولأكثر من مرّة واحدة، ولا يعد فعل الزنا زنا إلا إذا ارتكب بصورة علنية ومفضوحة ومثيرة، بينما يعاقب على زنا الزوجة إذا ارتكب في اي مكان ولو كان للمرة الأولى.(٢)

هذا يعني وفق التشريع الإيطالي ما يلي:

- زنا الزوج لا يعتد به لمرة واحدة قانونيا ولا يمكن تجريمه، ولكن يتم تجريمه إذا وقع للمرة الثانية فأكثر، وبالتالي يستطيع الزوج الادعاء بأن فعل الزنا مهما كان عدد وقوعه قد وقع منه للمرة الأولى وبالتالي يتخلص من حكم تجريمه

- يشترط التشريع الإيطالي أن يقع فعل الزنا من قبل الزوج فوق فراش الزوجية وضمن بيت الزوجية، أما إذا وقع خارج منزل الزوجية فلا يمكن عده جرما أو ضمن تصنيف الزنا.

- يقع زنا الزوجة تحت التجريم الجنائي إذا وقع ولو مرة واحدة، ولكن يشترط فيه العلنية وأن يكون قد تم بصورة مثيرة ومفضوحة، وهذا البند بحد ذاته يعد تمييزا بين الرجل والمرأة في التشريع الايطالي الذي يتباهى بأنه تشريع يساوي بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات والعقوبات.

ومع ذلك نقول إن التشريع الإيطالي قد حمل بعض الأخلاقيات في حدودها الدنيا تجاه تجريم فعل الزنا ووضع (عقوبة صارمة !!) في حال إثبات واقعة الزنا تتمثل في حق الطرف المتضرر في التعويض المادي وطلب الطلاق..إنها عقوبة صارمة فعلا !!

وقد بدأنا بالتشريع الإيطالي لأن معظم التشريعات الغربية الأخرى تلغي تماما تجريم الزنا سواء كان أحد طرفيه متزوجا أو غير متزوج، وقد جاء هذا الاتجاه الإباحي بعد مؤتمر لاهاي للقانون الجنائي عام ١٩٦٤ حيث أوصى باعتبار العلاقات الزوجية الجنسية المختلفة من الأمور والحريات الشخصية للأفراد، وأنه من الأفضل استبعاد القانون الجنائي عن مجال السلوك الأخلاقي، وكمثال نذكر التشريع الألماني، فقد كان هذا التشريع يجرّم الزنا من قبل المتزوجين دون غير المتزوجين وفقا للمادة (١٧٢ عقوبات)، إلا أنه منذ عام ١٩٦٩ ألغى هذه المادة معللا إلغاءه لها بأن تجريم أفعال الزنا لا مبرر لها لتعلقها بالأخلاق التي ينبغي ألا تتعلق بقانون العقوبات، ومثل التشريع الألماني التشريع الفرنسي الذي كان يجرّم الزنا من قبل المتزوجين وكان يعتبر متشددا مقارنة بالتشريعات الغربية الأخرى إذ كان يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين الزوجة إذا ثبت عليها فعل الزنا، في حين وضع عقوبة الغرامة المالية فقط على الزوج الزاني، ومثل التشريع الإيطالي كان يشترط التشريع الفرنسي لتوصيف فعل الزنا أن يقع في فراش الزوجية وضمن بيت الزوجية، ومع ذلك فإن هذه الأخلاقيات الدنيا في التشريع الفرنسي تم إلغاؤها بتاريخ ١١ -٧- ١٩٧٥ حيث لم يعد الزنا في التشريع الفرنسي منذ ذلك التاريخ يدخل في تصنيف الفعل الجنائي سواء تم من قبل متزوجين أو غير متزوجين، واكتفى بإقرار حق الطرف المتضرر في طلب الانفصال عبر القضاء المدني.(٣)

لا وطء محرّم

لم يرد ذكر للوطء المحرم في جميع التشريعات الغربية سواء تم بين متزوجين ام غير متزوجين، فالزوج في جميع هذه التشريعات يحق له وطء زوجته بالطريقة التي تناسب ميوله بما في ذلك وطء الدبر والوطء أثناء محيض المرأة شريطة أن يتم هذا الوطء برضا الطرفين، ففي التشريع الإنكليزي مثلا نجد أنه وفقا لجرائم الجنس لعام ١٩٦٧ لا عقاب على أفعال اللواط متى تمت بين بالغين وبرضاهما في غير علانية، ويعاقب على فعل اللواط بتهمة (هتك عرض) إذا تم بالقوة دون رضا أحد الطرفين، ونص التشريع الفرنسي في المادة (١٠٩ عقوبات) على أن وطء الدبر من قبل الزوج لزوجته لا يدخل ضمن التجريم الجنائي شريطة موافقة الزوجة لأن هذا الوطء يدخل ضمن الحرية الشخصية للزوجين..(٤)

هذه أمثلة من التشريعات الغربية حول الزنا، مع ملاحظة نكرر ذكرها وهي أن جميع التشريعات الغربية لا تعتبر زنا غير المتزوجين فعلا إجراميا أو جنائيا او منافيا للحشمة بما في ذلك اللواط إذا تم برضى الطرفين، وهي التشريعات التي يطالبون بان نطبقها على أنفسنا بعد أن نلغي التشريعات الإسلامية لأنها تضمن " الرجم " و " الجلد " وتقيد حرية المرأة وتضع قيودا على الممارسات الجنسية بين المتزوجين.. إلى آخر ما يرونه امتهانا لحقوق الإنسان وحرية المرأة !!

باختصار هم يطالبون أن نستبدل تشريعنا الإسلامي حول تجريم الزنا وتقييد العلاقة الزوجية بمحرمات لا يجوز الاقتراب منها بالإباحية المطلقة.

هل نجحت تشريعاتهم؟

بالطبع لن نتحدث هنا عن متانة وقوة وحكمة وشمولية تشريعاتنا الإسلامية حول تجريم الزنا وحماية العلاقات الزوجية وتحصين الأسرة، فهذا أمر معروف لنا ونؤمن به، ولكن سنتساءل إن كانت التشريعات التي ذكرنا بعضها قد نجت عندهم وهم من طبقوها وتباهوا بها؟

لنبدأ بأحد أمراض الإباحية التي سمحت لهم بها تشريعاتهم وهو وباء نقص المناعة المكتسبة " الايدز"، هذا المرض الذي وصف بأنه غول القرن

العشرين ثم تبين أنه صار أكثر فتكا وشراسة في القرن الحادي والعشرين دون أن يجدوا له علاجا حتى الآن، وقد اعترفوا بأن الممارسات الجنسية غير السوية هي الناقل الأول لهذا الوباء المرعب وأنه يزداد انتشارا بينهم بسبب عدم وجود محصنات قانونية أو شرعية ضد الممارسات الجنسية غير المشروعة وغير السوية.

ولن نتوقف أيضا عند شرح هذا المرض وما يشكله من خطر على من يصاب به وعلى من ينتقل إليه، ولكن سنتوقف عند الآثار النفسية الرهيبة التي تعيشها المجتمعات الغربية جراء انتشار هذا المرض وتحول هذا المرض إلى غول يسكن في فراش كل زوجين غربيين، فالزوجة لم تعد تأمن النوم مع زوجها لخشيتها من أن يكون قد حمل فيروس المرض من زنا خارج إطار العلاقة الزوجية، والزوج بدوره يحمل ذات الخوف من زوجته وأن تكون قد أصيبت بالفيروس القاتل من علاقة غير شرعية، والحق مع الطرفين، ففي ظل عدم وجود رادع قانوني أو تشريعي يحرم الزنا ويجرمه يجب أن يشك كل طرف بالآخر لا بكونه قد مارس الزنا ؛ ولكن بكونه حامل لفيروس الايدز، ومن هنا لا نستغرب عندما نعلم أن ٩١ بالمائة من المتزوجين في فرنسا وهولندا وبريطانيا يستعملون الواقي الذكري أثناء ممارساتهم الزوجية / و٤٥٪ من الأزواج يقومون بإجراء فحوص التقصي عن الايدز دوريا ضمن اتفاق معلن بأن أحد الزوجين قد يكون حاملا لفيروس الايدز من ممارسات زنا خارج إطار العلاقة الزوجية.(٥)

ماذا يعني هذا؟

إنه يعني تفكك مريع للعلاقات الأسرية مع انعدام الثقة بين الزوجين، ولذلك بحسب منظمة الصحة العالمية فإن أكثر استهلاك للواقي الذكري في الولايات المتحدة يتم بين المتزوجين، وهناك ١١٪ من طلبات الطلاق في بريطانيا مبنية على أساس شك أحد الطرفين بإصابة الطرف الآخر بفيروس نقص المناعة المكتسبة.

وبحسب منظمة مكافحة الإيدز العالمية التابعة للأمم المتحدة فان ٦٠٪ من الأزواج في هولندا والدانمارك وفرنسا والسويد وبريطانيا صاروا يلجؤون إلى ممارسات شاذة أثناء الممارسة الزوجية يبتعدون فيها عن الممارسة الطبيعية خوفا من انتقال العدوى اليهم من أزواجهم أو زوجاتهم.

كمثال نورد شهادة أحد الشبان الأمريكيين وفيها يقول : " إنني متزوج منذ ثلاث سنوات، وكنت متحمسا لانجاب طفلين، ومع أنني لم أمارس الجنس خارج منزلي ومع غير زوجتي إلا انني صرت أقلق من أن تنقل لي زوجتي فيروس الايدز لأنني لا أعلم إن كانت تمارس الجنس مع غيري، وبدورها صارت تخاف مني كلما جمعنا فراش واحد لقلقها من أن أكون حاملا لفيروس الايدز من ممارسة جنسية قمت بها خارج فراش الزوجية، ومع أننا نقوم بزيارة مخابر التحاليل كل ثلاثة أشهر معا لنتأكد من خلونا من الفيروس فإن الشك يلازم كلينا، وقد تحول الشك إلى خوف من أن ننجب أولادا يكونون مصابين بالإيدز لهذا قمت بعملية قطع نسلي لأمنع أي احتمال للإنجاب..(٦)

الايدز هو مثال فقط ؛ والمثال الآخر الذي يمكن إيراده هو الآثار السلبية التي بدأت الأسر الغربية تحصد نتائجها جراء عدم تجريم وطء الدبر، ففي تقرير صادر عن جمعية الأسرة في مدينة ادنبرة عام ١٩٨٨ ورد أن الأزواج البريطانيين نتيجة ممارساتهم الجنسية غير السوية مع زوجاتهم أدمنوا هذه الممارسات بحيث لم تعد الزوجة البريطانية تجد في زوجها ما يكفيها حاجتها الطبيعية، ولذلك فان ٧٠٪ من طلبات الطلاق التي تقدمت بها نساء ادنبرة في عام ١٩٨٧ استندن فيها إلى أن أزواجهن يمارسن وطء الدبر مما يجعلهن في حرمان مستمر ويدفعهن لإشباع حاجتهن عن طريق الزنا، وقد تنالت حالات انهيار الأسر الغربية نتيجة هذا الأمر مما اضطر التشريع الفرنسي في ٢٣ - ١٢ - ١٩٨٩ إلى أن يجري تعديلا على المادة (٣٨٠ عقوبات) فاعتبر أن أي إيلاج لعضو في أي مكان من الزوجة غير الفرج، سواء كان الإيلاج في الدبر أو في الفم، وحتى لو تم الإيلاج بالإصبع يشكل فعلا إجراميا يستوجب التجريم بتهمة الاغتصاب(٧)

هذه هي التشريعات التي يعتبرونها مثالية، و ينتقدون التشريع الإسلامي وتحصينه للأسرة وللعلاقات الزوجية بموجبها.. تشريعاتهم التي ما زادت عن نشر الإباحية وتفكيك الأسرة بنيويا ونفسيا..

وفي المحصلة

لقد فشلت التشريعات الوضعية الجنائية الغربية عن توفير الحماية للعلاقات الزوجية، فكما رأينا ما تتضمنه تلك التشريعات من شروط تعجيزية لاثبات واقعة الزنا (فراش الزوجية) واعتبار واقعة الزنا من قبل أحد الزوجين وكأنها مسألة داخلية خاصة بهما، كما يمنح الزوج الحق في إسقاط الدعوى حتى بعد تحريكها وحقه في وقف تنفيذ العقاب الصادر ضد زوجته الجانية ولو بعد البدء بتنفيذ الحكم، وكذلك تمنح الزوجة تفويضا على بياض يسمح لها بالخيانة الزوجية متى سبق لزوجها ارتكاب جريمة الزنا حيث يحرم من التقدم بشكوى ضد زوجته لتحريك الدعوى الجنائية...

هذا قليل من كثير من تشريعاتهم الإباحية، وقد رأينا آثارها التدميرية عليهم قبل غيرهم، لذلك نحن في غنى عنها ولدينا والحمد لله تشريعاتنا الاسلامية الشاملة التي حصنت الفرد والأسرة.. والحمد لله.

المصادر

- سيد عمر نجيب - الفقه القانوني العقابي - دار التعاون للطبع والنشر - بيروت - ١٩٩٠
٢ -محمود أحمد طه محمود - الحماية الجنائية للعلاقات الزوجية - اكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض - ٢٠٠٢
٣- نفس المصدر
٤- وهب محمد وهب - توصيف الجرائم في القانون البريطاني - دار التنوير - بيروت - ١٨٨٥
(٥) - منظمة الصحة العالمية - التقرير السنوي - دمشق-٢٠٠٢
٦- جريدة النهار - ٧-٧-٢٠٠٠ - بيروت.
٧- محمود أحمد طه محمود - الحماية الجنائية للعلاقات الزوجية - مصدر سبق ذكره

الوعي دوت كوم .COM

إعداد: وائل عبد الرحمن

من أضرار الكمبيوتر الصحية

الجلوس الطويل أمام الكمبيوتر سواء للعمل أو اللهو من شأنه إحداث ضرر في بدنك وعقلك وهذا لا يخدم أحداً لذا ينبغي عليك معرفة الأسباب الرئيسية التي تسبب الضرر لك كما يقول خبراء «بي سي ورلد» واتخاذ الأساليب اللازمة لمراعاة وضع جلوسك أمام جهاز الكمبيوتر واستخدامه، ومن أهم هذه الأسباب التي سنتناولها تباعاً:

١- الجلوس السيء

إصابة الظهر والعنق بسبب وضعية الجلوس السيئة: علينا أن نتحمل مسؤولية أوجاع الظهر والرقبة بسبب ترهلنا بطريقة الجلوس ووضعيته، فالكثيرون من أمثالنا يتكومون بأجسادهم أمام الكمبيوتر مقوسي ظهورهم خافضين ذقونهم، أو رافعيها لرؤية الشاشة، وإذا كنت تقوم بالطباعة على لوحة المفاتيح وقد أسندت كوعيك على فخذيك فأنت لا تخدم نفسك بتاتاً.

ولنتناول مسألة العنق أولاً، فإذا كنت تنظر إلى شاشة الكمبيوتر نزولاً أو صعوداً فأنت تسبب ضغطا وتأزما غير طبيعي على الفقرات العنقية لفترات طويلة مما يؤدي إلى التهابها وربما إلى عطل أو جرح دائم.

أما بالنسبة إلى مسألة الظهر فإن التراخي والتقوس والانحناء فوق لوحة المفاتيح يعني حني الظهر والإضرار به خاصة أن هناك بين الفقرات أقراصاً تعمل كوسائد، أو مخمدات للصدمات تمنع الفقرات من الاحتكاك سوية والاعصاب من الانضغاط لذا فإن الكثير من الضغط لفترات طويلة قد تسبب انفلات هذه الأقراص من مكانها والتسبب في آلام مبرحة، كما أن الإصابات والجروح الأقل خطرا قد يسببها سحب العضلات.

وأفضل وقاية أو علاج لها هو وضعية الجلوس الصحيحة بشكل منتصب أمام الكمبيوتر كما لو أنك تحاول موازنة كتاب على قمة رأسك.

إن أمكنة العمل هي مهمة بالنسبة لفاعليته تماما مثل نوع الكمبيوترات التي تستخدمها.

حافظ على الشاشة عالية بما فيه الكفاية بحيث لا تخفض رأسك لرؤية محتوياتها واستثمر، أو اجعل أصحاب العمل يستثمرون بالمفروشات الصحيحة الصديقة للجسم البشري، فكلفة اليوم ستعوضك عن تكاليف العلاج الطبي مستقبلاً.

كيف تكتب بجوار الصورة في برنامج الكتابة (وورد)؟

الكتابة حول الصورة أمر في غاية السهولة في البرامج المتخصصة بالإخراج الصحفي مثل الناشر المكتبي وتعطينا تسهيلات وامكانات أكثر لكن برنامج وورد للكتابة يمدنا ببعض هذه الخصائص اللازمة لذلك يمكن تنفيذ الكتابة بجوار الصورة ببرنامج وورد حسب الخطوات الآتية:

١- قم بتحديد المكان الذي ترغب بإدخال الصورة فيه، وذلك بالنقر بالفأرة في المكان الذي تحدده.

٢- قم بإدراج الصورة التي ترغب بها باختيار إدراج INSERT ثم صورة PICTURE ثم من CLIP ART الخاصة بحزمة OFFIECE أو من ملف FROM FILE وعليك التحول لمكان الصورة وإدراجها.

٣- قم بتوسيط الصورة في منتصف الصفحة «لإمكانية الكتابة حولها كما ذكرت» وذلك بالضغط على الصورة لاختيارها ثم توسيطها بالضغط على أيقونة التوسيط كما تفعل في توسيط النص.

٤- إذا حاولت الكتابة مباشرة بجوار الصورة بعد إدراجها ستلاحظ بالفعل عدم إمكانية ذلك، لكن عليك اختيار مربع النصوص من شريط الرسم أسفل الشاشة لبرنامج وورد، وهو ما يسمى بمربع النص Text Pox.

٥- توجه بالمشيرة جهة اليمين من الصورة بعيدا عنها، واضغط مع السحب لجهة اليسار والأسفل، سيتم رسم مربع نص أمامك، ويمكنك تكبيره وتصغيره وتحريكه بالفأرة، قم بالكتابة في داخله وستتم الكتابة بشكل صحيح بجوار الصورة يمينا، كرر ذلك جهة اليسار وأعلى وأسفل الصورة، مع ملاحظة أن مربع النص سيحدد بحجمه مكان الكتابة بمعنى أنك ستكتب في داخله.

٦- إذا رغبت في إزالة المستطيل أو المربع الذي سيرسم حول النص، قم باختيار مربع النص بالفأرة، ثم توجه الى أسفل الشاشة لشريط الرسم ثم اختر أيقونة لون الخط LINE COLOR ثم اختر ON LINE وسيتم إزالة المربع أو المستطيل المرسوم حول النص، يمكنك تغيير لونه من أيقونة لون الخط LINE COLOR.

٧- يتبقى أن نذكر إذا كان شريط الرسم غير موجود أمامك يمكنك إضافته وإظهاره باختيار VILE ثم TOOLBARS ثم DRAW-ING وسيتم ظهور شريط الرسم أسفل شاشة وورد.

درهم وقاية

إعداد: د. معتز ياسين

لقد عرفت الهيئات الصحية العالمية «الطب الوقائي» بأنه: المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن الأحوال الصحية.

وتظهر الدراسات اهتمام القرآن والسنة بصحة الإنسان في بدنه ونفسه، مع إظهار تركيزهما على الوقاية أكثر بكثير من التداوي والدواء.. وهو الأنسب لطبيعة الإنسان وتكوينه وأحواله، وهذا هو ما خلصت إليه علوم الطب لبني البشر كلهم في مقولة: «درهم وقاية خير من قنطار علاج» إذ ما ينفع المرء إن «وقعت الفأس في الرأس» ودب في بدنه البلاء؟! ثم قارن بين الأمرين من ناحية التكلفة المادية للفرد والمجتمع.. من تصنيع للأدوية، وبناء للمشافي والمصحات، وإجازات مرضية، ونفقات، وجراحات!!

وفي هذا الصدد، يقول الدكتور «أحمد حمدي الخياط»:

«إن الفرق كبير بين الوقاية من الأمراض ومعالجتها من الإصابة بها، فالمرض - وإن زال من الجسم - قد يترك بعض الأثر، وإن آثار الأمراض - التي تصيب الإنسان - وعلاماتها تظهر عاجلاً أو آجلاً. وما أهم الأمراض القلبية والكلوية وغيرها التي تنجلي في الشيخوخة من دون سبب مباشر إلا نتيجة تلك النوازل السابقة في البدن. هذا فضلاً على ما ينال المريض من البؤس والضعف والخسارة المادية، زيادة على آلامه وأوجاعه لوجود المرض.

وما يقال في الفرد يمكن قوله في الشعب والأمة. فالأمة، التي يكثر في أفرادها عدم السلامة أو ينزل في ساحتها وباء أو تستوطن فيها الأمراض، تكون عرضة لخسران مادي واقتصادي عظيم، لا ينقص الدخل الحاصل من عدم الاستفادة من عمل أولئك فحسب، بل أيضاً بما ينفق على مداواتهم وتمريضهم وإعالتهم والعناية بهم، أضف إلى ذلك ما يحدث من ارتباك في النفوس بسبب تلك الأمراض»(١).

والإسلام في اهتمامه بالقواعد الصحية والوقائية لم يكن نظرياً، بل رسم مناهج وتدابير عملية لحفظ صحة الفرد والجماعة وتجنب الوقوع في براثن الأمراض.

فقبل أكثر من أربعة عشر قرناً، أرسى الإسلام - بمصدريه الأساسيين: القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة - دعائم سبع قضايا يقوم عليها البناء المتكامل للصحة الشخصية (العامة)، وهي اليوم من أهم أسس ما يعرف في علوم الصحة بـ «الطب الوقائي»، وهذه القضايا هي: النظافة والرياضة والغذاء والجنس والنفس والبيئة والعدوى.

فمثلاً نقرأ قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾(المائدة: ٦)، لنعلم أن اعتناء الإسلام بطهارة الجسد نظافته بلغ مناسيات وأحوالاً شتى.. حتى في الموت، وجب تغسيل الميت، ليلقى المؤمن ربه طاهراً نظيفاً طيباً. وفي هذا كله رمز للجمال وكمال للدين ووقاية صحية للجسم.

وكذلك ارتقت التربية الإسلامية بالإنسان المسلم إلى المقام الرفيع في تجنب الأقذار والنجاسات، التي هي سبب مباشر لاعتلال الصحة. ومن ذلك النهي عن البول والتغوط في الماء الراكد، وتحت الأشجار الظليلة، وعلى قارعة الطريق، قال ﷺ: «اتقوا الملاعن(٢) الثلاثة، البراز(٣) في الموارد(٤)، وقارعة الطريق(٥)، والظل(٦)»(٧).

وكذلك نهى الإسلام - وقاية - عن تناول المحرمات والنجاسات والخبائث، كالميتة والدم ولحم الخنزير، يقول عز وجل: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾(البقرة:١٧٣).

ثم نقرأ قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾(المائدة:٩٠)، ونحن نتساءل: لنعمل بهذه الآية فكم ستقل نسبة تليف الكبد وتشمعه في العالم؟ ونسبة حوادث السيارات بتأثير الكحول؟! ونسبة مضاعفاته الصحية والاجتماعية والأخلاقية الأخرى على نطاق العالم بقاراته الخمس؟! لقد قننت هذه الشريعة الحد على شرب الخمر ليس إمعاناً في تعذيب الجسد وإهدار الكرامة التي خص الله بها بني آدم، بل من أجل حماية العقل وهو محل التكليف من الإنسان ومحط الدراية والتفكير والتدبر والإدراك، روي عن أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ: «أن رسول الله ﷺ ضرب في الخمر(٨) بالجريد(٩) والنعال، وكذا جلد أبو بكر أربعين(١٠)».

ونقرأ أيضاً: قوله عز وجل: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾(الإسراء: ٣٢)، ونحن نطالع إحصاءات الإيدز والسيلان والزهري، وحمل السفاح، والخط البياني المتصاعد لأعداد الأجنة المجهضة، واختلاط الأنساب، وكثرة أطفال الملاجئ واليتم والمشردين، والأسر التي تمزقها الخيانة والريبة، بجانب تهديد «الأسرة» كونها نظاماً بشرياً اجتماعياً، ومزاحمتها بالقوطي(١١) أو الخليلة بدل الحليلة.

ثم نجد أن من الأسباب المؤدية أيضاً إلى اعتلال الصحة ترك الطيبات التي أحلها الله لعباده، بدعوى الزهد ورهبانية ابتدعوها، عن طريق تعذيب الجسد بالجوع والحرمان. وقد نهى الإسلام عن هذا السلوك وعده خروجاً عن سنن الفطرة وسنن الإسلام، يقول: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾(الأعراف: ٣٢)، وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون ﷺ، فجاءه، فقال ﷺ: يا عثمان! أرغبت عن سنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب. قال ﷺ:

«فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل ونم»(١٢).

ثم نتأمل قوله عز وجل: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾(الأعراف: ٣١)، ونقول: لو اتخذت هذه الآية منهاجاً لقلت أمراض التخمة التي أصبحت من أفدح مشكلات العالم الغني، بل أيضاً قلت أمراض الفقر في العالم الفقير، لأن المتخم إنما يأكل رزق المحروم!!

ونطالع قوله عز وجل: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾(البقرة:١٩٥)، فنفكر في ملايين مدمني التدخين وغيره من آفات المخدرات، ومنهم ضحايا مسلمون لا ندري كيف يجيبون الله إن جابههم بهذه الآية يوم الحساب!

وكذلك من باب الوقاية وذرءاً لانتشار الأمراض والأوبئة المختلفة، أمر الإسلام بقتل الكلب العقور، ونهى عن تربيته عامة في المنازل إلا لضرورة، وكذا أمر بالقضاء على الحشرات والحيوانات الضارة الناقلة للأمراض كالذباب والبراغيث والفئران والقمل. فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أربع كلهن فاسق، يقتلن في الحل والحرم: الحداة والغراب والفأرة والكلب العقور»(١٣).

ومن أهم أسباب الوقاية من الأمراض - التي يأمر الإسلام باتباعها - منع انتشار «الوباء المعدي» وحصره في مكانه، بحجز المرضى كي لا يختلطون بالأصحاء، وهو ما يسمى اليوم «الحجز الصحي»، قال رسول الله ﷺ «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»(١٤).

ومع تقليبه الفكر في قوله عز وجل: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾(الروم:٤١)، تساءل د. حسان حتحوت: أتشير هذه الآية الكريمة إلى ألوان من المعاصي والموبقات التي تمارس على بحوث المتعة وبواخر السياحة، أم إلى أدوات الحرب والدمار من بواخر وغواصات وألغام وصواريخ؟ حتى أطلعتنا السنوات الأخيرة على أثر خوالف الصناعة وعوادمها في البيئات البحرية والأرضية والجوية، ما يعد تهديداً وإنذاراً للحياة ذاتها إن استمر الأمر على ما هو عليه في مسألة تلوث البيئة؟(١٥).

وكذلك المفهوم الذي ينادي به الإسلام لأخذ التدابير والاحتياطات اللازمة من سلامة في النفس من التوترات السلبية (كالحزن والهم والغم والكرب والغضب والأرق)، هو السبيل الأمثل ليسلم الإنسان من الآفات والأسقام. واليوم يرى الأطباء أن المرض النفسي Sphycological أصعب بكثير من المرض العضوي (الجسدي) organic في انعكاساته على البشر وعلاجهم للخلاص منه.

إلى غير ذلك من النصائح الطبية الوقائية التي تحملها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ثنايا كلماتها لعلل الجسم والروح، وهي تتفق جملة وتفصيلاً مع ما يقره الطب الحديث، بل إن الطب الحديث لا يستطيع أن يقدم تصوراً أعمق وأشمل من هذا التصور في مجال الوقاية والصحة العامة.

وبهذا ندرك بعض أسرار التشريع في ضوء المعارف الصحية الحديثة.. ويكون لمفاهيم الطب الوقائي في الإسلام فضل السبق والتفوق على غيره من الشرائع والملل والدساتير الطبية قديمها وحديثها، فنستيقن أن القرآن والسنة هما معاً الدستور الرباني الذي يكفل السعادة للبشر في دينهم ودنياهم وأخراهم.. ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾(الأنعام:٣٨).

وفضلاً على هذا وذاك، يعد الإسلام المحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض طاعة لله ولرسوله ﷺ، يسعد بها المرء في دنياه إن صدق في اتباعه، ويؤجر عليها في اخرته إذا أحسن النية وأخلص فيها.

وفي الختام مثال بسيط ندلل به على المعاني الإسلامية السابقة ونجاح تطبيقها عملياً:

إمام مسجد في قرية صغيرة نائية أخذ يعلم الناس كيف يستعملون نفس الطعام الذي يتوافر لديهم استعمالاً أفضل، وعلمهم وأولادهم كيف يقضون على الحشرات والهوام التي تنقل الأمراض، لأن النبي ﷺ أمر بقتلهن، وعلمهم اتقاء الحوادث، اقتداء بهدي رسول الله ﷺ في أمره للمسلم أن يقبض على نصال السهام بيده خشية أن يصيب أحداً من المسلمين، وعلمهم الطرق البسيطة الأداء القليلة التكلفة لمكافحة كثير من الأمراض، كاستعمال الماء البارد في خفض حرارة المصاب بالحمى، اقتداء بهدي النبي ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»(١٦)، وعلمهم النظافة في المأكل والمشرب والمسكن والملبس، وعلمهم المحافظة على البيئة ونهاهم عن إفسادها لحرمة الفساد في الأرض أياً كان نوعه، وعلمهم كيف يعين كل منهم أخاه ويحرص على نفعه، وعلمهم الحرص على كل معروف والأمر به، والابتعاد عن كل منكر والنهي عنه، فوجههم إلى أسلوب الحياة الإسلامي الذي يضمن للناس السعادة في أولاهم وأخراهم.. ﴿ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾(البقرة:٢٠١).

هوامش

١- من كتابه «فن الصحة».
٢- جمع ملعنة، وهي موضع اللعن.
٣- اسم للفضاء الواسع من الأرض، وكنوا به عن حاجة الإنسان. يقال: تبرز الرجل إذا تغوط، فإنه كان اسما للغائط، ولكن يلحق به البول.
٤- المجاري والطرق إلى الماء.
٥- الطريق التي يقرعها الناس بأرجلهم، أي يمرون عليها، وهي وسط الطريق.
٦- أي ظل الشجرة وغيرها.
٧- أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهي عن البول فيها، برقم ٢٦، عن معاذ بن جبل.
٨- أي بسبب شربه.
٩- أغصان النخيل المجردة من الورق.
١٠- أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب: ما جاء في ضرب شارب الخمر، الحديث: ٦٣٩١ .
١١- الذي يعمل بعمل قوم لوط، وهو الممارسة الجنسية مع الذكور عن طريق الشرج. وقد عظم على بعض الغيورين إلحاق هذه الفاحشة باسم نبي من أنبياء الله المكرمين، ولاسيما أن هذه التسمية (اللواطة أو اللوطية) لم ترد في آية أو حديث. وقال الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله: الخير أن نختار لهذه الفاحشة تسمية «القوطية»، تحتاً من الفعل الذي نسب إلى (قوم لوط).
١٢- أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: ما يؤمر به من القصد في الصلاة، برقم ١٣٦٨ .
١٣- صحيح مسلم: كتاب الحج، باب: ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، برقم ١١٩٨ .
١٤- صحيح البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، برقم ٥٣٩٦، عن أسامة بن زيد.
١٥- قاموس القرآن الكريم، معجم الطب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
١٦- البخاري عن ابن عباس.

الوعي الاقتصادي

إعداد: معن خليل

«العربية المصرفية» ومصرف الإمارات الإسلامي يرتبان تسهيلات شركة أصفهان الإيرانية

وقعت شركة أصفهان للفولاذ «أسكو» على اتفاقية تسهيلات مرابحة لمدة ثلاث سنوات مع بنك المؤسسة العربية المصرفية الإسلامية (ش.م.ب.م) بصفته كمضارب ومنظم رئيسي مشترك مع مصرف الإمارات الإسلامي (شركة مساهمة عامة) ستستخدم هذه التسهيلات لتمويل شراء المواد الخام والمعدات والآلات لاستكمال مشروع توسعة إنتاج فحم الكوك الطبيعي لشركة أصفهان للفولاذ - في إيران، ويبلغ إجمالي تسهيلات المرابحة ٧٠ مليون دولار أميركي. وقد حضر حفل التوقيع ابرهام صيحاني، الرئيس والعضو المنتدب لشركة أصفهان للفولاذ، ومهرداد شوبينا المدير العام للإدارة المالية للشركة الأم وكافل التمويل الهيئة الإيرانية لتنمية وتحديث المناجم وصناعاتها -IMI) (DRO في إيران، والإدارة العليا لبنك المؤسسة العربية المصرفية الإسلامي ومصرف الإمارات الإسلامي والشركة العربية للاستثمار وممثلو المستثمرين في التمويل، وقد أثنى عبدالمجيد بريش، رئيس مجلس إدارة بنك المؤسسة العربية المصرفية الإسلامية على المركز الذي تتمتع به شركة أصفهان للفولاذ كشركة رائدة في مجال صناعة الفولاذ في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وذكر «أن بنك الموسسة العربية المصرفية الإسلامي وبنك الإمارات الإسلامي يسرهما المشاركة في ترتيب هذا التمويل الذي سيكون الأساس لبناء علاقة قوية وطويلة الأمد مع شركة أصفهان للفولاذ وشركتها الأم IMIDRO، ونحن سعداء لمشاركة هذه البنوك الرائدة في هذه العملية معنا».

تأسيس أول بنك استثماري إسلامي في قطر

وقع بيت التمويل الخليجي ومصرف قطر الإسلامي اتفاقية لتأسيس أول بنك متخصص في القطاع المصرفي الاستثماري الإسلامي في قطر وقدم الطرفان طلباً رسمياً للحصول على الترخيص من الهيئة التنظيمية لمركز قطر المالي.

ويبلغ رأس مال البنك الاستثماري الجديد المصرح به مليار دولار في حين يبلغ رأس المال المدفوع ٥٠٠ مليون دولار. وتقرر أن يتملك بيت التمويل الخليجي ومصرف قطر الإسلامي نسبة ١٥٪ لكل منهما. أما النسبة المتبقية من الأسهم وقدرها ٧٠٪ فسوف يتم طرحها على عملاء المصرفين ومن المخطط إدراج البنك بعد فترة قصيرة وفقاً لأنظمة الأسواق المالية.

٦٠,٤١ مليار دولار حجم أصول المؤسسات الإسلامية في الخليج

في آخر إحصاء للمجلس العام للمؤسسات المالية الإسلامية بلغ عدد البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية عام ٢٠٠٣م ٢٨٧ مؤسسة مالية إسلامية لا تشمل من بينها الصناديق الاستثمارية وشركات التأمين والنوافذ الإسلامية وقد بلغ حجم أصولها ١٧٤ مليار دولار ويقدر أن تصل إلى ٣٠٠ مليار دولار في حال أخذ في الاعتبار أصول الصناديق والنوافذ الإسلامية وشركات التأمين الإسلامية، من هذا الرقم هناك أكثر من ٦٠,٤ مليار دولار تستحوذ عليها المؤسسات المالية الإسلامية في الخليج. وتشير بعض الإحصاءات المنشورة إلى وصول عدد المؤسسات المالية الإسلامية في عام ٢٠٠٥ الى أكثر من ٣٠٠ مؤسسة مالية إسلامية أنشئت خلال عمر الصناعة المالية الإسلامية الذي لا يتجاوز ثلاثين عاماً.

«الشامل» يطلق صندوقا إسلاميا للاستثمار في العقار الصيني

أعلن مصرف الشامل وهو بنك تجاري واستثماري عن إطلاق مضاربة الشامل في العقارات الصينية التي تبلغ قيمتها ١٠٠ مليون دولار، وتعتبر أول استثمار إسلامي في سوق العقارات الصينية. وقال: سنستثمر أموال هذه المضاربة في شركة Xuan Huang China Realty Investement Fund Limited وهي شركة صندوق تأسست فيما بين مصرف الشامل و CTTIC Croup، وهي مجموعة شركات رئيسية مملوكة للحكومة الصينية.

وذكر أن شركة Xuan Huang China Re-alty Investement Fund Limited ستنشئ استثمارات عالية الجودة ومتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية في مجال مشاريع تطوير الأراضي والعقارات السكنية والتجارية والصناعية التي تنطوي على احتمالات كبيرة لتحقيق أرباح على رأس المال.

CIAM-Shamil Assets Management Limited والمملوكة من قبل مصرف الشامل و CTTIC GROUP يمثل مدير الاستثمار لشركة الصندوق، وسوف يبحث عمن يقيم ويكمل الصفقات التي تقابل معيار شركة الصندوق.

وأضاف أنه بعد إبرام الاتفاق النهائي في سبتمبر ٢٠٠٥، قام كل من مصرف الشامل وشركة CIAM بتحديد العديد من فرص الاستثمار المحتملة، وقد دخلا بالفعل في مرحلة متقدمة من تقييم عدد من الفرص الواعدة التي يمكن للصندوق استغلالها. وقد قام رعاة الصندوق بالمساهمة من ٢٠ مليون دولار من اجمالي قيمة الاكتتاب رأس مال شركة الصندوق، حيث استثمر مصرف الشامل ومجموعة CTTIC مبلغ ١٢,٥ مليون دولار أميركي ومبلغ ٧,٥ ملايين دولار أميركي على التوالي».

بنك إسلامي جديد في لندن

من المتوقع أن تمنح الهيئة التشريعية في المملكة المتحدة قريبا موافقتها على مصرف استثماري يعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية، في دلالة جديدة على الاهتمام المتزايد بالخدمات المالية التي تستهدف المسلمين.

وذكر البنك الاوروبي الإسلامي للاستثمار، الذي يتخذ من لندن مقرا له، أن هيئة الخدمات المالية تقترب من التوقيع على موافقتها على أعمال البنك، لكنها تنتظر مراجعة أنظمة التكنولوجيا فيه.

وقال متحدث باسم البنك: إن الموافقة قد تتحقق مع نهاية الربع الأول من السنة.

وقد جذبت منطقة الخليج التي تزدهر بفعل أموال النفط والمملكة المتحدة بالتعداد المتنامي لسكانها من المسلمين اهتمام المستثمرين والشركات العالمية فضلا عن الرغبة المتزايدة في الاقتراض والتعامل مع الأوراق المالية والمعاملات المصرفية التي تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية.

ويأمل البنك الأوروبي الإسلامي للاستثمار تحقيق ذلك الطلب للمسلمين. ويوجد في البنك ٤ علماء إسلاميين يشكلون لجنة الشريعة الإشرافية للبنك. أما بخصوص المنتجات التي يأمل البنك أن يطورها فيجب أن تحظى بموافقة مجلس الادارة.

ويخطط البنك لتقديم المعاملات المصرفية الخاصة وخدمات الأسواق الرأسمالية وتمويل الشركات.

ويضم مستثمرو البنك الأوروبي الإسلامي للاستثمار بنوكاً إسلامية وأفراداً وشركات من الخليج وأوربا.

وقد كان للبنك الأوروبي الإسلامي للاستثمار بداية سريعة مع انطلاقته العام الماضي. ويعمل لديه الآن ٢٠ موظفا، ويخطط لمضاعفة ذلك العدد بحلول نهاية العام الجاري ولكن البنك سرعان ما قد يجد نفسه في موقع التصدي لبنوك أكبر منه إذا ما توسعت نشاطاته في مجال الاستثمار المصرفي.

وسوف تقع مسؤولية التصدي للبنوك الأكبر على كاهل الرئيس التنفيذي هون ويفولين، وهو أحد كبار المسؤولين المحنكين الذين عملوا في بنك أوف أميركا، حيث عمل سابقا مديراً للعمليات الأوروبية في البنك الأميركي.

خطط لإنشاء أكبر بنك إسلامي في العالم

أعلن مستثمرون في منطقة الخليج عن خطط لجمع عشرة مليارات دولار لإنشاء أكبر بنك إسلامي في العالم.

وإن مضت هذه الخطط قدما، فسيحد رأس مال البنك من المنافسة في قطاع يمتلئ بمؤسسات صغرى، ويبلغ رأس المال المدفوع لبنك الراجحي الإسلامي السعودي، وهو أكبر بنك مسجل في العالم العربي من حيث الإيرادات ١,٨٠ مليار دولار.

وحصل بنك المصرف الشهر الماضي على ترخيص بالعمل كمصرف تجاري واستثماري يعمل وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية التي تحرم الإقراض أو الاقتراض بفائدة.

وصرح خالد السويدي رئيس اللجنة المؤسسة للمصرف للصحافيين في المنامة بأن المصرف سيبدأ العمل برأس مال قدره خمسة مليارات دولار ويعتزم رفع المبلغ إلى عشرة مليارات دولار في السنوات الخمس الأولى.

وقال السويدي أن المصرف كان يعتزم جمع نحو ٦٠ في المائة من خمسة المليارات دولار المبدئية من خلال اكتتاب عام في السنة الحالية على أن يتم جمع المبلغ المتبقي من خلال اكتتاب خاص، إلا أن قوة الطلب من جانب مستثمري القطاع الخاص قد تؤدي لطرح أولي أقل حجما مما كان مزمعا.

وأضاف قائلاً: إن المصرف سيكون أكبر بنك إسلامي في العالم وسيسد فجوة في أكبر منطقة مصدرة للطاقة في العالم، حيث تستثمر حكومات المنطقة مبالغ ضخمة من إيرادات النفط القياسية في الموانئ والطرق السريعة والمنتجعات.

حصاد المؤسسات الإسلامية

• أقرت لجنة الشؤون التشريعية والقانونية في البرلمان الكويتي في اجتماعها الذي عقد يوم ٢٠٠٦/٣/١١م الاقتراحين لإصدار قانون إنشاء بنك جابر الإسلامي وإنشاء صندوق جابر للأجيال الحاضرة.

• أعلن رئيس مجلس الإدارة العضو المنتدب في شركة دار الاستثمار الكويتي عدنان عبدالقادر المسلم أن الدار ستؤسس مع مستثمرين كويتيين وسعوديين وسوريين أول بنك إسلامي في سوريا هذا العام.

• كشف تقرير حديث أن دول الخليج سوف تشهد المزيد من التحالفات الجديدة لتأسيس مصارف إسلامية جديدة ومنح تراخيص لمزاولة أنشطة التكافل والتأمين والإعلان عن توسعات في الأسواق الخارجية أبرزها استهداف السوق المصرفية الماليزية.

• وقعت شركة أنظمة الكمبيوتر المتكاملة ITS اتفاقية تعاون مشترك مع بنك البحرين الإسلامي، تقوم ITS بموجبها بتقديم مجموعة من الخدمات والحلول التقنية المصرفية الحديثة لبنك البحرين الإسلامي، الأمر الذي سيمكنه من مواجهة تحديات المنافسة المتزايدة في السوق المالية الإقليمية.

• قال بنك سبأ الإسلامي وهو أحد ثلاثة بنوك رخص لها للعمل تحت مظلة نظام المصارف الإسلامية في اليمن أنه حقق أرباحاً صافية قدرها ٢,٤٢٦ بليون ريال (أكثر من عشرة ملايين دولار) في العام الماضي ليسجل بذلك مستوى قياسياً.

• نظمت شركة الفجر للاستشارات الإدارية والاقتصادية المؤتمر المصرفي الثالث تحت شعار «آليات تطوير صناعة الخدمات المالية الإسلامية» في الرابع من شهر إبريل الجاري.

• افتتح بيت التمويل الكويتي يوم ٢٠٠٦/٢/١٧م أول فرع له في ماليزيا.

النقد المرجعي عند الأستاذ سالم البهنساوي -يرحمه الله-

بقلم: د. محمد إقبال عروي
باحث في التفسير والفكر والأدب
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت

كنت قد أخبرت بعض المهتمين بالشأن الفكري والأدبي بقرب حلول ذكرى وفاة الدكتور نجيب الكيلاني (٥ مارس)، وذكرى وفاة الشيخ محمد الغزالي (٩ مارس)، واقترحت عليهم أن ينظموا محاضرات وينجزوا ملفات علمية حول المرحومين الذين خطا طريق التميز والمراجعة في الشأن الأدبي والفكري. وما هي إلا أيام معدودة حتى استيقظت الأمة على خبر وفاة المستشار الأستاذ سالم البهنساوي رحمه الله، (٣ مارس) فتوزع الذهن والشعور، وتوالت المشاعر الحزينة، وزاد من حدتها والتهابها حضور الموكب المهيب لجنازة الأستاذ سالم الذي ضم جنسيات مختلفة من الكويت ومصر وسوريا والعراق وفلسطين والأردن واليمن والمغرب وآسيا كلهم يشيعون جنازة هذا الرجل الذي عاش غريبا ومات غريبا، خرج مضطرا من بلده مصر، كما هو شأن العديد من المفكرين والعلماء، وعاش معززا بالكويت، ودفن زوجته وابنته بها، ومات بأرض أذربيجان، ودفن بالكويت، وقد تابعت مختلف

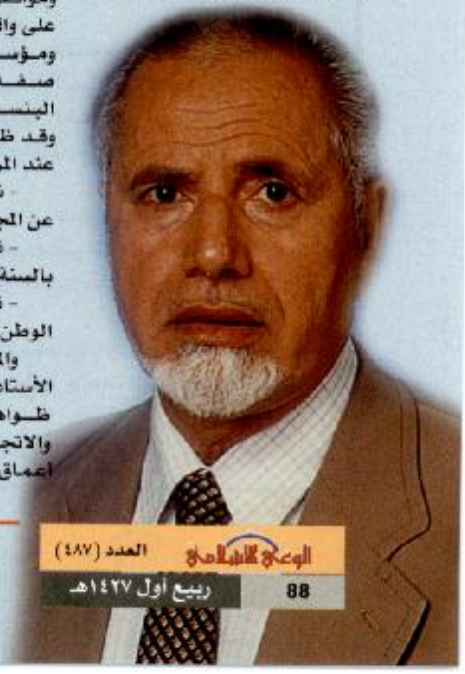

الكلمات التي قيلت في الرجل، ماهو شفوي وما هو مكتوب، فوجدت أنها تؤول إلى معدن ما قاله الدكتور توفيق الواعي فيه، لقد كان سالم، يقول د. توفيق، «ذا طابع ملائكي النزعة، إذا خالطته خالطت رجلا صافيا كماء المزن، رقيقا كأوراق الزهر، تلمس فيه الحنان والرقة والحدب، وتحس فيه الإخلاص والأبوة والود، وإذا ناقشته وجدت علما غزيرا، وأديا جما، وأفقا واسعا، يحيط بزمانه ويلم بواقعه ..»(١).

وبعد أن تهدأ العواطف، لابد أن يعود الإنسان إلى فكر الراحل، فيبحث في تفاصيله ودروبه ومنعطفاته، ليستبين له بأن المرحوم البهنساوي كان مشغولا بقضية الفكر وإعادة تشكيل المفاهيم والتصورات، واختبار الآليات المعرفية والمنهجية التي تحكم سلوك الاتجاهات المعاصرة ومواقفها تجاه فهم النص وتنزيله على واقع الحياة فرادى وجماعات ومؤسسات. ومن ثم فإن أنسب صفة لمشروع الأستاذ سالم البهنساوي هو «النقد المرجعي». وقد ظهرت آفاق النقد المرجعي عند المرحوم في ثلاثة مستويات:

- نقده لفكر التكفير والخروج عن المجتمع.
- نقده للمزاعم المرتبطة بالسنة تدوينا وفهما ووظيفة.
- نقده لخطاب العلمانية في الوطن العربي.

والمقصود بالنقد المرجعي أن الأستاذ البهنساوي لايشتغل بنقد ظواهر الأفكار والمواقف والاتجاهات، وإنما يغوص في أعماق البنية الفكرية التي تشكل المرجع الذي يستمد منه كل اتجاه أو موقف أطروحاته، ويستوحي منه شرعية صياغته وتداوله، إيمانا منه بأن الاشتغال بالظواهر مفض إلى إهدار الجهد وضياع الرشد، وموقع في متاهات التطاحن، وهو منهج كما يقول الجاحظ (خداج لاغناء له وواهن لا أصل له) ومن ثم فإن الأصل هو أن يعاد إلى الأصل، ويختبر الأساس الفكري والنظري لكل فهم أواعتقاد ولكل موقف أوسلوك، باعتبار أن ذلك الأساس هو المرجع الذي يحكم المعتقدات والسلوكات.

والنقد المرجعي، بهذه الصفة، يتطلب صبرا وتؤدة، ولايقوى عليه إلا من أوتي أفقا علمياً واسعا، يستحضر المنهجية التفسيرية والأصولية والحديثية، مع ما يستصحب ذلك من استدعاء لمقولات السياق والترجيح والتضعيف والتصحيح، وفهم الخطاب على ضوء مخاطبات العرب ومعهودهم في الكلام القائم على الحقيقة والمجاز والتوسع، واستحضار أسباب ورود الحديث ضبطا لحدود دلالة النصوص بين الإطلاق والتقييد والعموم والخصوص وسلمية الناسخ والمنسوخ مع إحكام الفهم السليم لمقاصد القرآن وشريعته. ذلك كله إلى جانب إدراك دقيق للواقع بثقافته وعلومه الإنسانية على وجه الخصوص وقوانينه ومواثيقه.

- إشكالية التكفير:

يمكن القول إن جزءا كبيرا من اهتمام البهنساوي، تأليفا ومحاضرة ودعوة، إنما انصب على تحليل ظاهرة التكفير وآثارها الفكرية والنفسية والسلوكية والحضارية.

ويذكر تلامذته ومحبوه أن له كتابا في الموضوع وهو: «الحكم وقضية تكفير المسلم»، كان له صدى طيب في استفزاز العقل المسلم لدى شباب الأمة في أكثر من منطلقة من مناطق عالمنا العربي والإسلامي، ودعوته إلى إعادة التفكير في المقولات والمفاهيم.

وقد كان قدر الشهيد سيد قطب أن يرتبط اسمه وفكره بالموضوع مما دفع بالأستاذ إلى أن يكشف فصل المقال فيما بين فكر سيد قطب وفكر التكفير من الانفصال ليس في كتابه المذكورفقط، وإنما أفرد للموضع كتابا مستقلا هو «أضواء على معالم في الطريق».

لقد كشف البهنساوي عن أصل الأزمة الفكرية والمنهجية في فكر التكفير: دون أن يلغي الجانب النفسي والسياق السياسي العام، يقول: «والسبب في هذا الخلط هو المقدمات العقلية التي استهوتهم، لقد قيل لهم نشبهوا بالصحابة، وذلك بالتلقي المباشر من القرآن، ... ولكن النتيجة التي ترتبت على ذلك هي الزعم بأن كتب الفقه تحجبنا عن القرآن... والنتيجة الأخرى أنهم ردوا أقوال كبار الصحابة التي نقلها أئمة الحديث والفقه، واكتفوا بأقوال أئمة فكر التكفير الذين لاتجربة لهم، ولا رصيد لهم في الفقه إلا قراءة القرآن دون أي معرفة بالسنة النبوية والناسخ والمنسوخ في القرآن، فضلا عن دلالات الألفاظ ..»(٢).

فالأزمة في فهم معنى التلقي عن القرآن والجهل بالسنة وقواعد فهم الخطاب. ويمثل طوق النجاة في انتهاج سبيل الحرص على فهم دلالات النصوص وفق الآلية الأصولية والمنهجية القائمة على

قراءة النص في ضوء تجميع النصوص المرتبطة به، ثم فهمه في سياق معهود العرب في كلامها، مع استحضار مقاصد القرآن. وبالنسبة إلى موضوع التكفير، فقد «ترد أحاديث ظاهرها يفيد الشرك أو الكفر، ولكن لايقصد بهذا الوصف الشرك أو الكفر المخرج عن الملة، وذلك لوجود نصوص أخرى تثبت الإيمان لأصحاب هذه الأعمال. ولذلك قال أهل السنة إن هذا كفر عملي أو مجازي، ومن هنا فأقوال العلماء التي تصف المجتمعات بكفر أو جاهلية، إنما تنصرف إلى جاهلية المعاصي وكفر العمل لاكفر الاعتقاد»(٣)، وذلك أن استعمال النصوص للفظ الكفر في تلك الموارد إنما هو لحكمة تتمثل في الزجر وبيان عظم أمر الإقدام على المعصية، واستشعار المسلم بخطورة الاستهانة بأمر الله الرقيب المطلع على قلوب العباد وأعمالهم، ولا تعلق لها بالكفر الاعتقادي المخرج عن الملة، والذي تترتب عليه أحكام فقهية معروفة في مصادر الفقه الإسلامي ومراجعه.

وقد ظل اصطلاح الجاهلية مرتبطا بسيد قطب وأبي الأعلى المودودي، وظن اتجاه تكفير المجتمعات الإسلامية أن مقصود سيد من لفظ «الجاهلية» سحب صفة الإسلام عن الأفراد، وقد بلغ هذا الربط المتعسف بين سيد قطب والقول بتكفير المجتمعات حدا اضطر معه محمد قطب إلى أن ينشر رسالة بمجلة المجتمع يبرز فيها مقصود أخيه سيد قطب، ويحدد حقيقة الموقف درءا لمختلف الالتباسات. يقول «محمد قطب»: ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرة يقول: «نحن دعاة ولسنا قضاة»، إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام على الناس، ولكن مهمتنا هي فهم حقيقة «لاإله إلا الله»، لأن الناس لايعرفون معناها الحقيقي، وهو التحاكم إلى شريعة الله ... كما سمعته أكثر من مرة يقول: «إن الحكم على الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لاتقبل الشك، وهو أمر ليس في أيدينا، ولذلك، فنحن لانتعرض لقضية الحكم على الناس، فضلا عن كوننا دعوة ولسنا دولة، دعوة مهمتها بيان الحقائق للناس لا إصدار الأحكام عليهم»(٤).

كما اضطر إلى أن يوضح مفهوم «المفاصلة» في كتابات سيد قطب، فهي مفاصلة شعورية، تنشأ تلقائيا في حس المسلم الملتزم تجاه من لايلتزمون بأوامر الإسلام، ولكنها ليست مفاصلة مادية حياتية، لأن الأصل أن يعيش المسلم بين الناس لأنهم مجال دعوته وفضاء نشر رحمة الله بينهم(٥).

وانتهى البهنساوي إلى أنه من الأرجح أن تصرف أوصاف «الجاهلية» الواردة في مؤلفات سيد قطب إلى جاهلية الاعتقاد إذا تعلق الأمر بالتشريع أو إنكار حكم الله، أما إذا تعلق الأمر بغير الجحود والإنكار، فالأولى أن تصرف دلالة الجاهلية إلى جاهلية المعصية التي لايخرج صاحبها عن الملة(٦).

لقد أراد سالم البهنساوي، رحمه الله، أن يخلص فهم الأفراد والجماعات من شوائب الردود العاطفية والمواقف الانفعالية الانتقامية، ويؤسس الفهم الشرعي للأمور وفق أحكامه وضوابطه، لأن الأمر لايتصل برأي أو انطباع أو حالة، وإنما هو مرتبط بأخطر قضية في الوجود، قضية حفظ دماء الناس وحرياتهم وعقائدهم وأموالهم ووحدتهم السياسية، والخروج بالأمة من حالة الاحتقان والتردي في مهاوي التطاحن والتدابر وتبادل التهم والأحكام المتطرفة بين الحكومات وشعوبها في اتجاه ترسيخ مشاعر الحقد والكراهية والتربص التي يستفيد منها المتربصون من مختلف الاتجاهات، بينما تواصل الدوائر الخارجية التلاقها وتعاونها وإنجاز مشاريعها التي تعمق من هوة التباعد العلمي والحضاري والأمني بينها وبين شعوب العالم الإسلامي.

ومن المؤسف أن يقرأ المرء كلاما في الدعوة والتوجيه والتخطيط يصب في اتجاه توريث مشاعر التباغض والاحتقان، ويديم النظر التكفيري الاعتزالي، فقد وقع بين يدي كتاب كبير في حجمه، يتضمن أحكاما ومواقف تصب في هذا الاتجاه، ففيه يقرأ المطلع: «وفي هذا درس عظيم لأبناء الدعوة الذين يبارعون للمشاركة في مناصب الدولة الكبيرة بالوزارة والإدارة، ظانين بأنهم سيسخرون وظيفتهم لخدمة دعوته، وأنهم يحسنون صنعا بالإسلام والمسلمين، بل وربما وصل بعضهم إلى أعلى المناصب، وشغل أعلى المراكز في الدول التي لاتحكم بما أنزل الله .. ولكنهم جميعا خاسرون في الدنيا والآخرة، إذ سرعان ما يتحول رجل الدعوة من عبد لله إلى عبد للوظيفة وخادم للنظام الكافر المعادي لشرع الله ..»(٧)، دون أن ينتبه إلى الغفلة عن تحرير دلالة المصطلحات، وحشر الأنظمة في خانة الكفر، والزعم بخسران الدعاة دنيا وآخرة، مع أن الذي يحكم بخسران الناس هو الله عز وجل.

لقد كان هدف الأستاذ البهنساوي أن يفقه شباب الأمة وجماعاتها القواعد العلمية الآتية:

- دلالة الألفاظ متصلة بسياقاتها وفق خصائص اللغة العربية.

- التمييز بين الكفر الاعتقادي والكفر العملي.

- عدم جواز تصدي الشباب والجماعات للحكم على الناس وتكفيرهم واعتزالهم، إذ التكفير ظلم وتحقير، والاعتزال بدعة وتقصير، وكلاهما نفي لواجب النصح والبلاغ والتذكير.

- فهم كلام العلماء على وفق اللغة العربية، وعلى ضوء السياق العام لإنتاجهم المعرفي وممارساتهم الواقعية.

- الانطلاق في الدعوة إلى الله التي هي خلق الرسول العظيم ورسالته، هذا الرسول الذي كان هدفه خدمة الحق ورحمة الخلق، والسعي إلى إبداع وسائل خادمة للمشاركة والتفاعل الإيجابي البناء. وهذه مناطق لم يلجها الفكر الإسلامي بالشكل المنشود، لأن هذا الفكر مايزال، في بعض مناطقه واتجاهاته، أسير الثقافة التي ربيت عليها أجيال منذ الخمسينيات من القرن الماضي، تلك الثقافة التي جاءت كتابات الأستاذ البهنساوي لتسهم في تجاوزها والقضاء على بذورها في الأفهام والتصورات قبل السلوكات والممارسات.

وهنا تكمن راهنية فكر الأستاذ البهنساوي، ومن ثم، فإني أدعو إلى:

- عقد ندوة دولية في فكر الأستاذ سالم البهنساوي.

- إعادة طبع أعماله كاملة في سلسلة وحلة تمتاز بالجدة والجودة.

- تهذيب كتابه «الحكم وقضية تكفير المسلم» وتلخيصه من فقرات تتصل بأحداث ووقائع، وتخريج أحاديثه وترجمته إلى اللغات الحية.

- إصدار كتيب تعريفي بالمرحوم يضم سيرته الذاتية والعلمية، تستمد من كتاباته وحواراته وشهادات إخوانه ورفاق دربه ممن هم على قيد الحياة، فهذا تاريخ لاينبغي أن يضيع، ومن حق الأجيال على المفكرين أن يحفظ لهم وأن يقدم بين أيديهم في أجمل الوسائط مقدمة للاقتداء به، والاهتداء بهديه.

الهوامش:

١- «سالم البهنساوي: الفارس الذي ترجل»، بقلم د. توفيق الواعي. موقع إخوان أون لاين: www.ikhwanonline.com

٢- سالم علي البهنساوي: «الحكم وقضية تكفير المسلم»، دار الأنصار، مصر، ط:١، ١٩٧٧، ص: ٨٨-٨٩.

٣- المرجع نفسه، ص:٧٦.

٤- مجلة المجتمع، عدد: ٣٧١، ١٩٧٥/١٠/٢١.

٥- المرجع نفسه، وانظر: «أضواء على معالم في الطريق» لسالم البهنساوي، دار البحوث العلمية، الكويت، ط:١، ١٩٨٥، ص: ٦٥.

٦- «الحكم وقضية تكفير المسلم»، ص: ٧٢.

٧- د. كامل سلامة الدقس: «دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين»، دار عمار، الأردن، ط:١، ١٩٩٤، ص: ٢٨٠.

الساحة الأدبية

إعداد: محمد هاني

صدر حديثاً

حقيقة الخلق ونظرية التطور

المؤلف: محمد فتح الله كولن - دار النشر: دار النيل- القاهرة

لا تزال نظرية التطور تحدث بلبلة في فكر الجماهير، ولاسيما بعد محاولة بعض الكتاب المسلمين للتأليف بينها وبين الإسلام، وهي نظرية خطيرة جداً لأنها: تحاول إثبات أن جميع المظاهر الرائعة للحياة ظهرت بعوالم المصادفات، لذا فلا حاجة هناك لوجود الخالق. وتحاول إثبات أن الإنسان الذي كرمه الله تعالى وشرفه وجعله خليفة في الأرض ليس إلا سليل حيوانات، لذا كانت هذه النظرية وراء الإباحية الجنسية التي اجتاحت العالم الغربي والعديد من البلدان الأخرى، لأنه مادام «سليل حيوان» فلماذا التمسك بأهداب الفضيلة والأخلاق؟ ولماذا لا يتبع غرائزه مثل أجداده من الحيوانات؟

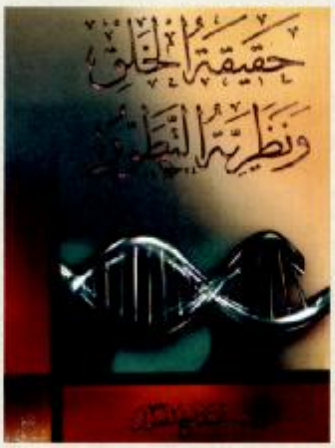

تحاول إثبات أن الحياة صراع، والبقاء للأقوى، وأنه لا مجال هناك للضعيف لذا كانت هذه النظرية السند العلمي للنظريات العنصرية كالنازية والفاشية. هذه النظرية تخالف ما جاء في جميع الكتب السماوية من أن آدم عليه السلام هو أبو البشرية «أنتم بنوا آدم وآدم من تراب» لذا فهي تزرع بذور الإلحاد والشك في نفوس جميع اتباع الكتب السماوية، وبما أن هذه النظرية لا تزال تدرس في جميع المدارس والجامعات في العالم فإن خطرها لا يزال مستمراً، ولم يتم القضاء عليها وعلى خطرها كما يتوهم بعض البسطاء وبعض المتفائلين.

ثلاثة ملاحم شعرية

عن دار الفكر في دمشق - سورية صدرت ثلاث ملاحم شعرية للدكتور «مروان عرنوس» وقد حملت هذه الملاحم عناوين: «ولكن الله رمى»، «مصاحف تمشي»، «حوار لا حناجر»، وقد حاول المؤلف من خلال هذه الملاحم إظهار عظمة وبطولة الصحابة : «عبدالله بن حذافة وجعفر بن ابي طالب وأبطال معركة القادسية «سعد بن ابي وقاص والمغيرة بن شعبة، ربعي بن عامر»، وغيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين لقد كانوا كأنهم مصاحف تمشي علي الأرض وعزائم لاتزال تشع وتتوهج ومروءة تشد القلوب حبا إليها وكرماً يأسر النفوس ومحبة تسبغ على الأرض الأمن والأمان...

يقول الشاعر في ملحمته التي يروي فيها قصة الصحابي عبدالله بن حذافة والتي حملت عنوان «مصاحف تمشي»:

النقع يعلو والردى ... أمواجه متلاحمة
والمتقون سيوفهم ... تهوي لروم آثمة
يستبشرون بنعمة ... وجنان خلد دائمة
وحسام عبدالله ... يجتث الرؤوس الظالمة

أما في ملحمته التي يروي فيها قصة الصحابي جعفر بن أبي طالب والتي حملت عنوان «حوار لا حناجر».

أيا ملكاً قد عز بالحق قاضياً
ألا أسمح ليسمع من تجرأ واشياً
ومعذرة ما استحدث القوم شرعة
ومن تركوا دينا ترنح خاوياً
فكنا بجهل بالفواحش رتعاً
ويبطش أقواناً بمن كان واهياً

وفي ملحة «ولكن الله رمى» التي تصور عظمة القادسية يقول الشاعر على لسان ربعي بن عامر:

إن دنياكم وعلياها ... جناح في بعوضة
نحن نفنى لنعز الكون ... والنفس المريضة
والملذات بذل قد ... رأيناها بغيضة
وعروش البغي والإشراك ... تهتز مهيضة

جائزة رئيس الجمهورية التونسية العالمية للدراسات الإسلامية

أعلنت وزارة الشؤون الدينية بتونس عن فتح باب الترشح لجائزة رئيس الجمهورية العالمية للدراسات الإسلامية في دورتها الرابعة (١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م)، وفق الشروط التالية:

١- تمنح الجائزة لكل شخص مادي أو معنوي تميز على الصعيد الدولي في إبراز الصورة المشرقة للدين الإسلامي واستجلاء مبادئه السمحة وقيمه الزكية وإثراء الفكر الاجتهادي المؤمن بالحوار والتفتح، الرافض للانغلاق والتحجر.

٢- يكون الترشح للجائزة ببحث أصيل منشور: لا تقل صفحاته عن ٢٥٠ صفحة من الحجم المتوسط محرر باللغة العربية أو بإحدى اللغات العالمية في المجال المشار إليه، ولم تمض على طبعته الأولى سنتان عند تقديمه.

٣- لا يقبل أي عمل يكون رسالة جامعية أو تحقيقاً لمخطوط أو حاصلا على جائزة أخرى.

٤- يقدم البحث في خمس عشرة نسخة، في أجل أقصاه يوم ٢ يوليو ٢٠٠٦ .

٥- يرفق طلب المشاركة بسيرة ذاتية للمترشح تنص بالخصوص على نشاطه العلمي ومنشوراته ومدى الإضافة التي حققها في إثراء الفكر الاجتهادي.

٦- تتألف الجائزة من شهادة تقدير موقعة من سيادة رئيس الجمهورية وميدالية ومكافأة مالية قدرها ثلاثون ألف (٣٠,٠٠٠) دينار تونسي.

٧- ترسل ملفات الترشح بالبريد المسجل أو الدولي باسم السيد وزير الشؤون الدينية على العنوان التالي:

وزارة الشؤون الدينية: ٧٦ مكرر شارع باب البنات ١٠١٩ (القصبة) تونس، أو إلى سفارات الجمهورية التونسية في الخارج.

٨ - يتم الإعلان عن الفائز بهذه الجائزة خلال شهر رمضان ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م.

أخبار ثقافية

• أعلنت الأمانة العامة لجائزة الصحافة العربية عن تسجيل معدل قياسي جديد في عدد المشاركات بجائزة الصحافة العربية في دورتها الخامسة لعام ٢٠٠٥، والتي بلغت ٢٤٢٧ مشاركة توزعت على جميع أنحاء العالم العربي، وشملت مختلف فئات الجائزة.

• في محاولة لطرح الفكر الثقافي الإسلامي من خلال الأعمال الفنية، بدأت في مدينة لاهاي الهولندية التجهيزات الفعلية لعقد مهرجان سينمائي جديد تحت اسم «مهرجان أفلام الثقافة الإسلامية».

ويضم المهرجان أفلاماً عربية تنتمي لبلدان مختلفة ينصب التركيز فيها على مناقشة الفكر الإسلامي وطرح الأفكار التي يدعو إليها الإسلام لتصحيح الصورة المغلوطة التي يروجها البعض عنه باعتباره دينا يحرض على الارهاب والعنف، وذلك في محاول لفهمه بعيدا عن تأثيرات المتطرفين من المسلمين والمسيحيين.

والجدير بالذكر ان المهرجان سينعقد في الخامس والعشرين من شهر أغسطس المقبل.

• سيكون بإمكان طلاب دول الخليج النفطية اعتباراً من السنة الجامعية المقبلة التسجيل في جامعة السوربون الفرنسية في أبو ظبي حيث ستقيم هذه الجامعة العريقة فرعا لها في العاصمة الإماراتية أبوظبي بموجب اتفاق وقع يوم ٢٠٠٤/٢/١٩م.

• عقدت مكتبة الاسكندرية بالتعاون مع الجمعية الدولية للبرديات العربية في شهر مارس الماضي أول مؤتمر دولي حول البرديات العربية، والقبطية وذلك بعنوان: وثائق وبرديات وتاريخ العالم الإسلامي المبكر.

• أعلنت لجنة جائزة «أبو القاسم الشابي» - الدورة العشرون- عن فتح باب الترشح لجائزتها الخاصة بالشعر للعام ٢٠٠٥م.

تبلغ قيمتها ثمانية آلاف دينار تونسي، ويشترط للترشيح أن يكون العمل محرراً باللغة العربية، أن يكون منشوراً للمرة الأولى في طبعته الأولى في الفترة ما بين الخامس عشر من مايو من العام ٢٠٠٥ إلى الخامس عشر من يونيو من العام ٢٠٠٦، وأن يحمل العمل اسم ناشره وسنة نشره وجوبا، وأن يقدمه كاتبه بنفسه في خمس نسخ مطبوعة مرفقة بطلب ترشيحه بخط واضح مع نبذة عن سيرته الذاتية، وأن تتوافر في العمل المرشح مواصفات ديوان شعري مطبوع منشور أو مجموعة شعرية مطبوعة ومنشورة، وألا يكون قد أحرز به كاتبه من قبل أي جوائز، أو شارك به جزئياً أو كلياً في دورة سابقة لجائزة «أبو القاسم الشابي»، كما أنه لا تمنح الجائزة إلا مرة واحدة، وأن يرسل العمل المرشح بالبريد المسجل إلى العنوان التالي:

«رئيس لجنة جائزة أبو القاسم الشابي- الدورة العشرون، البنك التونسي - ٢نهج تركيا ١٠٠١ تونس».

حلوف الصحة

اعداد:
أحمد عبد الجبار

كلام النبي ﷺ

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم.. رواه الشيخان والترمذي.

وعنها قالت: كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه «رواه الشيخان وأبو داود والترمذي».

• وعنها قالت: كان كلامه كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه «رواه أبوداود والنسائي».

بلفظ: يحفظه كل من سمعه، قال العراقي: إسناده حسن وعن جابر رضي الله عنه قال: كان في كلام الرسول ﷺ ترتيل وترسيل رواه أبوداود.

• وعن أنس ﷺ كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه رواه أحمد والبخاري والترمذي

الدرس الصعب

كان هناك قط يقدم له صاحبه طعاماً كل يوم، ولكن هذا القط لم يكتف بالطعام الذي يقدمه له صاحب البيت فأخذ يسرق من البيت الطعام فأخذ صاحب الطعام يراقبه فتبين أنه كان يقدم الطعام الذي يسرقه لقط أخر أعمى. لا إله إلا الله كيف كان هذا القط يتكفل بإطعام قط كفيف، ولكنها قدرة الله عز وجل فاسمع قول الله تعالى:

﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾(هود، ٦)

الزهد وأكل الطيبات

سئل الفضيل بن عياض عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص ويزهد فقال:

ما للزهد وأكل الخبيص؟ ليتك تأكل وتتقي الله. إن الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام، انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم، وكيف عطفك على الجار، وكيف رحمتك للمسلمين، وكيف كظمك للغيظ، وكيف عطفك عمن ظلمك، وكيف إحسانك إلى من أساء إليك، وكيف صبرك، واحتمالك للأذى، أذت إلى إحكام هذا أحوج من ترك الخبيص؟!

هذه يد يحبها الله ورسوله

للعمل في الإسلام مكانة كبيرة، وتكريم خاص، ومنزلة رفيعة.. وفي هذا المجال يُروى أن نبينا الكريم محمداً ﷺ أمسك يد عامل خشنة وقال: هذه يد يحبها الله ورسوله.

وهذا نبي الله داود عليه السلام، على الرغم مما أعطاه الله تبارك وتعالى من النبوة والحكمة والملك إلا أنه أمره بالعمل لما فيه من الشرف والفضل والخير.. يقول تبارك وتعالى في سورة سبأ: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدر في السرد، واعملوا صالحاً. إني بما تعملون بصير﴾(سبأ ١٠-١١).

من هدي كتاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾(التوبة، ٧١-٧٢).

من هدي رسول الله ﷺ

يروي الحسن البصري رحمه الله حديثاً قدسياً عن النبي ﷺ أن الله تبارك وتعالى يقول:

«يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا ما مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك﴾(تفسير ابن كثير٤/٢٢٥).

عندما يعدل الحاكم

خرج عمر بن عبدالعزيز ﷺ يوماً متكدراً إلى مفارق طرق تعبرها قوافل المسافرين فسأل أحدهم: كيف تركت الناس في بلدك؟ فأجابه: تركت البلاد الظالم بها مقهور والمظلوم منصور، والغني موفور، والفقير مجبور فابتعد ﷺ ودموع الشكر في عينيه قائلاً لغلامه، والله لئن تكون البلاد كلها على ما وصف هذا الرجل أحب إلى مما طلعت عليه الشمس.

ما أوهن ابن آدم

كان الحسن البصري يرحمه الله - يقول: ابن آدم ما أوهنك وما أكثر غفلتك تعيب الناس بالذنوب وتنساها من نفسك، وتبصر القذى في عين أخيك وتعمى عن الجذع معترضاً في عينيك؟ ما أقل إنصافك وأكثر حيفك.

أمثال

- الحق أبلج والباطل أجلج (أي الحق واضح)
- بعض الشر أهون من بعض (يضرب المثل عند ظهور شرين بينهما اختلاف)
- أكل وحمد خير من أكل وصمت (يضرب المثل للتشجيع على شكر وحمد الله على النعم)

ثمانية أشياء

سأل بعض الناس الإمام الشافعي عن ثمانية أشياء فقالوا له: ما رأيك في واجب وأوجب، وعجيب وأعجب، وصعب وأصعب، وقريب وأقرب، فرد عليهم بقوله: من واجب الناس أن يتوبوا، ولكن ترك الذنوب أوجب، والدهر في صرفه عجيب وغفلة الناس عنه أعجب، والصبر في النائبات صعب ولكن فوات الصواب أصعب، وكل ما ترتجي قريب والموت من دون ذلك أقرب.

صحح لغتك

- يقول بعض الناس: انشغلت عنه بالمرض.. أي عرض لي من المرض ما شغلني عنه، والصحيح أنه لم يرد وزن انفعل من هذا الفعل، وإنما يقول: شغل عنه بصيغة المجهول وشغلت واشتغل عنه.

قبح النميمة

دفع رجل رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم، وكان مالاً كثيراً، فكتب إليه الصاحب على ظهرها: النميمة قبيحة ولو كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من برئ من ثلاث نال ثلاثاً

من برئ من السرف نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة.

الكلمات المتقاطعة

اعداد: محمد ابودية

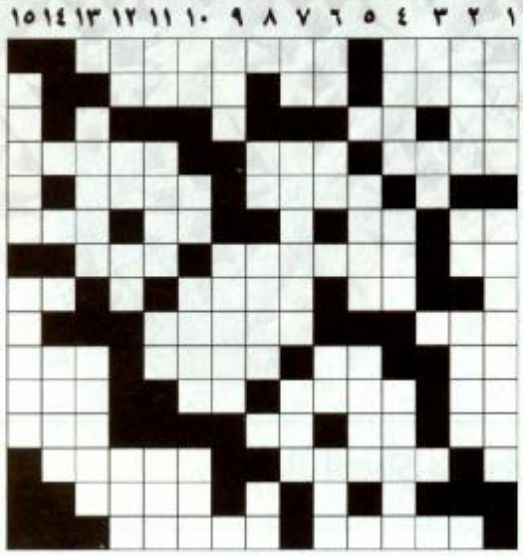

أفقياً ورأسياً

١- من أجمل المدن الفلسطينية الساحلية - مدينة سورية قريبة من القنيطرة.
٢- اهتم بالأمر - من الأسماء الخمسة - نائم.
٣- فاءان - للاستفهام عدد العدد.
٤- الهجوم على العدو - المضارع منها يميل - مفردها مقلة.
٥- أهم مضغة في الجسد - جعلاه قريبا.
٦- للتأفف والتضجر - فعل الأمر من مال - عبودية - أخو والدك.
٧- أداة امتناع لامتناع - كنية لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، برهة زمنية.
٨- يخصلك - مفردها فج وهو الطريق بني الجبال - أول حرفين من سورة غافر
٩- أمير الزهور - مثنى صاع.
١٠- للنداء - برد قارس- مسجد كبير - ألبفات؟
١١- رَنّ - حية فيها سواد وبياض - نصف نعنع - من ثمرات النخيل.
١٢- نصف عماد - تحت قشرة الثمرة - ماء الحياة - كسوة جميلة.
١٣- نعلق عليها ملابسنا - افتش لأتأكد من الحقيقة.
١٤- قرأ على غيرة قطعة الإملاء.
١٥- فقير متشرد - كهف.

حل العدد السابق ٤٨٦

ارتفاع قياسي لثاني أوكسيد الكربون في أجواء الأرض

سجل علماء اميركيون متخصصون بأحوال المناخ ازديادا ملحوظا في نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الأجواء، قال هؤلاء العلماء في أبحاثهم إن المعلومات الأخيرة تظهر أن مستويات ثاني أوكسيد الكربون وصلت إلى ٣٨١ جزءا في المليون، أي أعلى بمئة جزء في المليون من ذي قبل، أي أنها تجاوزت رقماً قياسياً جديداً.

ويشير البحث إلى أن العام الماضي شهد أحد أكبر الزيادات المسجلة بنحو جزأين في المليون.

ويقول محللون متخصصون في الإدارة الإميركية للمحيطات والأجواء إن المعلومات الأخيرة تؤكد منحى مقلقا يشير إلى ارتفاع بمعدل ضعف نسبة الارتفاع قبل ثلاثين عاماً.

البرلمان العربي يدعو إلى إنشاء صندوق للأمن المائي

أوصت أخيرا لجنة الشؤون السياسية والبرلمانية في الاتحاد العربي بوضع استراتيجية عربية مشتركة لمواجهة التحديات التي تفرضها قضية شح المياه في الوطن العربي، ودعت اللجنة إلى إنشاء صندوق عربي معني بالمحافظة على الأمن المائي العربي يعمل على تمويل المشاريع المائية العربية، ومعالجة مشكلة نقص المياه في العديد من الدول العربية.

من جانب آخر اطلع المجلس الوزاري الخليجي في اجتماعه الأخير على ما توصلت إليه لجنة التعاون الكهربائي في اجتماعها الثامن عشر الذي عقد خلال شهر سبتمبر ٢٠٠٥، من توصيات شملت مساهمات الدول في مشروع الربط الكهربائي وتعزيز قاعدة المعلومات الكهربائية والمائية ومباشرة التطبيق التجريبي للمواصفات الكهربائية والمائية المعتمدة وإقامة ورشة عمل عن ترشيد المياه ضمن فعاليات الأسبوع الخليجي للمياه في مارس ٢٠٠٦، كما اطلع على ما توصلت إليه لجنة التعاون المائي في اجتماعها الرابع الذي عقد خلال شهر سبتمبر ٢٠٠٥، من توصيات بشأن متابعة الدراسة التفصيلية للربط المائي بين دول المجلس وتحديد أولويات الأبحاث المرتبطة بالتحلية وكيفية تمويلها، ووافق المجلس على ما أوصت به هاتان اللجنتان من دمجهما في لجنة واحدة تسمى لجنة التعاون الكهربائي والمائي.

الإسبان يستنجدون بالانتربول لاستعادة تحف اقتلعت من مسجد قرطبة!

مثلما قدم الملك كارلوس الخامس ملك اسبانيا عندما قام بهدم جزء من قصر الحمراء ليبني قصره بجوار القصر العربي يأتي الآن دور الزخارف الاسلامية الخشبية في سقف مسجد قرطبة، التي اقتلعت بغية تصميم المسجد على شكل كنيسة، في القرن الثامن عشر.

والآن يندم الكثيرون على هذا العمل، خاصة بعد إعلان صالة «كريستي» في لندن عن بيع خمس من هذه التحف الخشبية يوم ٤ ابريل الجاري بسعر يتراوح بين ١٠٠ ألف و٣٠٠ ألف جنيه استرليني.

وقد طلبت وزارة الثقافة الاسبانية من الانتربول رسميا التدخل لوقف المزايدة على هذه التحف وأعلنت الوزارة انها «اعتمادا على قانون المحافظة على التراث التاريخي الصادر عام ١٩٨٥، الذي نص على أن كل اثر يبلغ من العمر أكثر من ١٠٠ عام لا يجوز اخراجه من الأراضي الاسبانية إلا بعد الحصول على سماح رسمي بذلك.

من جهتها، تدرس حكومة إقليم الاندلس ايضا السبل القانونية لاستعادة هذه التحف وأعلنت دائرة الشؤون الثقافية عن نيتها التباحث مع مالك هذه القطع، إذا كان خروجها من اسبانيا قد تم بطريقة قانونية.

بغية شرائها منهم.

وذكرت بلدية مدينة قرطبة أنها تسعى لاستعادة هذه القطع وقال مسؤول الدائرة الثقافية في البلدية لويس رودريغيت إن بلدية مدينة قرطبة تنوي دخول المزايدة العلنية وتفكر حاليا في الطريقة التي ستحصل من خلالها على المال الكافي، وذلك لأن السعر غال جدا ولا تستطيع ميزانية البلدية تغطيته.

وقالت روسا توريس مستشارة الثقافة إنه اثبت أن مالكها حصل عليها بشكل شرعي، فسوف تبدأ معه مفاوضات لشرائها.

ويعود تاريخ القطع الخشبية الخمسة التي يبلغ طول كل واحدة منها ستة امتار، إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي منقوشة على شكل زخارف نباتية ناتئة من ثلاث جهات من جهاتها الأربع.

ويتركز قلق الإسبان حاليا من أن يرتفع سعر هذه التحف إذ رجحت بعض المصادر أن يتضاعف السعر ثلاث مرات، ويبلغ سعر القطع بين مليون ومليون ونصف مليون يورو.

وكان مسجد قرطبة قد تحول بعد سقوط المدينة عام ١٣٧٧م بيد الإسبان إلى كنيسة، وحافظ على هيئته لفترة طويلة، ولكن بعد ذلك بدأت التغييرات في داخله، ومنها تحوير سقفه

الكنيسة الروسية تحذر من انتقال الحكم الارثوذكسي إلى المسلمين بعد ٦٠ عاما فقط!

تالين - إذا حافظت النسب الديمغرافية على مستواها الحالي في روسيا، فان ذلك يعني أن مسلمي الدولة سيتمكنون بعد ٦٠ عاماً من إعلان الخلافة في موسكو، ما ينهي الحقبة الأرثوذوكسية في الدولة وقال الكاهن أندريه في الاجتماع السنوي للكنيسة الأرثوذكسية لدراسة الحياة الدينية والثقافية في روسيا أن تحذيره «ليس نبوءة، بل عملية حسابية بسيطة» بالاستناد إلى تناقص عدد المواطنين الأرثوذوكس وتكاثر المسلمين في روسيا.

وقال كوراييف: إن المواطنين الروس من الطائفة الأرثوذوكسية يحتاجون الى «الطقس الجيد» للتكاثر، ومع ذلك، يمكن للمسلمين أن يتحولوا إلى الجالية الأكبر عددا إذا لم تتمكن الدولة من تفادي الحروب والكوارث البيئية والعوامل المشابهة».

وعلى الرغم من النجاح الذي حققته الكنيسة الارثوذوكسية في الماضي القريب على صعيد افتتاح كنائس جديدة، فإن معطيات الوضع الديمقراطي تجعل كوراييف «متشائما جدا حيال المستقبل».

وشدد على أن البحث الذي تجريه الكنيسة الأرثوذوكسية الروسية حيال المستقبل يجب أن يتم تحت عنوان الصليب الروسي، ليس في إشارة الى رمز المسيحية، بل إلى الحقائق الديمقراطية، حيث تتدنى نسب تكاثر الروس الارثوذوكس مقابل ارتفاع معدلات وفياتهم»، وحول مواجهة الحقائق الديمقراطية التي تحدث عنها، دعا كوراييف الكنيسة الارثوذوكسية الروسية إلى التواصل مع جيل الشباب وعدم اعتبارهم «برابرة» وابقائهم خارج الكنائس رافضاً أن يكون هؤلاء برابرة بل هم الهدف الحقيقي لارسالياتنا على حد تعبيره.

ويشارك كوراييف عادة في مهرجانات الموسيقا الشبابية لتعزيز علاقاته.

مصر الأولى عالميا في إصابات التهاب الكبد الوبائي «سي»

أكدت إحصاءات لمنظمة الصحة العالمية نهاية عام ٢٠٠٥ ، تم الافصاح عنها أخيراً في مؤتمر الجمعية المصرية لرعاية مرضى الكبد، ان عدد المصريين المصابين بفيروس الالتهاب الكبدي الوبائي «سي» يبلغ ١٢ في المئة من عدد سكان مصر، وهو ما يقارب ١٠ ملايين مصري على الأقل، وبهذا تحتل مصر المرتبة الأولى على مستوى العالم في الإصابة بالمرض.

وقال الدكتور محمد الأيوبي، نائب رئيس الجمعية المصرية لرعاية مرضى الكبد إن الجمعية تسعى لنشر التوعية بين المصريين للحد من انتشار المرض القاتل الذي ينتقل عن طريق الدم الملوث، ولا يتم اكتشاف وجود الفيروس إلا عن طريق إجراء تحليل دم للشخص المصاب، وأنه من الممكن أن يظل الفيروس كامنا لفترات طويلة لمدة تتراوح بين عام وخمسة عشر عاماً من دون ظهور اعراض تنبئ عن الإصابة به.

واضاف الأيوبي أنه على الرغم من تخلص مصر من مرض البلهارسيا، فإنه يعد من أهم أسباب الإصابة بالفيروس «سي» كما تعد عيادة طبيب الأسنان من أكثر الأماكن المساعدة على انتشار المرض، وذلك عن طريق انتقال الفيروس عبر أدوات الطبيب غير المعقمة او التي يتم استخدامها لأكثر من شخص.

يأتي هذا في الوقت الذي بدأت فيه الحملة العربية العالمية لعلاج مرض الكبد وتوعية الشعوب العربية بأهدافها.

لياخذ شكل الكنيسة تماما، ويبدو أن هذه التحف تم انزالها من السقف في ذلك الوقت، فتناولتها يد مجهولة حافظت عليها حتى الآن.

ويعود تاريخ بناء المسجد إلى عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م عندما وضع عبد الرحمن الداخل حجر أساسه، ولم يكمل في عهده واستمر البناء فيه، وزيد في مساحته وفي ابهته، بين فترة واخرى، حتى أصبح المركز العلمي للأندلس وجامعة لدراسة مختلف العلوم والفنون، وكان المنار الذي شاع العلم منه في أوروبا بعد ذلك، باعتراف الأوروبيين أنفسهم.

وتبلغ مساحة المسجد الكلية ٢٤٣٠٠ متر مربع، ويحتوي على ١٤١٧ عمودا، وفي سقفه ٢٨٠ثريا، ولا يزال حتى اليوم من أبرز المعالم في مدينة قرطبة.

حصاد الاخبار

● ٧٢٠ بليونيراً في روسيا، هذا ما كشفته احدث لائحة ضمت أسماء الأعضاء في نادي الأثرياء ونشرتها مجلة «فينانس» الروسية أخيراً.

وحملت اللائحة مفاجآة عدة، اذ ارتفع عدد أصحاب البلايين خلال العام الأخير وحده من ٤٦٨ إلى ٧٢٠ وأدرجت أسماء لم تكن معروفة في السابق.

● قال معهد التصدير الإسرائيلي إن الصادرات الإسرائيلية إلى الدول العربية ارتفع بنسبة ٢٩ في المئة في عام ٢٠٠٥م حيث بلغت قيمتها ٢٣٢ مليون دولار أميركي موضحا أن هذا الرقم لا يشمل الصادرات إلى الدول العربية عبر أطراف ثالثة وقيمتها ١٢ مليون دولار.

● احتل المسلمون المرتبة الأولى بالنسبة للمشاركين في استبيان طرحه موقع الكتروني لقناة «ارتي» التلفزيونية الفرنسية - الألمانية، متقدمين في ذلك على كثير من معتنقي الديانات الأخرى، بنسبة ٤٨ في المئة وبعدد أصوات بلغ ١٦٦٩٢٥ صوتاً، وذلك في استبيان طرح على هامش حلقة من برنامج «ثيما» الشهير، الذي تضمن تساؤلات حول مسائل تتعلق بالإيمان، وعلاقة الفرد بالسلطات الدينية.

حكم الشرع

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

إشراف
زهير محمود حموي
الباحث الشرعي في قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

هاتف مباشر
خدمة الفتوى داخل الكويت
149

من خارج دولة الكويت
المفتاح الدولي 00965
244 44 05
242 29 34
246 69 14

فاكس:
245 25 30

السكن العائلي الملحق بالمسجد

نفيدكم علماً بأن هناك بعضاً من موظفي قطاع المساجد في الكويت وهم شاغلو الوظائف الدينية (إمام وخطيب- إمام - مؤذن) يشغلون هم وعائلاتهم السكن الملحق بالمساجد، ولقد تم عرض الأمر على لجنة السكن الوقفي رقم ٢٠٠٥/٧ فرات اللجنة إحالة الموضوع إلى لجنة الفتوى لبيان:

١- ما إذا كان هناك فتوى شرعية في جواز استغلال السكن الملحق بالمساجد كسكن عائلي، والذي يخصص في الأصل كسكن عاملين، وليس سكناً عائلياً.

٢-الرأي الشرعي إذا لم يكن هناك فتوى بخصوص هذا الموضوع مع بيان هل يجوز أن تقوم الوزارة بتحصيل قيمة ايجارية من المنتفع بالسكن نظير السكن واستهلاك الكهرباء والمياه والصيانة، شاكرين لكم حسن تعاونكم.

وقد أجابت اللجنة في فتواها رقم ١١٤ ع/ ٢٠٠٥م بما يلي:

إذا كان المنزل له باب على الشارع، فإنه يجوز لإمام المسجد أن يسكن فيه هو وأسرته، ويتبع بالنسبة لايجار مسكن الإمام الشروط الواردة بالعقد المحرر بين الإمام والجهة المسؤولة، على أن لا تقل الأجرة عن أجرة المثل لغير العاملين في المسجد، إلا إذا كان في أوقاف المسجد أن يكون المسكن للإمام فيتبع في هذا شرط الواقف، ولا يحصل ايجار للمسكن، وإذا لم يكن له باب على الشارع فلا يجوز للإمام أن يسكن فيه هو وأسرته، والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حكم التدخين

إيمانا بأهمية التعاون والتنسيق بين مؤسسات المجتمع الرسمية، والجمعيات والهيئات الشعبية، لتنمية المجتمع الكويتي بما هو مفيد للبلاد والعباد، ونظرا لخطورة آفة التدخين في صحة الفرد والمجتمع، فإن صندوق إعانة المرضى يصدر رسالة توعية حول التدخين على شكل بوستر، ويسرنا أن نرفق لكم نموذجا من البوستر، وذلك لاستطلاع رأيكم حول الإذن والتنسيق لتوزيعه على مساجد دولة الكويت، لتنوير إخواننا المصلين الكرام حول خطورة هذه الآفة، والرأي الشرعي فيها املين ردكم الكريم للمباشرة في التنفيذ مع بداية الموسم الدراسي، حيث سيتم توزيع نفس البوستر على مدارس التربية أيضا، متمنين استمرار التعاون فيما بيننا لما فيه مصلحة وطننا العزيز، والله الموفق.

ثم اطلعت اللجنة على النشرة المرفقة (بوستر) المعنونة بـ (أدلة تحريم الدخان) المكونة من الفقرات التالية،

- أدلة تحريم الدخان من القرآن الكريم والسنة النبوية.
١-فتاوى كبار العلماء في الدخان
٢- المجاهرة بالتدخين وإيذاء الناس
٣- طيب رائحة المسلم أمر مطلوب
٤- الدين النصيحة
٥- احصائيات طبية عن أضرار التدخين

■ وبعد ذلك أجابت اللجنة في فتواها رقم ١٣٢ع / ٢٠٠٣م.

ترى اللجنة أنه سبق للجنة الفتوى أن أصدرت الفتوى ذات الرقم (١٨٠ / ١٩٩٧) التي تنص على أن تدخين السجائر مكروه، لظنة الضرر فيه، وأنه إذا تحقق الضرر فيها على إنسان معين بإخبار طبيب مسلم كان حراما في حقه، وعلى ضوء هذه الفتوى ترى اللجنة أن هذا المنشور قد احتوى في بعض بنوده على عبارات غير مسلمة شرعاً ومنها ما ورد في الفقرة (٢) من المنشور التي تنص على (أن المدخن جمع بين معصيتين، التدخين، والفسق) إذ إن التدخين أمر مختلف في حكمه بين العلماء، ومثل ذلك لا يؤدي إلى الوصف بالفسق، الذي عرفه العلماء بأنه الخروج عن الطاعة، وتجاوز الحد بالمعصية، وإثبات الأمر المختلف فيه لا ينكر على فاعله.

والفقرة (٤) من المنشور التي ورد فيها قوله، (وقد يقول المدخن: إني لا أستطيع الإقلاع، فنقول له: هذا إيهام وتلبيس من الشيطان) مع انه قد يكون خاضعا لظروف صحية نفسية وعضوية من أثر الإدمان على التدخين، وكان من الواجب أن يحتوي المنشور على ما يقوي عزيمته من نصائح وإرشادات تساعده على تركه، وكذا مراجعة الأطباء إذا احتاج الأمر إلى ذلك، فالكلمة الطيبة كشجرة طيبة تؤتي أكلها وثمارها كل حين بإذن ربها.

ولذلك ترى اللجنة عدم توزيع هذا المنشور بهذه الحالة التي هو عليها في المساجد، وكذا في غيرها.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

منح شهادة لشخص لا يعمل في وظيفة

أنا صاحب شركة تجارية، وزوجتي شريكة معي في الشركة، مع العلم أنها شريكة صورية لا تملك منها شيئا، وبرنامج إعادة هيكلة القوى العاملة يصرف راتبا شهريا لكل كويتي يعمل في القطاع الخاص، من باب تخفيف العبء عن وزارات الدولة.

- فهل يجوز لي أن أتقدم إلى برنامج إعادة هيكلة القوى العاملة لصرف راتب زوجتي؟

مع العلم أن الشروط منطبقة عليها بالكامل.

- وهل يجوز أن أعطي شخصاً كويتيا لا يملك وظيفة حكومية شهادة ليصرف بها راتباً من برنامج إعادة هيكلة القوى العاملة؟ مع العلم أن الشروط منطبقة عليه بالكامل.

■ **وقد أجابت اللجنة في فتواها رقم ١١٧ع / ٢٠٠٤م: لا يجوز لأي شخص أن يعطي شهادة لشخص لا يعمل في وظيفة أو غيرها، يشهد فيها بأنه يعمل، وذلك من أجل أن يصرف بها راتباً أو غيره، حتى وإن توافرت فيه شروط هذه الوظيفة، غير شرط العمل، وذلك لما يحتوي عليه هذا التصرف من التزوير، وهو محرم شرعا، لقوله ﷺ: (ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين، قال: وجلس وكان متكئا، فقال: وشهادة الزور أو قول الزور، فما زال رسول الله ﷺ يرددها حتى قلنا ليته سكت) رواه الترمذي، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.**

بيان على تعقيب

أطلعت لجنة الأحوال الشخصية في هيئة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت على ما أبداه الأستاذ/علي عكاشة تعليقاً على فتواها المنشورة في العدد ٤٧٣ من مجلة الوعي الإسلامي - محرم ١٤٢٦ هـ / فبراير ٢٠٠٥م.

وتوضيحا للواقع تبين: أن فتاوى اللجنة تختلف توسعة وتضييقا بحسب طلب المستفتي وحاجته إلى التبين، ومدى ثقافته وقدرته على فهم التفصيلات، فبعضها مفصل وله تمهيدات، وبعضها مقتضب مقصور على المطلوب من قبل المستفتي فقط، ومن ذلك الفتوى المشار إليها، حيث بين المستفتي الواقعة التي يريد السؤال عنها، ثم حصر أسئلته في سؤالين لا ثالث لهما، واللجنة وقت الاجابة عن هذين السؤالين فقط، من دون التوسع في سائر مشتملات الواقعة التي عرضها، وذلك خشية سوء فهم المراد من السؤال، ولعدم الحاجة إلى ذلك من قبل المستفتي.

وإذا أراد الأستاذ علي عكاشة معرفة حكم كل ما عرض في الاستفتاء المذكور فله ما يلي:

دية القتيل تعد ملكاً له وجزءاً من تركته، وإذا كان عليه ديون تقضى منها ومن كامل تركته، وكذلك الوصايا في حدودها وضوابطها الشرعية، وما زاد عن ذلك يكون من حق الورثة يوزع عليهم بحسب حصصهم الإرثية.

وعليه فإن تركة المتوفى الأول وهو زوج المستفتية، بما فيها ديته، تقسم بعد اخراج الديون منها والوصايا إن وجد شيء من ذلك بين ورثته، فيكون لزوجته منها الثمن فرضاً، وللطفل الباقي تعصيباً، ولا شيء منها لأخي المتوفي لحجبه بالابن، وللمستفتية أن تنفق على الطفل من ماله الذي ورثه عن والده ومنه حصته من الدية.

وتركة الابن بعد وفاته بما فيه ديته يكون ثلثها لأمه والباقي لعمه تعصيبا، ولا تستحق المستفتية نفقة في عدتها، لأن المعتدة من وفاة لا نفقة لها مدة العدة ولا بعدها باتفاق الفقهاء، لغناء إرثها من زوجها المتوفي عن ذلك، سوى السكنى، فقد أثبتها لها بعض الفقهاء إذا كان المسكن ملكاً للزوج أو دفع أجرته قبل وفاته مدة العدة، ومنعها آخرون مطلقا، والله تعالى أعلم.

العادة السرية للفتاة

عرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى الاستفتاء المقدم من مستفتية.

أريد أن أسأل عن العادة السرية بالنسبة للفتاة، وهل هي حرام أم حلال؟ وإذا كانت حراماً ما الدليل عليها من القرآن؟ وما جزاء من يمارس هذه العادة في الدنيا والآخرة؟

أرجو سرعة الرد إذا تفضلتم.

-وقد أجابت اللجنة بالآتي في فتواها رقم ٢١٣ ع/ ٩٧:

دعا الإسلام إلى مكارم الأخلاق، وحث عليها، وأثنى على المتحلين بها، فقال الله تعالى مادحاً رسوله الكريم محمداً ﷺ: «وإنك لعلى خلق عظيم» وقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وقد دعا الإسلام إلى حفظ الفروج عن غير الزوجين وما ملكت اليمين فقال سبحانه وتعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون» «النور-٣٠».

وقال سبحانه وتعالى: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...» «النور-٣١».

وقد حرم الإسلام الزنا وجعله من الكبائر وعاقب عليه بالحد، فقال سبحانه وتعالى: «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً» «الاسراء -٣٢»، وقال جل شأنه «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة...» «النور-٢».

ومنع من العادة السرية (الاستمناء) لما فيه من الشذوذ والدناءة، وما يترتب عليها من الأضرار الصحية والنفسية، كما وجه الإنسان إلى تجنب مواطن الإثارة، والنظر إلى الصور العارية أو الأفلام المثيرة، كما وجهه نحو الزواج ما أمكنه ذلك، فإذا لم يمكنه فعليه أن يلوذ بالصوم فقال ﷺ: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» رواه الجماعة.

إلا أن المسلم أو المسلمة إذا خافا على نفسيهما الزنا مع توفر أسبابه ودواعيه وتعين (الاستمناء) طريقا للتخلص منه فإنه يجوز لهما الاستمناء في هذه الحال ارتكابا لأخف الضررين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مسك الختام

معالم وضوابط التواصل مع الآخر *

بقلم:
الشيخ/عبدالله المحفوظ ولدبيه

إن عملية التواصل أصبحت ضرورة لإنقاذ البشرية من التردي في هوة سحيقة من الاضطراب والفوضى يدحرجها إليها تجار الحروب ودعاة الشر الذين أطاعوا طغوى النفوس وطغيان المطامع العاجلة فضاقت مساحات عقولهم وانكمشت آفاق بصائرهم.

من أهم أدوات التواصل الحوار الذي يعني تخاطباً بين متقابلين للوصول إلى أرضية مشتركة قد تؤسس على قناعة بالرأي المقابل أو على مصالح متبادلة. والحوار قد لا يؤدي إلى اتفاق إلا أنه يمكن أن يقدم البدائل عن الصدام والصراع ويجعل الآخر يفهمك وأن يتفق معك.

وهذا التواصل يجب أن يقوم على دعائم قوية:

أولاً: الاعتراف بالاختلاف للوصول الى التعارف والائتلاف.

إن الاعتراف بالاختلاف يشعر الفرقاء بجدية الحوار وأنه ليس استحواذاً ينكر فيه الآخر على مقابله حقه الطبيعي في الاختلاف ويطلب منه أن يتماهى معه وكأنه يشترط ذلك مسبقاً لقبول التواصل معه، إن شعار التواصل هو أن يقبل الفرقاء كل واحد منهما الآخر كما هو لا كما يتمناه.

ثانياً: إبراز المشترك بين الطرفين الذي قد يكون خافياً أو خافتاً أو قد يكون اطلاع الطرفين بعضهم بعضاً عليه يسهل عملية التواصل ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد﴾، ولهذا يجب توظيف المشترك في ثلاث دوائر:

دائرة القيم الإنسانية: فكل الناس يبحثون عن العدل والسلام ويبغضون الجور والطغيان فما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره. إن الضمير الإنساني بتقديم القيم التي يؤمن بها الناس كل الناس من أهم أسس التواصل. والوثيقة الدولية لحقوق الإنسان تمثل أهم محاولة لتوظيف المشترك الإنساني.

دائرة القيم الدينية: مع أصحاب الرسالات السماوية ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ كعلاقة المقدس بالدنيوي وتراجع القيم الدينية لصالح العلمانية مثلاً.

دائرة المصالح المتبادلة: كقضايا التجارة في المواد الأولية والمصنعة والطاقة إلى آخر القائمة.

المرتكز الثالث: تقرير غايات للتواصل تشده إلى الأمام وتهون في سبيل الوصول إليه الصعاب وتذلل العقبات.

المرتكز الرابع: أهمية إيجاد لغة مشتركة للتواصل تستوعب الخلفيات الثقافية كالفلسفة والدراسات المقارنة للأديان.

إن سلوكنا الفاضل، وتسامحنا، وسخاءنا، وصدقنا، ووفاءنا، وأماننا من شأنه أن يقنع الآخر، وهو الإنسان الذي حمل نفس الإعجاب بتلك القيم أن يعاملنا بنفس المعاملة النبيلة، فالخير يدعو للخير، والسخاء يستدعي السخاء.

إن إقناعنا للغير بسلوك سبيل الخير أهم قضية إنسانية. ونقتبس من أفلاطون قوله: «إن خلق العالم هو تعبير عن غلبة الإقناع على القوة».

وتتألف قيمة البشر من قابليتهم للإقناع. فهم يستطيعون أن يقنعوا ويقتنعوا بإظهارهم على مختلف الوسائل التي يمكن أن يستعاض بإحداها عن الأخرى، فمنها الأحسن ومنها الأسوأ، والحضارة هي الحفاظ على النظام الاجتماعي بواسطة الإقناع الفطري الذي يتجسد باختيار الأفضل.

أما استخدام القوة مهما يكن ذلك حتمياً فإنه يكشف عن فشل الحضارة سواءً كان ذلك بالنسبة للمجتمع العام أم بالنسبة للأفراد.

فلنبذل جهداً لإقناع الآخرين بالعدل والمحبة والإخاء والمساواة والوفاء والمسالمة، فإذا شاعت تلك القيم بين الأفراد والمجتمعات والدول عند ذلك نطمع في نظام عالمي ينصف الشعوب الضعيفة والأمم المظلومة، يكون الحوار وسيلته، وصالح البشرية غايته، بدلاً من نظام عالمي يقوم على المصالح الأنانية للأمم القوية، والتمييز العنصري والديني المقنع أحياناً والسافر أحياناً أخرى، ويوم تأتي ذلك النظام الذي يرتكز على القيم الإنسانية المشتركة، قيم العدل والمساواة والحق ينزل الفرج ويسود السلام.

﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾(الروم: ٤-٥).

* خلاصة ورقة قدمها بن بيه في مؤتمر نحن والآخر الذي نظمته وزارة الأوقاف في دولة الكويت في الفترة ما بين ٦-٨ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٦-٨ مارس ٢٠٠٦م.

أمير القلوب .. شكراً

مسابقة الكويت الكبرى

لحفظ القرآن الكريم وتجويده

المسابقة العاشرة

والتي تأسست بدعمكم .. وكان لها الأثر الإيجابي في حياتي

آخر موعد للتسجيل 2006/4/13

الأمانة العامة للأوقاف

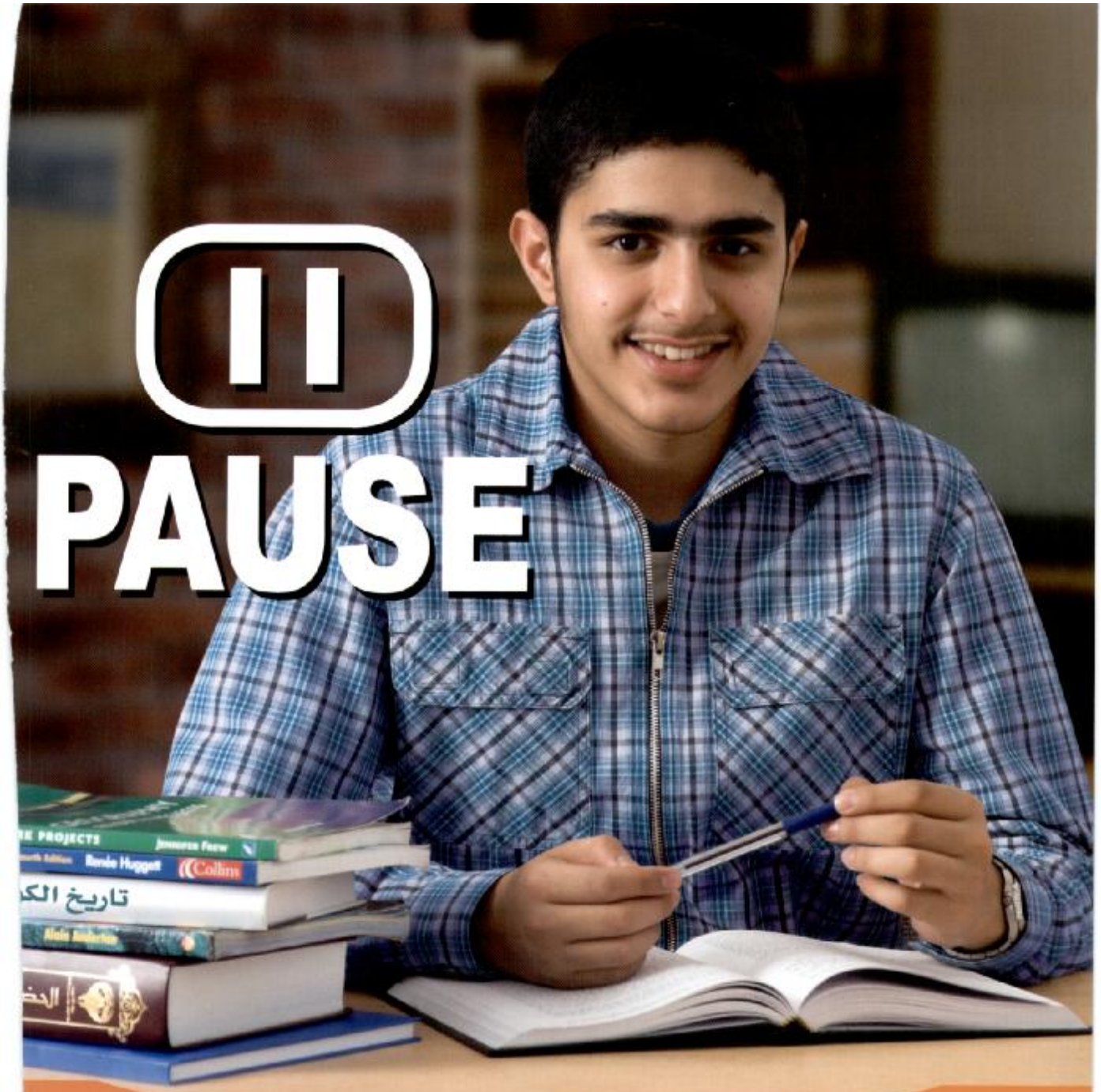

أكمـّل.. بعد الصلاة

دايماً يصدف وقت الصلاة..
وأنا على الإنترنت أو في السوق أو ألعب كرة أو أتمشى مع ربعي أو أدرس
فأحتار أصلي ولا أكمل.. لكني دايماً أقول.. أكمّل بعد الصلاة

نفسل

المشروع التفسيري لقرار الصلاة